

أديب القرن التاسع عشر

أحمد فارس الشدياق

وهي رسالة قدمت إلى كلية الآداب
في جامعة بيروت الأمريكية
لنيل شهادة

استاذ في العلوم
وضمها

محمد يوسف بنخم

الجامعة الأمريكية

بيروت

سنة ١٩٤٨

احمد فارس الشدياق

في الفصل الاول من هذه الرسالة عرض المؤلف لعصر الشدياق فتحدث عن اللغات الفكرية في القرن التاسع عشر . فتناول بواحي النهضة في مصر (على يدي الاسرة العلوية) وفي سورية (على اثر الاتصال بالبعثات التبشيرية) وتحدث عن النزاع بين القديم والجديد في الادب . ثم عرض للنشاط السوري في هذه النهضة فتحدث عن الصحافة والجمعيات الادبية والتثليل وادب المهجر . .

وفي الفصل الثاني عرض لحياته فتحدث عن لبنان في مطلع القرن التاسع عشر حين ولد الشدياق . وتحدث عن بيت الشدياق . وعن اب المترجم واه و اخوته طنوس ومنصور واسعد . ثم تحدث حياته في لبنان ومصر ومالطة وتونس والاستانة حتى وصل الى وفاته فوقف قليلا على دينه حين وفاته وعرض لاراء الكتاب في ذلك وحللها وعلق عليها . ثم تحدث عن الشدياق ومهنة التعليم وعرض كتابه " اللغيف في كل معنى ظريف " واخيرا تحدث عن انتاج الشدياق وعن اولاده .

وفي الفصل الثالث تحدث عن الشدياق الكاتب فعرض كتابه " الساق على الساق فيما هو الفارياق " وحلل اسلوبه وارجمه الى عناصر اربعة : الاثنان العقلي ، والاثنان الايقامي والواقعية والفكاهة . ثم عرض كتابيه " الواسطة في معرفة الاحوال مالطة " و " كشف المخبأ عن فنون اوروبا " .

وفي الفصل الرابع تحدث عن شعر الشدياق في ذم الدنيا وشكوى الزمان وفي للحد العجاء والغزل والرناء والوصف والمناسبات . ثم وضع شعره في الميزان فتحدث عن طبيعته الفنية وعناصر الشعرية ومظاهر التقليد في شعره .

وفي الفصل الخامس تحدث عن الشدياق اللغوي فتناول كتبه " سر اللبال في القلب والابدال " " والحاسوس على القاموس " وغنية الطالب وغنية الراغب في الصرف والنحو وصروف المعاني " . ثم تحدث عن ما اثاره هذا الكتاب في عالم اللغة . فتحدث عن كتاب الشيخ سعيد الشرتوني في نقده وهو " السهم الصائب في تخطئة غنية الطالب " . ورد الشيخ ابراهيم الاحدب عليه في كتابه " رد السهم عن التصويب وابعاده عن مرمى الصواب بالتقريب " ورد الشيخ يوسف الاسير في كتابه " رد السهم للسهم " . ثم تحدث عن المناظرات اللغوية التي قامت بينه وبين معاصريه . وبعدها تحدث عن موقف الشدياق من النحت والوضع والتعريب .

وفي الفصل السادس تحدث عن الشدياق الصحافي وتناول اثاره في " كنز الرغائب في منتجات الجوائب " ونحدث عن اسلوبه فيها .

وفي الفصل السابع تحدث عن موقف الشدياق من اللغات الاجنبية . فتحدث عن كتبه " الباكورة الشيعية في نحو اللغة الانكليزية " وعن " المحاورة الاضية في اللغتين الانكليزية والعربية " وعن " سند الراوي في الصرف الفرنسي " وعن ترجمته لشرح طبائع الحيوان وللتوراء ولبعض المقالات الصحفية .

محتويات الكتاب

الصفحة	الموضوع
٢	محتويات الكتاب
١	تصدير
	الفصل الاول : عصر الشدياق (وهو لمحات من الحياة الفكرية
٣	في القرن التاسع عشر
١٢	مميزات النهضة الحديثة
١٣	الادب بين المحافظين والمجددين
١٩	في سورية
٢٨	النشاط السوري في النهضة الحديثة « الصحافة
٣١	الجمعيات الادبية
٣٥	التنميط
٤٠	ادب المهجر
	الفصل الثاني : حياته (وهو دراسة تحليلية علمية لحياته
٤٤	في اطوارها المختلفة)
٤٥	لبنان في مطلع القرن التاسع عشر
٤٨	بيت الشدياق
٥٠	طنوس -
٥١	منصور -
٥١	اسعد -
٥٥	فارس ٢ (في لبنان)
٥٨	في مصر
٥٩	في مالطة
٦١	في اوروىا
٦٢	في تونس
٦٣	في الاستانة
٦٥	- وفاته
٧٤	- الفاريات المعلم

الصفحة

الموضوع

٧٦	اللفيف في كل معنى ظريف
٧٧	انتاج الندياق
٧٩	الكتب المخطوطة
٨٠	اولاده

الفصل الثالث : الكاتب (ويتناول ادبه النثرى

٨٢	بالعرض والتحليل والدراسة)
٨٣	الساق على الساق فيما هو الفاريق
١١٢	السلوى في الساق
١١٥	الافتنان العقلي
١١٧	الافتنان الابقاعي
١٢٢	الواقعية
١٢٥	الفكاهة
١٣١	الواسطة في معرفة احوال مالطة
١٣٥	كشف المخبا عن فنون اهل اوربا

الفصل الرابع : الناظم (ويتناول انتاجه في

١٣٩	النظم بالعرض والتحليل والدراسة)
١٤٠	ذم الدنيا وشكوى الزمان
١٤٧	الهجاء
١٥٢	الغزل
١٥٩	الرباع
١٦٥	الوصف
١٧٥	شعر المناسبات
١٨٠	شعره في الميزان
١٨١	طبيعته الفنية
١٨٤	عناصر الشاعرية
١٨٧	مظاهر التقليد

الفصل الخامس ١ في اللغة (ويتناول

١٩٥	ابحاثه اللغوية المنتثرة في الكتب والصحف
١٩٦	سبر اللبالي في القلب والابدال
٢٠٤	اسلوبه
٢٠٧	الجاسور على القاموس
٢٠٨	المقدمة
٢١٣	النقد الاول
	النقد الثاني
٢١٤	النقد الثالث
		النقد الرابع
		النقد الخامس
		النقد السادس
		النقد السابع
		النقد الثامن
٢١٥	النقد التاسع
		النقد العاشر
	النقد الحادي عشر
٢١٦	النقد الثاني عشر
		النقد الثالث عشر
		النقد الرابع عشر
		النقد الخامس عشر
		النقد السادس عشر
٢١٧	النقد السابع عشر
	النقد الثامن عشر
		النقد التاسع عشر
٢١٨	النقد العشرون
		النقد الحادي والعشرون

النقد الثاني والعشرون

النقد الثالث والعشرون

النقد الرابع والعشرون

الخاتمة ٢١٩

غنية الطالب بوضعية الراغب في الصرف والنحو وحروف المعاني ٢٢٢

السهم الصائب في تخطئة غنية الطالب ٢٢٣

رد السهم عن التصويب وابعاده عن مرضي الصواب بالتقريب ٢٢٦

رد السهم للسهم ٢٢٧

المناظرات اللغوية ٢٣٠

متفرقات : النحت ٢٤١

الوضع والتعريب ٢٤٤

الفصل السادس : الصحافي

ويتناول آثاره الصحفية التي خلفها لنا في كنز الرغائب ٢٤٦

الجزء الاول ٢٥٢

الجزء الثاني ٢٦٢

الجزء الثالث ٢٧١

الجزء الرابع ٢٧٢

الجزء الخامس ٢٧٤

الجزء السادس ٢٧٥

الجزء السابع

الفصل السابع : في اللغات الاجنبية (ويتناول انتاجه الذي اعتمد

فيه على معرفته باللغات الاجنبية من ترجمات وتآليف ٢٧٦

المؤلفات : الباكورة الشهية في نحو اللغة الانكليزية ٢٧٨

المحاورة الانسية في اللغتين الانكليزية والعربية ٢٨٢

سند الراوي في الصرف الفرنسي ٢٩٣

الترجمات : شرح طبائع الحيوان ٢٩٤

<u>الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
٢٩٩	ترجمة التوراة
٣٠٢	ترجماته الصحفية
٣٠٣	لائحة المراجع

تصديري

هذه محاولة في درس الادب العربي الحديث يراد بها عرض حياة هذا
المعبري الفذ وتحليل آثاره . ولعمري ان الشدياق لشخصية ادبية تستحق العناية
الكبيرة والدرس العميق الشامل . لان قلمه سجل تاريخ ثورتين في نهضتنا الادبية
الحديثة ، ثورة على التقاليد الفنية والرواسم الكتابية ، وثورة على عادات المجتمع ومجلفاته
وهذه النهضة الادبية التي نحيا في آثارها اليوم هي وليدة اقلام من نور ، براها لها
الرواد الاول وفي طليعتهم ادبنا الشدياق .

وانني اعتذر لروح الشدياق الخالد عما بدا مني من تقصير في هذه الرسالة
فالذنب لا تقع تبعته علي وانما على البيئة التي عاشر فيها الشدياق ، والتي اهمله
ادباؤها ومؤرخوها كما اهمله قبلهم سادتها وروادها .

ويعلم الله انني قاسيت من المصادر والآثار التي بين يدي ضيقة وعناء . فانها
تصمت لي حين نطلب منها الكلام ، بينما تتكلم عندما لا تجد لحديثها مستمعا . ولقد
عرضت لنا بعض حوادث في حياته ، كمولده ووفاته وتنقلاته ، ضربنا في اكثرها بالتخمين
الذي قدرناه معتمدين على استنتاجنا الخاصة التي بنيناها على الروايات التي بين
ايدينا ، وحللناها على ضوء ما خبرناه من روح العصر ومن شخصية الاديب . وقد تصرفنا
في بعض النصوص التي نقلناها من المصادر بعض التصرف الذي يساعد على فهم النص
ولكنه في الغالب لا يعدو الترقيم والابقاع .

وقبل ان اتقدم الى عرض هذه المباحث ، ارفع آيات الشكر والتقدير للسادة الادباء
والنورخين الذين تلطفوا ومدوا لي يد المساعدة وارشدوني الى المصادر وقدموا لي
بعضها واخبر منهم بالذكر الادباء اساتذة الدائرة العربية في جامعة بيروت الاميركية ،
والكونت فيلب طرازي والاستاذ الشاعر الشيخ الياس خليل زخريا والاديب الاستاذ يوسف
يزبك .

ولا يسعني قبل انهاء هذا التصدير الا ان انوه بالجهود الكبيرة التي بذلتها
لجنة ايهيل الشدياق لاحياء ذكراء ، وخاصة جهود الاديب الاستاذ مارون عبود الذي
بعث الشدياق من جديد .

وفي الختام ، ارجو ان يكافأني الادباء والمؤرخون على مجهودي الذي بذلته في
وضع هذه الرسالة ، بارشادي الى ما غاب عني من الاخبار والمراجع وتبيين ما عثرت فيه
وبالتنقيب عن آثار الشدياق الفائضة ، التي تغني بها المكتبة العربية والتي تقف بين
آثاره هذه النهضة في الصف الاول في الابداع والتجديد .

بيروت - الجامعة الاميركية

السمره لف

٧ ايار سنة ١٩٤٨

الفصل الأول

مصر الشدياق

وهو لمحات من الحياة الفكرية في القرن التاسع عشر

ليس من غايتنا في هذه المقدمة ، ان نعرض للحياة الفكرية في البلاد العربية في القرن الماضي عرضا واسعا ، فذلك امر يقتضي منا وقتا طويلا ويحتاج الى دراسة خاصة به . وانما اردنا ان نصور بعض اللحظات الواضحة من حياتنا الفكرية في بدء النهضة ، لتعطينا على تفهم الجو الذي نشأ فيه ادبنا الشدياق ، ولتكون مدخلا امينا الى هذه الرسالة ، ونذكر لعلماء الادب الذين اهتموا هذه الفترة من تاريخنا اهمالا يكاد يكون تاما لولا بعض كتب ومقالات حررت في هذا الموضوع ، ولكنها بعد نافسته تحتاج الى الكثير من التدقيق في جمع المعلومات والتعمق في درسها .

يشق على الباحث تلصرا تار نهضتنا الادبية الاخيرة قبل القرن الماضي ، ان انها لم تكن قبل الحملة الفرنسية سوى مظاهر فردية كان اكثرها نسجا على منوال القديم او محاولة لبحث تراث السلف من الفنون اللغوية . ومحاولات كهذه كانت في الاكثر تقليدية قل ان تجد فيها ابداعا او خروجا عما ألفه العرب من اساليب الكتابة والتعبير او نمطا من قيود العادة . وقد قامت بعض المحاولات الفائرة قبل هذا القرن ، على اثر قدوم الارشاليات الاحنية التي حلت في سورية في اوائل القرن السابع عشر ، وانشاء الرهينات الكاثوليكية كالرهبنة المخلصية والرهبنة المارونية والحلبية وسواها . ولقد كان لهذه الرهينات والبعثات التبشيرية كنائس واديرة تتبع لها بعض المدارس . وقد نجح في القرنين الاخيرين قبل هذه النهضة طبقة من العلماء كان اكثرهم من رجال الدين واكثر اثارهم تتعلق بالعبادات .

بدأت الارشاليات اليسوعية تغزو سورية في عام ١٦٢٥ ، وكان افرادها متوقفي العزم شديدي النشاط . وقد استطاعوا ان يثبتوا اقدامهم ويحافظوا على كيانهم في هذه البلاد حتى الغى البابا جمعيتهم عام ١٧٧٣ . فتركوا البلاد واغلقوا المدارس والمؤسسات ، ولكنهم طردوا عام ١٨٢١ عندما سمرروا بتيار التبشير الاميركي يتقدم نحو هذه البلاد^(١) .

ليس من غايتنا في هذه المقدمة ان نعبر للحياة الفكرية في البلاد العربية في القرن الماضي هوذا واسعا، فذلك امر يقتضي منا وقتا طويلا ويحتاج الى دراسة خاصة به . وانما اردنا ان نصور بعض اللحظات الواضحة من حياتنا الفكرية في بدء النهضة، لتعيننا على تفهم الجو الذي نشأ فيه ادبنا الشدياق، ولتكون مدخلا امينا الى هذه الرسالة، ونذكر لعلماء الادب الذين اهلوا هذه الفترة من تاريخنا اعمالا يكاد يكون تاما لولا بعض كتب ومقالات حررت في هذا الموضوع، ولكنها بعد نافسته تحتاج الى الكثير من التدقيق في جمع المعلومات والتعمق في درسها .

يشق على الباحث تلمس اثار نهضتنا الادبية الاخيرة قبل القرن الماضي، اذ انها لم تكن قبل الحملة الفرنسية سوى مظاهر فردية كان اكثرها نسجا على منوال القديم او محاولة لبحث تراث السلف من الفنون اللغوية . ومحاولات كهذه كانت في الاكثر تقليدية قل ان تجد فيها ابداعا او خروجا عما الفه العرب من اساليب الكتابة والتعبير او تطلعا من قيود العادة . وقد قامت بعض المحاولات الفائرة قبل هذا القرن، على اثر قدوم الارشاليات الاحنية التي حلت في سورية في اوائل القرن السابع عشر، وانشا الرهينات الكاثوليكية كالرهبنة المخلصية والرهبنة المارونية والحلبية وسواها . ولقد كان لهذه الرهينات والبعثات التبشيرية كنائس واديرة تتبع لها بعض المدارس . وقد نبغ في القرنين الاخيرين قبل هذه النهضة طبقة من العلماء كان اكثرهم من رجال الدين واكثر اثارهم تتعلق بالعبادات .

بدأت الارشاليات اليسوعية تغزو سورية في عام ١٦٢٥، وكان افرادها متوقفي العزم شديدي النشاط . وقد استطاعوا ان يثبتوا اقدامهم ويحافظوا على كيانهم في هذه البلاد حتى النى البابا جمعيتهم عام ١٧٢٢ . فتركوا البلاد واغلقوا المدارس والمؤسسات، ولكنهم عادوا عام ١٨٢١ عندما شمروا بتيار التبشير الاميركي يتقدم نحو هذه البلاد^(١).

وقد كانت مدينة حلب اكثر المدن السورية نشاطا في تلك الاونة . فقد ظهرت فيها طائفة من العلماء والادباء كالبطريك مكاريوس الحلبي الارثوذكسي وقد نبغ في اواسط القرن السابع عشر واشتهر برحلته الى القسطنطينية وبلغاريا وروسيا عام ١٦٥٢ . وقد كتب هذه الرحلة باللغة العربية ومنها ترجمت الى الانجليزية والروسية^(١) . ومنهم المطران جرمانوس فرحات (١٦٧٠ - ١٧٣٢) وقد ولد في حلب وتلقى العلم على ادباء عصره من مسيحيين ومسلمين ، واتفق اللغات العربية والسريانية واللاتينية والايطالية ودرس العلوم التي كانت معروفة في ايامه كالمنطق والفلسفة والخطابة والتاريخ واللاهوت وغيرها . وله من الكتب " احكام باب الاعراب عن لغة الاعراب " وهو معجم لغوي ، وديوان شعر و " بحث المطالب في الصرف والنحو " و " بلوغ الارب " وهو مطول في الادب ، وغيرها من الكتب الدينية^(٢) . ومنهم الشماس عبد الله ذاخر الكاثوليكي المتوفي عام ١٧٤٨ ، وهو مؤسس مطبعة الشوير بلبنان ، والخوري نقولا الصانع المتوفي عام ١٧٥٦ وسواهم^(٣)

هذه لمحة موجزة عن الحالة الادبية في سورية قبل بدء النهضة . اما من الناحية الاجتماعية فقد قال عنها الرحالة الفرنسي فولني ، الذي تجول فيها وفي مصر في القرن الثامن عشر^(٤)

" ان الجهل سائد في سوريا كما في مصر وسائر تركيا . وقد انتقد بعضهم هذه الحالة عبثا ، ولم يأت الكلام عن انشاء الكليات ونشر التعليم والتهذيب بشئ . لان هذه الالفاظ لها عندهم معان غير ما نفهمه نحن منها . انتفض عصر الخلفاء وليس من العرب او الاتراك الان علماء في الرياضيات او الفلك او الموسيقى او الطب . ويندر فيهم من يحسن القراءة ، واذا احتاجوا الى الكتي استخدموا له النار . واذا عثروا بمنطهب افرنجي عدوه من الهة الطب . واما علم النجوم فقد صار عندهم للنجامة واستطلاع الطوالع . وفي دير مار يوحنا (بالشوير)

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ١٤ (٢) راجع تفصيل ترجمته في كتاب " الذكرى في حياة المطران جرمانوس فرحات " لبولس سعد (٣) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ١٤ (٤) نفس المصدر ص ١٥

طائفة من الرهبان لهم اتصال برومية، ولا يقلون جهلا عن سواهم . وإذا قيل لهم ان الأرض تدور عدّوا قوله كفرا لانه يخالف الكتاب المقدس^(١).

اما في مصر، فقد كانت الحالة الاجتماعية متأخرة^(٢). "وسوق الادب كاسدة من جراء ما انتاب البلاد من حكم المماليك الذين لم يعنوا بشي من العلم والادب والفنون سوى ما اقاموا من مبان تخليدا لذكرهم وتضللا للعامة ليحطوهم على الظن بانهم ممن يساعدون على فعل الخير واقامة شعائر الدين . فلم يكن من غرضهم نشر الاداب الا بقدر ما كلنت تدعوهم الحاجة اليه من الاختصاص ببعض الكتاب او الشعراء لنشر اغراضهم او لمكاتبة غيرهم من الامراء . ولم يكن للادب معاهد يدرس فيها . ولكن مصر كانت محط الادباء الذين التجأوا اليها، وموطن الازهر الذي كانت تنبعث منه اشعة العلوم العربية الى انحاء العالم الاسلامي - وكان الناس يرون في اللغة العربية وفنونها مفتاحا لكل العلوم واساسا لتربية العقول . وزاد الناس حبا بطلب العلم في هذا المعهد ما حبسه اهل الخير على طلابه فلم ينقطع عنه الوافدون . ولا سيما ان كثيرا من علمائه وتلاميذه كانوا موضع الاجلال والاكرام من الحكام والامراء واصحاب الرأي، وكان منهم القضاة واهل الشورى للسلطين والامراء، وكما كان منهم الكتاب والمؤلفون في مختلف العلوم والفنون . فكان الاقبال على الازهر من اكبر الوسائل لاحياء اللغة العربية وادابها، فظهر منه الكتاب والشعراء وارباب الاقلام الذين تولوا وظائف الكتابة في الدواوين وغيرها .

اما كتابة الدواوين زمن المماليك فكانت مزيجا من العربية والتركية وخليطا من الالفاظ العامية والعبارات الفصحى . واستمر ذلك الى ايام محمد علي حيث فشت العامية في المؤلفات والمراسلات وانحطت درجة الكتابة بطبيعة حال الدولة التي لم يعن اهلها بذلك . وتاريخ ابن اياس والجبرتي من اساليب الكتابة التي كانت فاشية في تلك الايام، فكانت الكتابة في حالة انحطاط كما كانت الحال في جميع الاقطار العربية .

(١) مترجمة بقصر فني للكتاب ثولاني "Travels in Syria and Egypt" الجزء الثاني ص ٩٧

(٢) اخبرنا الدكتور الـتالـبة من مقال لدعـمه ضيف في المقطف جلد ٦٨ ص ٥٩٠ وما بعدها

وكان اكثر اساليب الكتابة البليغة الادبية كالرسائل والمقامات مستجعة جارية على اسلوب الهمداني والحريري . وانتشر السجع حتى لم يكده يخلو منه كتاب او تأليف وحتى تمشى هذا الاسلوب في الكتابة العادية . ولا شك في ان هذا اثر عناية العصر العباسي الاخير بالصناعة اللفظية والمحسنات البديعية . وشاع هذا الاسلوب في الكتابة الادبية حتى تخطى القرن التاسع عشر . وعن مصر يقول فولني في رحلته التي اشرفنا اليها سابقا

"الجهل طم في هذه البلاد مثل سائر تركيا . وهو يتناول كل الطبقات ويتجلى في كل العوامل الادبية والطبيعية وفي الفنون الجميلة . حتى الصنائع اليدوية فانها في ابسط احوالها . ويندران تجد في القاهرة من يصلح ساعة . واذا وجد فهو افرنجي . اما الصباغة فاصحابها فيها اكثر مما في ازмир وحلب . لكنهم جهلاء . وانما يتقنون المنسوجات الحريرية وان كانت اقل اتقاناً من صنع اوروبا واغلى ثمناً ."^(١)

هذه حالة سورية ومصر قبل حملة نابليون . وقد كانت . كما رأينا . حالة نوم وجمود . واضطراب وفوضى . وذلك يرجع في الاكبر الى الضغط الذي كان يجريه العثمانيون وولاتهم على رعاياهم . الا انها لم تلبث ان تغيرت تغيراً اتت بواقعه من الخارج ترافق حملة نابليون الى مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) . التي كان يرمي من ورائها الى افتتاحها وقطع طريق الهند على انجلترا . وليس من شأننا في هذه العجالة ان نتعمر لهذه الحملة من الناحيتين السياسية والحرية . وانما يهمنا وجهها الثقافي . وهو اشرق وجوها وانصعها وابلغها اثراً في تاريخ العرب الحديث . فقد اتخذ نابليون الاصلاح الاجتماعي والثقافي وسيلة لارضا المصريين وكسب ثقتهم . حتى يتيسر له بلوغ الغاية التي جاء من اجلها . ولذا اصطحب معه بالاضافة الى جنوده طائفة من العلماء والصناع والمفكرين المتخصصين في اللغات والعلوم والفنون . وهؤلاء حملوا معهم مبادئ الثورة الفرنسية القائمة على الحرية والاخاء والمساواة . كما انهم اتوا ببذور المدنية

الغربية والقوا بها في ارض مصر، التي كانت مستعدة لتلقف كل جديد . فاقاموا
المصانع والمختبرات والمراد والمستشفيات والحدائق العامة والملاهي ، كما انهم
اظهروا للشعب المصري المتأخر انذاك ، وجوها مختلفة من المدنية الغربية .

وقد توجه جهدهم الثقافي في اول الامر الى انشاء مدرستين لتعليم ابنا
الفرنسيين المولودين في مصر ، وجريدتين فرنسييتين هما " لا دكاد اجبسيان " *La Décade Egyptienne* و " لو كوريه ديجيبت " *La Courrier de Egypte* ومجمعا علميا
ومسرحا للتشيل كما انهم اوجدوا مكتبة لمطالعتهم فتحت ابوابها للعموم ، ومطبعة
عربية اصدروا عنها نشرة اخبارية باللغة العربية ، تحوى احكام ديوان القضايا
الوطنية واسمها " التنبيه " وهي اول جريدة عربية رسمية . وكان يشرف على
تحريرها الاديب المصري اسماعيل الخشاب المتوفي عام ١٢٣٠ هـ ^(١) وعن النتيجة
الثقافية لهذه الحملة يقول ادوار جوان :

" دهشت مصر لوجود مجمع علمي اقيمت جدرانته في معسكر حربي . وتضاعف
دهشتها واستغرابها عندما رأت بنات الافكار تسير خلف عربة الانتصار ^(٢) ."

ولم يطل مكوث الفرنسيين في مصر ، فقد اضطروا الى مغادرتها عام ١٨٠١
فتركوها ميدانا يتقاتل فيه الماليك والجنود العثمانيون ، وشاء خط هذه البلاد
الا تنطوى رسالة المدنية التي بشر بها نابليون ، وان يكتب لها الانتشار والذبلوع
على يد شخص كان غريبا عن مصر وعن العروبة ، وهو جد الاسرة العلوية محمد علي
باشا الذي جاء في الحملة البحرية التي ارسلها العثمانيون لقتال الفرنسيين ورددهم
عن ارض مصر . وقد ظل يسعى يجد واجتهاد حتى استطاع بحسن ادارته وبحنكته
السياسية ان يستعطف المصريين ، وليستميل قلوبهم اليه ، نبايعوه بالولاية عام
١٨٠٥ . واضطر الباب العالي ، الذي كان يعاني آلام النزاع الاحير ، لان يبارك
هذه المبايعه ، فيوافق على ولاية محمد علي على مصر .

وبعد ان اراح دولته من شر الماليك ونوراتهم وغفتم حين قتلهم غيلة

(١) راجع لفلان تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ١٥ - ١٨ (٢) مصر في القرن التاسع عشر " تأليف ادوار
جوان ص ٨٧

في القلعة عام ١٨١١ م ، اخذ يفكر في الاستقلال عن السلطنة والاستبداد باهالة مصر . ورأى بشايب رايه ان يصلح البلاد داخليا ويمدّها لمثل هذه المرحلة الصعبة . ولذا وجه همه الى اصلاح الجيوش واصلاح الادارة ، وكان قد اطلع على فن تنظيم الجيوش الاوروبية اثنا تـناحر الانجليز والفرنسيين والمـعثانيين على ارض مصر ، كما انه لم ينفسه آثار الحضارة الغربية التي رافقت حملة نابليون .

ولذا تفرّغ شارلمان^(١) الشرق الى اقتباس اسباب المدنية ، وصار يستعين لذلك ببعض الفرنسيين والأتراك والمصريين ، وتوسل اليه بالبعوث العلمية التي كان يرسلها الى اوروبا وخاصة الى فرنسا لتلقي العلم . وقد اسر في باريس مدرسة مصرية تعدّ الطلاب المصريين للتعليم العالي . وكان مديرها اسطفان بك وهو ارمني الاصل من طلاب البعثة الباريسية الكبرى . كما انه كان يتخذ من المدارس وسيلة لتحقيق اهدافه العمرانية ، وقد اعتنى بها عناية فائقة حتى انه انشأ في مصر نحو خمسين مدرسة بين ابتدائية وثانوية ، كانت تتبع في تنظيمها المنهج الاوروبي وكانت في اكثر الاحيان ، تحت مراقبة الاخصائيين من الاوروبيين . وقد كانت الغاية الاولى لهذه المدارس هي تدريب الاخصائيين في مختلف فنون العلم والصناعة ، ليستعين بهم محمد علي على تذليل الصعوبات التي تحول دون تطبيق برنامجـه الاصلاحـي الشامل .

ولم يغفل محمد علي الصحافة والطباعة ، ولم يتجاهل ما لهما من الاثر في توجيه الشعب وتيسير اسباب التعلم والثقّف له . ولذا انشأ مطبعة بولاق عام ١٨٢١ ، ولهذه المطبعة على النهضة الادبية ايام بيضاء لا تنكر ، فقد ساهمت مساهمة جدية في بعث التراث العربي المجيد بنشر كتبه ورسائله .

اما في الصحافة ، فقد اصدر محمد علي جريدة الـوفائـع المصرية عام ١٨٢٨ في القاهرة^(٢) ، وكانت تصدر اولاً بالتركية ثم بالعربية والتركية واخيراً صارت تصدر بالعربية فقط ولا تزال حتى اليوم كذلك . وقد كانت هذه الصحيفة لسان حال

(١) اطلق عليه هذا اللقب الاستاذ محمد كرد علي في الطبعة سنة ٤ ص ٥٠٥ (٢) لا زالت الصحافة ١٤ ص ٩٩

الحكومة تنشر اوامرها ومراسيمها ، وتذكر الحوادث التي تهم طامة الشعب .

وسا يدعو الى الاسف ، ان محمد علي ، الذي كان لا يزال يتفتق^{١١} ظلال
العثمانيين ، لم يهتم باللغة العربية وآدابها ، ولم يعمل على نشرها واعلا^{١٢} شأنها
في البلاد ، وليته وقف عند هذا الحد ، بل انه تعداه وحاول ان يجعل التركية
لغة للتعليم ، ولكنه اخفق في ذلك ، لان اللغة العربية كانت واسعة الانتشار راسخة
القدم بين سكان مصر العرب ، ولذا نستطيع ان نقول ان اعمال محمد علي
الاصلاحية لم تكن الا تمهيدا للنهضة الفكرية العربية التي استهلها حفيده اسماعيل .

وفي عام ١٨٤٨ ظهرت علائم الخرف والضعف على محمد علي ، ولذا فقد
لواء الحكم لابنه ابراهيم الذي كان يسعى مخلصا لايجاد امبراطورية تضم الاقطار
العربية ، ولكنه توفي في العام نفسه ، فانتقل الحكم من يديه الى يدي عباس الاول
ابن اخيه طوسون وقد توفي عباس عام ١٨٥٢ تاركا الحكم لعنه سعيد الذي توفي
عام ١٨٦٠ . وفي هذه الفترة التي اعقبت نزول محمد علي عن دست الحكم ،
توقفت مواكب الحضارة وانقطعت ارنال النور التي كان هو مبعثها ، وكادت البلاد
تتردى في هوة الماضي وتعود ادراجها متقهقرة نابذة الحضارة الجديدة التي
لم تتمكن اصولها في نفوس الشعب لولا ان قبر الله لهذه البلاد ابا النهضة
اسماعيل الذي اطاد سيرة جده في نشر العلم والحضارة وزاد عليه في تبني اللغة
العربية ، ومحاولة بعثها من ترابها بعدما طوتها يد الظلم والجمود في اجداث
التقهقر والانحطاط . " فافتتح المدارس والمكاتب ، وانشأ الجسور والقصور والمعان
ووجد اكثر رجال البحوث العلمية الذين رباهم جده على قيد الحياة ، فاتخذ منهم
المدرسين وروسا^{١٣} الادارة وزاد على جده في ارسال البحوث العلمية الى اوربا^{١٤} .

(١١) الوسيط ص ١٤٠ ، وقد رجحنا في اغيار محمد علي ومنه وليه من الحكام الى " تاريخ آداب اللغة العربية " ج ٤ ص
١٨ - ١٩ ، والوسيط ص ١٨٠ ، وادباء العرب في الدنلس وعصر الانبصا^{١٥} .

فالنهضة اذن مدينة لاسماعيل و همته واخلاصه بالشئ الكثير . ولكن هذه
 الاصلاحات الواسعة التي تمت على يديه ، والمشاريع الضخمة التي اعد المدة
 لتنفيذها كانت تحتاج الى ثروة طائلة ، تعجز عن تحملها ميزانية دولة اسماعيل
 في ذلك الحين . ووافق في تلك الآونة ، ظهور التنافس الاوروبي على ارض مصر
 وفيها فتاة السويس ، ولها اهميتها الحربية والسياسية بالنسبة للهند واهميتها
 التجارية والاستعمارية بالنسبة لافريقيا . فقد هوله اصابع مكرهم ، واخذوا يمدون
 اسماعيل بالمال بافحش انواع الربا . وقد شجعهم على ذلك ظهور اسماعيل بظهر
 من لا يحسب حسابا للمواقف ، فقد كان في اصلاحاته كما يقول البارون دى
 ملورسي : كالباني الذي اراد ان يبني بيتا يكلفه مالا طاقة له به فرهن الارض
 وتقدمت له الشركات الاوروبية بالمال علما منها بانها ستضع يدها على الملك يوم
 يعجز المدين عن سداد دينه^(١) . وهكذا تدخلت انجلترا وفرنسا بحجة اصلاح العاليية
 والادارة عام ١٨٧٦ ، وكان كلما مضى الوقت زاد الدين وزادت الضرائب وتقدم
 التدخل الاجنبي . وهكذا بدأت الصحافة العربية السياسية تظهر في مصر وبدأ
 الراى العام يقوى امام ضعف اسماعيل ازاء التدخل الاجنبي ، ووجدت في البلاد
 حركة قومية دستورية ترمي الى تعييد سلطة الحكومة المطلقة التي كانت في الداخل
 رمز بطر وجيروت وفي الخارج رمز ضعف واستسلام ، والى اصلاح داخلية البلاد
 وماليتها لتخليصها من ريقة الاجنبي . وكانت الفكرة الدستورية تستمد قوتها
 من العوامل الآتية :

اولا : وجود مجلس نواب صوري منذ عام ١٨٦٦ كان الف بيد اسماعيل . فلما
 تطورت الاحوال اراد المصريون توسيع سلطة المجلس واعطاءه حق الرقابة
 الفعلية على اعمال الحكومة .

ثانيا : بث جمال الدين الافغاني في مصر منذ وفوده اليها سنة ١٨٧١ فكرة
 تأسيس نظام دستوري لعلاج احوال الشرق المعتلة .

ثالثا : اعتقاد المصريين ان استبداد اسماعيل مصدر ضعف حكومته لان عدم ارتكازها
 على الشعب اطعم فيها الاجانب وحكوماتهم .

(١) كشفه الصحافة المصرية لاسرار من ب

رابعاً : تشهير البعثات العالية الانجليزية المختلفة (١٨٧٦ - ١٨٧٩) اثناء اقامتها في مصر بسوء ادارة اسماعيل والسقاط هيئته في اعين المصريين تمهيدا لاغتصاب سلطته (١).

وقد ظل الحال كذلك . من تدمير الشعب وتدخل الاجانب الى ان عمت فرنسا وانجلترا على خلع اسماعيل في ٢٧ حزيران عام ١٨٧٩ . وتولية ابنه توفيق ولكن هذا كان ضعيفا ما مَّهد لازدياد تدخل الانجليز حتى اصبحوا اصحاب السلطة الفعلية في مصر ، واصبح الوزراء اله بايديهم تنفذ مآربهم . فلجأ المصريون الى الثورة ، بقيادة عرابي باشا ناظر الحرية انذاك يساعده طائفة من النواب والنظار والادباء والمصلحين مطالبين باعادة مجلس النواب الذي الغاء توفيق ، ليكمل للمصريين حريتهم واصلاح شؤون جيشهم وادارتهم . وقد انتهز الانجليز هذه الفرصة ، وتقدموا الى احتلال مصر مستترين بمسئار المحافظة على الاسرة الحاكمة ، وعلى ديون الدائنين . وقد تم هذا الاحتلال فعلا . عندما انهزمت جيوش عرابي ، التي كانت اضعف من ان تقاوم الجير الانجليزى . وذلك في عام ١٨٨٢ .

هذه لمحة خاطفة عرضنا فيها للاسباب التي مهدت لظهور النهضة الفكرية الحديثة ، التي برزت في هذه البلاد متميزة عن سواها بما يلي :

١ . انشاء المدارس

٢ . الطباعة

٣ . الصحافة

٤ . انتشار روح الحرية الشخصية

٥ . الجمعيات الادبية والعلمية

٦ . المكاتب العامة

٧ . المتاحف

٨ . التمثيل

٩ . الاستشراق (٢)

(١) كشف السامري و - ز (١) لفد فصيل جرجي زيدا ن هذه المميزات في كتابه " تاريخ اللغة العربية " ج ١

وستتقدم الآن الى الحديث عن نواح من النهضة الفكرية في القرن الماضي .

ظهرت حركة الترجمة والنقل عن الغرب في مصر كنتيجة من نتائج هذه النهضة . وقد سبقت مصر في ذلك سورية ، اذ ان الاتجاه العملي الصناعي الذي بدأه محمد علي ، اخذ يتجه نحو العلم حوالى العقد السادس من القرن الماضي وقد تم ذلك في عصر اسماعيل ، اذ اتسع نطاق الترجمة والنقل ، وتقدم اللقاح الغربي الى العقل العربي بخطى حثيثة وفي مواضيع مختلفة اهمها العلوم الطبيعية والرياضية والحربية والفضائية والاقتصادية والاجتماعية وفي الدين والادب . وسنهتم في هذه المقالة ، كما قدما ، بالناحية الفكرية من نواحي هذا النشاط .

الادب بين المحافظين والمجددين :

وقد ظهر الاثر الفرنسي واضحا قويا في الفكر المصري الحديث ، خاصة بين المثقفين ونحصر بالذكر منهم صلاب مدرسة اللسن والترجمة التي كان يديرها رفاعة بك الصهناوي (١٨٠٧ - ١٨٧٢)^(١) الذي رافق البعثة المصرية الاولى الى باريس عام ١٢٤١ هـ وكان لها ااما ومعلما . وهناك تعلم اللغة الفرنسية حتى احادها . وقد كان من اشهر كتاب القرن التاسع عشر ، وقد ترك اثارا كثيرة في الكتابة والادب وقد ترجم الكثير من كتب العلوم والفنون المختلفة ، وكان له اسلوب يجمع مختلف الاساليب المعروفة في عصره من سجع متكلف الى ترسل سهل يضاهاى اجود اساليب الصحف المصرية .

اما طلاب مدرسته ، مدرسة اللسن ، فقد اظهروا ميلهم الشديد الى الادب الفرنسي ، واخذوا يكبون على كتبهم يعتبرون منها هبا ويلتمسون ما فيها التهاما . ونذكر منهم على وجه التخصيص عثمان بك جلال (١٨٢٩ - ١٨٩٨) الذي تتلمذ على رفاعة بك ، وقد كان ادبيا مطلعا على اداب الافرنج ، وارتقى في مناصب الحكومة الكتابية واستصحبه الخديوى السابى في رحلته في القطر المصري ، وتولى القضاء

(١) راجع ترجمته زيمان ٤٢ ص ٩٦ ، والوسيط ٢٢٢

في محكمة الاستئناف^(١) وكان جل اثاره ترجمات لكاتب مشهورة في الادب الفرنسي كبول وفرجينى وامثال لافونتين وبعمر مهازل موليير . واليه يعزى الفضل في تعريف العرب على بعض من تراث الادب القصصى الفرنسي . ولا يهملنا أسلوبه الذى ظهرت فيه تلك الترجمات بقدر ما تهافتنا الروح التي كانت تستر وراءها . روح التجديد والميل الى تطعيم الادب العربى بكل طريف ومفيد من اداب الامم الاخرى . وقد ترجم امثال لافونتين الى الشعر العربى السهل الفصيح ، بينما ترجم اثار موليير الى العامية المصرية ، وهي خطوة جريئة ما كانت روح العصر لتقرها لولا ما تم على يدى الاسرة العلوية من اصلاحات عصت معظم نواحي الحياة المصرية .

وكان من نتيجة روح التجديد هذه ، ان قامت قائمة اللغويين وشيوخ الازهر ومن في عقليتهم انذاك ، ينحون على المحدثين تعلقهم بالاساليب الاوروبية وميلهم عن معين العربية الثرى الذى لا ينضب . وكانت الحملة التي شنوها عنيفة ، وذلك طائد في الاكثر الى تلك النظرة التقديسية التي يتطلع بها المسلمون الى لغة القرآن . وقد وجدت حركة القديم انتصارها في رجال التعليم وتذكر منهم الشيخ حمزة فتح الله (١٨٤٩ - ١٩١٨) الذى ظل مفتشا للغة العربية في مدارس الحكومة زهاء ثلاثين سنة ، وقد جاء عنه في الوسيط

"استند اليه تفتيش اللغة العربية في مدارس الحكومة على اختلاف انواعها فرأى المجال فسيحا لتخليصها من ادران العامية واوضار الدخيل وفساد التراكيب وعجمة الاساليب . فاخذ يرشد المعلمين الى ما يعثر عليه من ذلك في كتابة التلاميذ . ويتحفظهم بمرادفه ثارة ويرشدهم الى المظان اخرى ، فتنبه بذلك الغافل ودقق المتساهل وكان جزاء الله خيرا يحب العرب والعربية ويرى ان الله قد خصها بكل مزية ، وان جميع ما يتجدد من انواع المدنية الحديثة قد سبق الى نوهه العرب وان لاسمه مرادفا في لغتهم^(٢) .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٢٠ ص ٤٤٠ (٢) الوسيط ص ٢٤٠

وقد كان الشيخ حمزة أحد أعضاء وفد الحكومة المصرية في مؤتمر
المستشرقين الذي عقد في ستوكهولم عام ١٨٨٨ . وكان رئيس هذا الوفد عبد الله
باشا فكرى (١٨٣٤ - ١٨٩٠) وزير المعارف المصرية آنذاك . وكان من انصار
القديم . واسلوبه يتكاد يكون عدى لاسلوب بديع الزمان الهمذاني صاحب المقامات .
وقد كان أكثر تحررا من الشيخ حمزة . ويعد من دعائم النهضة الادبية الحديثة^(١)
كذلك كان زميله وخليفته على منصبه على باشا مبارك (١٨٦٣ - ١٩١٣)^(٢) . وقد
قامت شهرتهما على اصلاحاتهما في نظم التعليم أكثر مما قامت على انتاجهما الادبي .
وقد كان نتيجة عملهما المشترك ان اوجدت المكتبة الخديوية (دار الكتب المصرية)
كما ان علي باشا اسر كلية دار العلوم وهي اول كلية للتعليم العالي في مصر
بعد الازهر . وقد كان لتوجيهات هؤلاء الثلاثة اثر كبير في انتهاج المدارس
اسلوبا قديما في تعليم اللغة العربية . حين كانت وسائل الاصلاح والتجديد تعم
مختلف فروع العلم الاخرى في مصر^(٣) . وقد ساعدتهم على الفضي في خطتهم هذه
دور الطباعة التي ابتدأت منذ عهد اسماعيل بنشر المعاجم والكتب العربية القديمة .

اما حركة التجديد . فقد تقدمت الى الازهر على يد المصلح الكبير الشيخ
محمد عبده (١٨٤٩ - ١٩٠٥)^(٤) الذي كان يمكن ان يتجه اتجاه المتصوفة ورحال
الدين في حياته لولا تأثير المصلح الكبير جمال الدين الافغاني الذي حول نشاطه
وحيويته عن طريق التصوف الى طريق الاصلاح والبناء . وقد اطلع الشيخ محمد
عبده على اثار الفكر الاوروبي اطلاقا مكنه من ان يخضع منهاجا لاصلاح الحياة
المصرية اجتماعيا وخلفيا وفكريا . متخذاً من القديم نواة لهذا الاصلاح . مطبقا مبادئ
الفكر الاوروبي عليه . وكان جل همه ان يعرّس حقائق الدين الاسلامي باسلوب
خال من كل هذر وشعوذة . ويتفق مع روح العلم الحديث . وكان تباطؤ ذلك
يعتقد " ان اصلاح الامة الاسلامية في اى شعب من شعوبها لن يكون الا بالجمع
بين التجديد الديني والانيوي^(٥) " وقد شرح خطته في الاصلاح في عدة كتب
ومقالات تميّزت باسلوب خاسر جمع بين جزالة القديم وصحته . وعذوبة الحديث وسهولته^(٦)

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٤١ والوسيط ج ٣ ص ٣٣٣ (٢) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ٤١ والوسيط
ص ٣٣٥ (٣) راجع الأدب الجاهلي لـ محمد حسين ص ٢١٣ (٤) زيدان ج ٤ ص ٢١٥ والوسيط ص ٣٣٧ .
وسهولة ترجمة مفصلاً ج ١ ص ٢١٣ (٥) سيرة الاستاذ الامام " التي وضعها محمد رشيد رضا في جزئين . (٥) سيرة
الاستاذ الامام ج ١ ص ٦ (٦) راجع نفس المصدر ج ٢ ص ٢٧٢

وقد كان يدعو الى هذا الاسلوب في خطبه ومقالاته . اذ كان الى جانب دعوته الى تحرير الفكر من قيد التقليد ، يدعو الى "اصلاح اساليب اللغة العربية في التحرير سواء كان في المخاطبات الرسمية بين دواوين الحكومة ومعالجها او فيما تنشره الجرائد على الكافة منشأ او مترجما من لغات اخرى او في المراسلات بين الناس"^(١)

وقد امتدت هذه الحركة واستفحل امرها على يدى الاستاذ الامام وتلاميذه كما استندت حركة المقاومة التي يدعها رجال التعليم وعلى رأسهم الشيخ حمزة يسانده طلاب الازهر ودار العلوم . وقد لاقت حركة الاصلاح عنقا ونسدة من المتزمين الرجعيين الذين كان يدعهم الخديو وثوئدهم جريدة المؤيد التي كان يحررها الشيخ علي يوسف (١٨٦٣ - ١١١٣)^(٢) وقد كانت غاية الامام كما ذكرنا هي تحضير الفكر الاسلامي وكان يعتقد ان خير وسيلة لهذه الغاية هي اصلاح الازهر ، اذ ان شيوخه هم دعائم الفكر الاسلامي الحديث . ولذلك حاول اصلاح هذا المعهد في الروح والمناهج والكتب المقررة ، وقد نجح في ذلك بعمر النجاح عندما تولى التدريس فيه بعد عودته من اوروبا عقب الاحتلال . ولكن نجاحه خارج الازهر كان اوسع خصوصا بين طبقة المثقفين الذين تلقوا علومهم في اوروبا .

وقد قدمت مصر للعالم العربي مصلحين اخرين احدهما في حقل الاجتماع وهو قاسم بك امين (١٨٦٥ - ١١٠٨)^(٣) وهو زعيم القائلين باصلاح حال المرأة المصرية المسلمة . وقد بث اراءه في كتابه "تحرير المرأة" و"المرأة الجديدة" وهو في كلا الكتابين يدعو الى تربية المرأة المصرية وتخفيف الحجاب وتنظيم الزواج والطلاق ومنح المرأة حقوقها الاجتماعية . ويستند في كل ذلك الى النصوص القرآنية محاولا ان يفسرها تفسيرا يحالف ما جرت عليه العادة وما يوجبه التمسك بالتقديم .

(١) تاريخ الاستاذ الامام ١٤٠ ص ١١ (٢) تاريخ آداب اللغة العربية ٤٢٠ ص ٢١٤ (٣) راجع ترجمته في تاريخ آداب اللغة العربية ٤٢٠ ص ٢١٥ وفي تراجم مشاهير الشرق ١٤٠ ص ٢١٠

والصلح الثاني كان في حقل السياسة وهو مصطفى كامل باشا (١٨٧٤ - ١٩٠٤) وقد كان منظم حركة مصر القومية * وكان اعلى الوطنيين صوتا في طلب الجلاء عن مصر^(١).

وقد كان اسلوبهما الادبي امتدادا لاسلوب الصحافي الذي ظهر اثنا الثورة العراقية . وهو الاسلوب الحديث الذي يهجم على الغرب دون لف او مقدمات لا طائل وراءها ، ودون ركوب مراكب البديع الصعبة . وهذا الاسلوب هو اسلوب ابن المقفع في كتاباته وابن خلدون في مقدمته . وكان اسلوب مصطفى كامل في صحيفة "الدوا" حاضيا مؤثرا ، كما كان اسلوب قاسم امين سهلا واضحا خاليا من التكلف والصنعة ، انه اراد به ان ينتقل الى القارة اراه في الاصلاح الاجتماعي بدقة ووضوح ويسر . ومع هذا نراه لا يضحى بالرشاقة والجمال ، وبعض مفضولاته الادبية تحتل مكانة عالية في ادب ذلك الزمان .

وعامل ثان كان له اثر كبير في تجديد الاسلوب العربي وهو ظهور الجمعيات الادبية في سورية ومصر وقد تبعت الجمعيات الادبية في مصر جمعيات سياسية كجمعية مصر الفتاة التي كان من اعضائها جمال الدين الافغاني واديب اسحق وسليم نغار وعبد الله نديم ونفولا توما من ارباب الاقلام في ذلك العهد . واعدوا جريدة "مصر الفتاة" باسم هذه الجمعية في اواخر ايام اسماعيل^(٢) وقد كانت هذه الجمعيات تسعى الى الاصلاح ، مستخدة من تعاليم جمال الدين دستورا لها ساعية الى التحرر في مختلف وجوهه ومعانيه . وقد كانت هذه الجمعيات ميدانا نسيحا لبروز اقلام المنشئين ، لا سيما كتاب الصحف والخطباء . وقد اشترك اعضاء هذه الجمعيات في النشاط السياسي الذي رافق الثورة العراقية ، كما انهم وضموا مبداء جديدا للصحافة العربية ، وهو الاعتماد بالشعب والاعتماد عليه في دعم الحركات الاصلاحية .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٤٢٠ ص ٧١٦ (ج) راجع نفس المصدر ص ٧٨ - ١٠٤ (د) نفس المصدر ص ٩٤

ومن أشهر دعاة هذه الحركة الصحافي السوري اديب اسحق (١٨٥٦ - ١٨٨٥) احد اصدقاء جمال الدين وملازميه . وعبد الله نديم (١٨٣٢ - ١٨٩٦) خطيب الثورة العرابية وقد كان احد تلاميذ جمال الدين ايضا . وقد انتهج الاول في صحيفته "مصر" والتقدم اسلوبا كان اقرب الى اساليب التعبير الفرنسية ، وقد استمال اليه ببساطته وقوته وبعده عن التكلف اكثر المتأدبين في ذلك الوقت . وعنه يقول زيدان :

"واصدر جريدة مصر فاعجب الناس بانشائها واصبحوا يتحدثون بأسلوب اديب من ذلك الحين . واحست الحكومة بما كان من تأثير جريدة مصر في النفوس فاقفلتها فذهب الى باريس واصدرها هناك وسماها مصر القاهرة^(١)"

وقد كان النديم من أشهر رجالات الثورة العرابية ، لما تميز به من المقدرة الخطابية والشعرية وقد اصدر ثلاث صحف هي " التنكيت والتبكيك الهزلية الجديدة ، ثم ابدلها بالطائف وكانت تظهر في اثناء الثورة . ولما انقضت الثورة وحوكم العرابيون كان نديم مختفيا قضى في اختفائه عشر سنين ثم ظهر وعفي عنه . وانشأ مجلة الاستاذ ظهرت والهلل في عام واحد (سنة ١٨٩٢) لكنها لم تتم العام على ظهورها لما فيها من النقد الشديد والتحرير . فقررت الحكومة ابعاده عن مصر ، فذهب الى الاستانة واقام فيها الى وفاته^(٢) .

هذا وقد واكبت حركة الترجمة هذه الحركات الاصلاحية وكانت عضدا لها . ان انها كانت تنقل الافكار الاوروبية الى العقل المصري . وقد كان شيخ المترجمين غير منازع فتحي زغلول (١٨٦٣ - ١٩١٤)^(٣) وقد كان يعمل في سلك القضاء كما كان مؤلفا نشيطا ، ترك عدة كتب في القضاء وغيره ، ومن مترجماته كتاب بنظام "مبادئ" التشريع " Principles of legislation ثم الحق بترجمة بعض كتب ديسمولينس^(٤) ولوبون في الاجتماع . وقد قدمها بمقدمات طبق فيها ما حوته من المبادئ على الحياة المصرية ، مظهرها عيوها ، داعيا الى الاصلاح السريع .

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٤٨ ص ٧٤٤ (ج) نفس المصدر ص ٤٤٤ ، (د) نفس المصدر ص ٢١٠ (هـ) هذا هو اللفظ الانجليزي اما اللفظ الفرنسي فهو ديمولان

في سورية

واذا التفتنا الى سورية في تلك الاونة نجد اواصر الفكر تنعقد بينها وبين الغرب عن طريق الارسلالات الاجنبية وتصيل ذلك كما يلي :

تحدثنا في مستهل هذا الفصل عن احركة التبشيرية في القرنين اللذين سبقا النهضة، وقلنا ان اليسوعيين عادوا عام ١٨٢١ الى سورية بعد ان غادروها عام ١٧٧٣ بامر من البابا . وكان السبب المباشر لعودتهم هو تناظر البعثات الاميركية الى سورية . واولى هذه البعثات هي الانجيلية المشيخية (البريسبترية) وقد جاءت عام ١٨٢٠ واسست لها مركزا في بيروت . وقد لاقى افرادها صعوبات كبيرة في نشر مذهبهم لانهم كانوا يعتمدون على نشاطهم وجهدهم فقط دون ان تكون لهم طائفة توازرهم وتناصر اعمالهم كما كان الحال مع اليسوعيين . وكانت اعمالهم صعبة شاقة خاصة قبل الفتح المصري . ولكن بعد ان تم ذلك الفتح وعلى اثر الاصلاحات التي قام بها ابراهيم باشا^(١) وكان من نتائجها الحميدة ظهور روح التسامح واتسعت اعمال الانجيليين وتيسرت، واحذت تتوافد بعونهم الى بيروت وتنتشر في معظم انحاء سورية . وقد ظهرت جهود المبشرين الاميركيين الثقافية في مجارى النشاط الاتية :

- ١ . انشاء المدارس وقد بلغ عددها عام ١٨٦٠ ثلاثا وثلاثين مدرسة
- ٢ . تأليف الكتب وطبعها وقد استخدموا لذلك بعمر كبار ادياء العصر كناصر الدين البازجي وبخروش البستاني .
- ٣ . تدريب المعلمين ليعلموا في مدارسهم وقد حوّلوا المدرسة العليا التي انشأوها في عبيّة الى دار لتدريب المعلمين .
- ٤ . تأسيس الكلية السورية الانجيلية في بيروت عام ١٨٦٦ ، وبعد هدوء الحالة في البلاد عقب فتنة السنين ، وبعد ان نال جبل لبنان نوعا من الاستقلال الاداري . وقد صدر الامر بتأسيسها من مجلس ولاية نيويورك بتاريخ

(١) لقد كانت لابراهيم باشا جهود حثيثة في عقل التعليم . فقد اخذ بطبعه بعضاً من النظام التعليمي الذي وضعه ابراهيم في مصر ، وقد كانت مدارس في سورية تفتح للثبات في سلك الهندسة وببذرة في نفوس الناس بفرهوني القوي العرب

١٤ ايار عام ١٨٦٤ وقد افتتحت في عام ١٨٦٦ . وقد كانت اللغة العربية لغة التعليم في الاربع عشرة سنة الاولى * وان اولئك الجهابذة الابطال (فانديك) و(لورنتات) و(يوسط) تغلبوا على كل الصعوبات بجدهم واجتهادهم فالفوا الخطب في الصفوف باللغة العربية وترجموا والفوا بها في كل الفروع العلمية وهي لعمر الحق مآثرة يذكرها لهم الشرق بالشكر والاعجاب .

ولكن التقدم السريع في العلم والصناعة في اوروبا وامريكا وتعذر السير مع هذا التقدم باعداد الكتب الجديدة وقلة عدد الاساتذة بالنسبة لازدياد عدد الطلبة فضلا عن الرغبة الشديدة في البلاد لاتقان اللغة الانكليزية او الافرنية - كل هذه الاسباب مجموعة حملت العميد على اقرار اللغة الانكليزية لتكون لغة التعليم . وفعلا جرى الانتقال في صيف سنة ١٨٨٠ في القسم العلمي وفي صيف سنة ١٨٨٢ في القسم الطبي ^(١).

وبعد ان استردت هذه المؤسسة قوتها على اثر الحرب العالمية الاولى، سمعت هيئة الامناء لترقيتها الى جامعة، وقد تم لها ذلك عام ١٩٢٠ . وقد لعبت هذه الجامعة دورا هاما في توجيه تفكير ابنا الشرق العربي . واليها يعزى فضل ايجاد اجيال من المثقفين، الذي حققوا لاطنانهم خدمات جللى تسطر لهذه الجامعة بمداد التقدير والاخلاص . وقد قال منها احد المتخرجين :

" وكيف يستطيع المرء ان يحصي الفوائد التي اسبغتها هذه الجامعة على البلاد العربية وبأى مقياس نقيسها في غضون ٢٥ سنة درس فيها او تخرج منها عشرات الالوف من الشبان . وانتشروا في كل انحاء البلاد كمعلمين وكتبة واطباء وصيادلة وقضاة ومحامين وتجار . وزرعوا تلك البذور التي حملوها من الجامعة فانثرت بالنهضة العلمية والوطنية التي كانوا اول الزوار فيها ، كما شهر لهم كثيرون من المفكرين في الشرق والغرب . وحسبنا ان نأتي بمثال واحد ونذكر ^(٢) مجلة المقتطف التي ولدت في الجامعة وتخرج منشأها منها وكانا من جملة اساتذتها ."

(١) مجلة المفتح العربي السنة الثانية (١٩٢٠) مقال لفضلوهوراني في العدد الثامن (٢) نفس المصدر

اما المبشرون الفرنسيون فقد ظهرت جهودهم في ميادين مشابهة لما

ذكرنا واهمها :

١ . تأسيس المدارس . وقد كانوا انشط من الاميركيين في تعليم الذكور . وقد اسسوا المدارس في بيروت ١٨٣١ وغزير ١٨٤٣ ودمشق ١٨٧٢ وحلب ١٨٧٣ . وكان لمدرسة غزير اهمية كبيرة اذ انها انتقلت الى بيروت عام ١٨٧٥ واصبحت تعرف باسم كلية مار يوسف . وعنها يقول الاب لويس شيخو ، وفي حديثه يظهر اثر النزاع بين البروتستانت والكاثوليك انذاك :

" سبقت كليتنا مدرسة غزير التي فتحت اولا سنة ١٨٤٣ لتهديب الكليروس

الشرقي من سائر الطوائف الكاثوليكية . وما لبث ان طلب اليها نزلاء الشام من الاوروبيين ثم الاهلون من الوطنيين ان تلحق بتلك المدرسة قسما لتهديب اولادهم فتم الامر نحو السنة ١٨٥٠ . وكان عدد وافر من التلامذة الخارجيين من بلدة غزير ونواحيها يقبلون على دروس تلك المدرسة التي اشتهرت في انحاء لبنان وجهات الشام ومصر ومنها خرج في مدة السنين الاثنتين والثلاثين التي ثبتت فيها (١٨٤٣ - ١٨٧٥) عدد مذكور من رجال الدين والدنيا الذين شغلوا في الوطن وخارجا عنه المناصب الشريفة بينهم البطارقة والاساقفة الاجلاء والكهنة والرهبان والقناصل وعمال الدول واعيان الوطنيين والاجانب ولم يزل يذكرها بالخير كل من تخرج فيها .

على ان مدرسة غزير لوقوعها في الجبل بعيدا عن مراكز الاشغال ولضيق

ابنيها ما كانت لتفي بمرغوب منشئها لا سيما ان رأوا ان الارسالية الاميركية اخذت في بيروت تزداد نفوذا وجاهها بكليتها البروتستانية التي كان يتردد اليها عدد من ابناء الكاثوليك فيمارسون رتبها الدينية ويعملون شيئا فشيئا عن دين ابائهم المستقيم الى الاضاليل البروتستانية وحرية الضمير . وكان ذلك الداعي الاكبر الى نقل مدرسة غزير الى بيروت بعد ان تجول منشئها الاب امبروسيوس مونو مدة سنتين في انحاء امريكا يلقي المحاضرات عن الشرق ويجمع حسنة المحسنين

للفائز المذكورة^(١) ١٩٠٠

٢٠ في طبع الكتب القديمة والحديثة من علمية وأدبية . وقد أسسوا أول مطبعة لهم عام ١٨٤٢ وكان إنتاجهم فيها محدودا الى ان استعملوا الحروف المنفصلة عام ١٨٥٣ .

وفي تلك الفترة اخذ النشاط يدب في غير اليسوعيين من البعثات التبشيرية الكاثوليكية الاجنبية كالعازاريين وراهبات المحبة وغيرها من الجمعيات الدينية التي قامت بتأسيس المدارس للبنات ولصغار الذكور في بيروت وبعبك ودمشق ومناطق مختلفة من جبل لبنان . وفي عام ١٨٦٠ عندما قامت الفتن الداخلية هوجمت مؤسساتهم الا انهم استعادوا نشاطهم بعد هدوء الاحوال في البلاد . وعادوا الى تقديم خدماتهم للنهضة الحديثة .

ولقد امت سورية بعثات اخرى عقب فتنة الستين كالبعثة البريطانية والبعثة الروسية . وقد ادت هذه خدمات جلّ في ميداني التعليم والاسماء الطبي .

هذه هي اعمال المبشرين الثاقبة . وقد كان لها كما قلنا اثر فعال في ايقاظ افكار الفكر الاوروبي الى العقل العربي . ذلك الايقاظ الذي ولد حركة تجديد كانت اسرع واكثر تحولا منها في مصر ، خصوصا في البيئات المسيحية في لبنان . وفي مدارس المبشرين هذه ، نشأ الجيل الجديد متأثرا بالروح العلمية يستقيها من تلك المدارس بالاضافة الى دراسات اوسع كانت تتاح لبعض القادرين من الشبان في مدارس اميركا واوروبا^(٢) .

⁺ وقد كانت حركة التجديد في سورية مفعنة في التوسع حتى انها في اكثر الاحيان كانت تفقد التوازن بين القديم والجديد . ومن المع الشخصيات السورية في تلك الفتنة اديبنا الشدياق ، الذي يعد زعيم المجددين دون منازع ، ففي كتابه الساق نلص روح كاتب مجدد الى ابعد حدود التجديد . قامت هذه الحركة

(١) خطته بويل كلية مار يوسف ١٩٠٥ (٢) رجعت الى نقطة العرب " ص ٢٥ - ٢٠ لدمشق، هذه الاقهار

في سورية وحاول المجددون ان يتنكروا لادبهم القديم . فقامت على اثر ذلك حركة الاصلاح المعاكس للدفاع عن القديم . فقد ادرك انتصاره ان المعركة بالنسبة للغة وما توورت من اساليبها هي معركة موت او حياة . ولذلك يشوجب عليهم ان يصمدوا في الكفاح وان يبدأوا ببعث اللغة من جديد . خاصة بعد فترة الركود التي بدأت بالحكم التركي والتي تهلل فيها نسج اللغة وكثرت الاخطاء ونشاع اللحن . وقد اتخذت هذه الحركة في مصر وسورية اتجاهين مختلفين - ففي سورية اتخذت شكل نقطة عريضة قومية . وبعث للغة العرب واساليبهم في القرون الوسطى قرون الازدهار بالنسبة للادب العربي .

وتفترن الحركة باسم الشيخ ناصيف البازجي (١٨٠٠ - ١٨٧١) الذي كان رائدها الاول ودعائها القوية . والذي كرس حياته لاسترجاع اساليب اللغة القديمة والقضاء على كل محاولة للتجديد سواه في النطق او في الاسلوب .

ولد البازجي في كفر شيما من قرى الساحل اللبناني . تلك القرية الغنية المعطاء . التي قدمت للنهضة الحديثة نفرا من خبرة رجالها ومنهم آل البازجي وآل السبل وآل تقلا وآل الشدودي وسواهم . وكان ابوه عبد الله من المتطبيين في ذلك العصر . درس اصول الطب العربي القديم على بعض رهبان الشوير . واخذ يمارسه حتى برع فيه . وقد كان الى جانب ذلك ميالا الى الادب يطالع منه ما يقع تحت يديه ويحفظ الكثير من مآثور النظم والنثر . كما انه كان يعاني النظم في بعض الاحيان .

في هذا الجو الذي كان يسمو على غيره من الاجواء في تلك الاونة . نشأ ناصيف محبا للعلم والادب . اما التعليم الذي ناله فلم يكن يختلف عما يتناوله الحدث في ذلك الوقت . من معلومات يدائية في القراءة والكتابة يتلقاها من قس القرية . الا ان ناصيف المتشوق الى العلم والمعرفة لم يكتف بهذا القدر ولم يكن جمود ذلك العصر ليخنق من هبتيته . ان انه عندما خلق مبادئ القراءة

واللغة . ذهب ينهل العلم من ينبوع آخر . كان هو فيه المعلم والتلميذ . فقد قصد
الاديرة يفتش فيها عن المخطوطات ليلتهم ما فيها . ويحفظ ما يروق له وينسخ ما
يحتاجه . وقد اتيج له بهذه المطالعات ان يشعرف على جزء غير صغير من تراث
العرب في الادب واللغة . ذلك التراث الذي كان يجهله اكثر اهل العصر . والذي
طمسته يد الاستعمار والظلم . على اثر هذه المطالعات المتواصلة في ادب العرب .
تنهت في ناصيف روح المروية . فاصبح يحب العربية واهل العربية . وفتح على
نفسه عهدا ان يحمل لواها . وان ينشر اسمها . وان يعرف الناس الى هذا التراث
المهم . وان يبيت في نفوس القوم حب العربية والعرب .

وقد بلغ من الشهرة حدا جعل الامراء والحكام يخطبون وده . ويستعملونه
في وظائفهم الكتابية . ومن الطبيعي ان يلجأ اليه المبشرون الاميركيون ليؤلف لهم
الكتب التي يحتاجونها في مدارسهم . وعندما قطن الشيخ ناصيف بيروت . اصبحت
داره قبلة المتأدبين الذين كان يجلس اليهم ويحدثهم في شؤون اللغة والادب .
ويتلو عليهم النوادر والحكايات الثريفة التي يعثر عليها في بطون الكتب . كل
هذا كان له اثره في تنبيه النفوس الغافلة وتأليف القلوب المتناثرة على حب العربية
والعرب . واول من علق هذه الروح . وتغلغل في نفسه حب اللغة هم ابنا
الشيخ ناصيف وعلى رأسهم ابراهيم الذي كان في الرعيلى الاول من القوميين .

ان حب الشيخ ناصيف للغة جعله يثبت بالقديم ويقاوم حركة التجديد التي
اشرنا اليها سابقا . ولكن تشبته هذا كان عملا احتياطيا اذ انه نظر الى حركة
التجديد بعين مخضة واستمع اليها باذن صماء .

ولقد امتدت اثار مدرسته بعد موته على ايدى تلامذته واشهرهم ابنه
ابراهيم (١٨٤٢ - ١٩٠٦) ولكنها لم يكتب لها البقاء اذ انها كانت نظرية لا
عملية وكانت بعيدة عن روح ذلك العصر .

وإذا ذهبنا نزن الجهد الذى بذله ناصيف ومدرسته في حقن النهضة الأدبية الحديثة وجد انه بعد بحزن دعاية قوية من دعاتها . وهذا لا يعني انه وضع اسر الاتجاه الذى سارت عليه هذه النهضة، ولكنه بتصمكه بالقديم من اساليب اللغة والفاظها حد من تطرف المجددين . الذين كانوا على وشك الانمحاء في اسلوب للتعبير جديد عليهم بعيد عما افته لغتهم من اساليب^(١) .

هذان التياران تيار التجديد المتعذب - وتيار المحافظة الحامدة . اوجدا حركة وسطا في التي كان يتولى زعامتها المعلم بصري البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣)^(٢) وقد اخذ من كل اتجاه بطرف . وجمع بين القديم والحديث . تمسك بالقديم اساسا للقول والتعبير كما انه احتار من لقاح الفكر الجديد كل قيم ومفيد .

كان المعلم بصري رأس حركة الاعتدال هذه . وقد حصل على احسن تعليم يمكن الحصول عليه في ذلك العصر . فقد تلقى تعليمه الابتدائي في مدارس " تحت السديانة " . حيث كان خوارنة الضيع يعلمون صبيان رعياهم ببساطة معارفهم وقوة مثلهم مبادئ العربية والسريانية مع خدمة القدار وامول الفضائل المسيحية السامية . في تلك المدرسة كان الخوري ميخائيل البستاني يهذب صفار الضيعة . ولاحظ ذكاه نادرا في اثنين من تلامذته هم مترجما الصغير^(٣) وتربة شبلي ابن الخوري يوسف البستاني فاخبر بهما المصران عبد الله البستاني رئيس اساقفة صور وصيدا الذى كان مقيما اذ ذاك في بيت الدين طامعة الامير بشير . فاهتم المصران بالامر واستقدمهما الى كرسيه . وبعد ان تحقق ذكاهما ارسلهما الى عين ورقة كبرى مدارس ذلك العهد^(٤) .

وفي عين ورقة درس البستاني اللغات العربية والسريانية واللاتينية والابطالية وتلقى مبادئ المنطق والفلسفة واللاهوت والحساب والتاريخ والجغرافيا . ولما انتهى دراسته فيها حاول البصيريك ان يرسله الى رومية لانها دروسه العالية في اللاهوت ولكن امه التي كانت بحاجة اليه مانعت في ذلك . فبقى الى جانبها يعاني

(١) رجعت في اخباره الى المراجع عدد ١١ والى ١١٢٢ بم شاهير الشرق . ص ٣٢ (٢) رجعت الى المراجع عدد ١١ والى ١٢٢٢ بم شاهير الشرق . ص ٣٧ (٣) الحديث عن بطرس البستاني (٤) المراجع عدد ١١ ص ٣٦

مهنة التعليم ويدرس اللغة الانجليزية حتى جاء عام ١٨٤٠ فكان فاتحة خير له . اذ هبط فيه الى بيروت واستوطنها . ومنذ ذلك الوقت بدأت علاقاته مع المبشرين الاميركيين . فقد تعرّف الى ايلي سميث وكورنيليوس فاندريك واعتنق المذهب الانجيلي ، واخذ يعمل مع المبشرين في مدارسهم ويؤلف لهم الكتب المقررة كما كان يفعل زمينه ومعاصره الشيخ ناصيف . وقد كانت له قدرة فائقة على تلقي العلوم وضمها ، كما ان انتاجه فيها كان غزيرا . وقد كان متنوع الثقافة ، يدرس الادب واللغات والتاريخ والجغرافيا والرياضيات والطبيعات ، وكان يعطي كلا منها جزءا من وقته ومجهوده . وقد اشترك مع ايلي سميث في ترجمة الكتاب المقدس بعد ان اتفن جميع اللغات التي كتبت فيها النصوص الاولى منه . وبعد الفراغ من هذه الترجمة تفرغ الى تأليف معجمه " محيط المحيط " ومختصره " قطر المحيط " وقد جمع فيهما الالفاظ العربية القديمة الى جانب المصطلحات الحديثة التي جددت في النهضة الاخيرة . ويظهر ميله الى التجديد في قاموسه هذا وفي دائرة المعارف التي قام بها منفردا وهي مجهود شاق ليس من اليسير ان يقوم به شخص بمفرده . ولكنه عمل يجب ان تتولاه لجان مختصة . وقد افرغ فيها من المعلومات كل طريف ومفيد . راجعا في ذلك الى مصادر عربية والفرنجية في مختلف العلوم والفنون . وقد اتم منها قبل وفاته ستة اجزاء وقسمها من السابع ثم جاء ابنه سليم (١٨٤٨ - ١٨٨٤)^(١) وغريبه سليمان (١٨٥٦ - ١٩٢٥)^(٢) واكملها حتى الجزء الحادي عشر .

هذا الا ان الخدمات التي اداها بطرس البستاني الى امته لم تكن في هذا الحقل فقط ، بل امتدت الى حقل الوطنية والقومية . فقد كانت حوادث الستين وما تبعها من بغضا وحقد بين العرب سكان هذه البلاد حافزا قويا له الى ان يعمل في الحقل الوطني . وقد تجلّى نشاطه في ذلك في اتجاهين :

١ . الاتجاه الادبي باصدار النشرات والمجلات

٢ . الاتجاه التربوي في مدرسته الوطنية

(١) زيبان ج. ٤ ص ٧٤ ، (٢) ادباء العرب ص ٣٣ .

النشاط الادبي

سعى البستاني بعد فتن الستين الى تخفيف وطأة التباغض الديني ، والحد من قوته . فاصدر جريدة " نفير سورية " عام ١٨٦٠ وهي نشرة صغيرة الحجم كانت تصدر مرة كل اسبوع . وقد بث فيها افكاره في الوطنية والقومية ، كما انه سعى الى تأليف القلوب ونبذ البغضاء والتشاحن ، وحث على طلب العلم الذي ينور القلوب ويضيء العقول ، وبهذا يقضى على التنافس والتباغض ، وهناك ما قاله عنها طرازى في " تاريخ الصحافة "

" وقد جعلها على شكل رسائل وطنية تتضمن نصائح مفيدة لشدة عرى الالفه بين السكان على اختلاف مذاهبهم كالاسرائيليين والنصارى والمسلمين والدروز . ثم اوقف نشرها بعد استئجاب الراحة في هذه البلاد وخلود الناس الى السكينة . وظهر من هذه النشرة ثلاثة عشر عددا موسومة بالنفير الاول والنفير الثاني حتى الاخير ، بدلا من العدد الاول والعدد الثاني الخ . كما جرت العادة . وقد اتحفنا خليل مركيس صاحب جريدة " لسان الحال " بفقرة منقولة عن " نفير سورية " فاقبتناها هنا بالحرف الواحد :

" يا ابنا الوطن !

" ان الفظائع والمنكرات التي ارتكبتها اشقيائنا هذه السنة كسرت القلوب واسالت الدموع وعكرت صفا الالفه واضاعت حق الجوار . اما تعالج الجاران ؟ اما شربتم ماء واحدا ؟ اما تنشقتم هوا واحدا ؟ اما رأيتم العقلاء ساعين في تشييد اركان الالفه ورفع منار العلم رغبة منهم في ارتقاء البلاد وسعادة العباد ؟ اعلموا انكم بعملكم المنكر قد ارجعتم الوطن الى الوراء نصف قرن الخ . الخ . هداانا الله واياكم الى سوا السبيل .^(١)

هذا وقد اصدر البستاني عام ١٨٧٠ مجلته الجنان وكانت سياسية ادبية تصدر مرة كل اسبوعين . وقد اتخذ لها شعارا " حب الوطن من الايمان " . وكانت تحمل رسالة النفير ولكن على نطاق اوسع . انه كان ينادى منها دائما بطلب

العلم ويبيث نماذجها وابحاثه على صفحاتها حتى أصبحت رائد القوم الاول نحو حرية التفكير وحرية المذهب .

النشاط التربوي :

لم يكتف البستاني باصدار نفير سورية لتنبيه اذهان القوم ، ولكنه كان يؤمن ايما ما لا يفسده زرع في منافع التربية واثرها في خلق الجيل الحديد لذلك اسس مدرسته الوطنية في بيروت عام ١٨٦٢ "اسسها على الحرية الدينية ومبدأ الجامعة الوطنية العثمانية فتقاطر اليها الطلبة من سائر انحاء الشام ومصر والاسنانة وبلاد اليونان والعراق وغيرها ، فذاع صيتها في الافاق وظهر فضلها على رؤوس الاشهاد فانعمت عليه الحضرة السلطانية بنيشان عال تنسيطا له ومكافأة لخدمته . وقد تولى ولده المرحوم سليم البستاني نيابة رئاسة المدرسة وكان متضلعا في العلوم الحديثة فكان يدرس التاريخ والطبيعيات والصف الاول في اللغة الانجليزية^(١) .

وقد كانت سيرة البستاني مثالا يحتذى من حيث الاخلاص والوطنية وصدق العزيمة والمثابرة على العمل المنتج . وانا اعتقد ان المعلم بطرس البستاني هو رجل القرن التاسع عشر في سورية ، وهو رمز هذه النهضة التي عمت جميع نواحي الحياة .

هذا هو سر سريعي لتباشير النهضة في سورية . الا ان النشاط السوري فيها يكاد يتبلور في الاتجاهات الآتية :

الصحافة

ظلت الصحافة المصرية رسمية حتى عام ١٨٦٦ حين اصدر الشيخ ابو السعود صحيفته الاسبوعية " وادي النيل " في القاهرة . هذا بينما نشأت في سورية هذه صحف يومية حرة بين عامي ١٨٥٥ و ١٨٦٠ . وذلك راجع في الاكثر الى اضطراب الاحوال السياسية فيها ، ذلك الاضطراب الذي نشأ عقب خروج العثماني

(١) تراجم مشاهير الشرق ج ٢ ص ٢٩٠

المصرية وحرب القرم وفش السنين . واول جريدة عربية غير رسمية هي "مرآة الاحوال" وصاحبها هو رزق الله حسون الحلبي اصدرها سنة ١٨٥٥ اثنا حرب القرم بين السلطنة العثمانية وروسيا . وهي اول صحيفة عربية نشأت في عاصمة السلطنة وعاشت نيفا وسنة . فكانت تنشر وقائع الحرب المذكورة واشياء اخرى من احوال بلادنا السورية لا سيما لبنان وبعلمك وحاصبيا وغيرها . وقد اتضمت فصولا لا تخلو من تفحيج الاتراك والتنديد بأعمال الحكومة العثمانية لان حسون كان حر الافكار طويل الباع في الانشاء حر الهجوم في الشعر كالفرزدق . فقصم الباب اعالي على القا القبر عليه فقر هاربا الى الروسية فحكم عليه الاتراك حكما غاييا بالاعدام^(١)

ثم صدرت "السلطنة" عام ١٨٥٢ وصاحبها هو اسكندر شلهوب السوري الاصل . وهي ثانية الصحف العربية السياسية في عاصمة السلطنة وسائر الممالك العثمانية . وما كادت تظهر لعالم الوجود حتى عطلها صاحبها قبل بلوغها تمام السنة من عمرها^(٢)

ثم صدرت "حديقة الاخبار" في بيروت عام ١٨٥٨ وهي سياسية علمية تجارية تاريخية . وصاحبها هو خليل الخوري اللبناني . وهي اول جريدة عربية صدرت في المملكة العثمانية خارج الاستانة . كان في عزمه ان يجعلها صومية وسماها "الفجر الضير" ثم عدل عنه الى "حديقة الاخبار" وبعد سنتين من صدورها صارت حوادث سوريا سنة ١٨٦٠ وجاء فؤاد باشا مندوبا لتسوية مسائلها فاقترح على صاحبها ان يجعل جريدته شبه رسمية وهينت له الحكومة راتبا شهريا ريثما ظهرت جريدة "سوريا" الرسمية . وجعل فرنكو باشا حاكم لبنان يومئذ جريدة "حديقة الاخبار" رسمية للبنان مدة . ولم يطل دفع الرواتب ولكنه ما زال يصدرها الى وفاته سنة ١٩٠٧ وصدرت بعده الى سنة ١٩٠١^(٣)

(١) كتاب في الصحافة ج ١ ص ٥٥ (٢) نفس المصدر (٣) كتاب آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٦٤ كتاب في الصحافة

وقد صدرت غير هاتين الجريدتين جرائد أخرى ولكن أشهر صحيفة غير حكومية قامت حوالي ذلك الوقت هي جريدة "الجوائب" التي أصدرها في الإستانة أحمد فارس الشدياق عام ١٨٦٠ . وقد انتشرت الجوائب انتشارا عظيما في الشرق والغرب ونالت شهرة واسعة لم تنلها جريدة سواها منذ ظهور الصحافة العربية حتى ذاك العهد . فكان يقرأها سلاطين العرب وملوكهم وأمراؤهم وعلمائهم في تركيا ومصر ومراكش والجزائر وتونس وزنجبار وجاوا والهند وغيرها . وقد ساعد السلطان عبد العزيز على توسيع نطاق هذه الجريدة لبث فكرة الخلافة النبوية بين المسلمين المنتشرين خارجا عن الدولة العثمانية . وكان أحمد فارس يقبر كل سنة خمسمائة ليرة عثمانية من السلطان المثار إليه لهذه الغاية . وكان كل من اسماعيل باشا خديو مصر ومحمد الصادق باشا باي تونس ينفحه بمثل المبلغ المذكور لأجل خدمة أفكارهما وترويج مصالح بلادهما^(١).

وقد أبدى السوريون في مصر نشاطا عظيما في ميادين الأدب المختلفة ولا سيما في الصحافة . وقد اشتهر بينهم يعقوب صروف (١٨٥٢ - ١٩٢٢)^(٢) الذي أضاف إلى الفكر العربي ثروة علمية كبيرة بنها في مجلة المقتطف شيخ المجلات العربية . وكذلك جرجي زيدان (١٨٦١ - ١٩١٤)^(٣) الذي قدم للنشر العربي خدمات جلّ في اللغة والأدب والتاريخ . وقد كان مصاميا في دراسته وكان إنتاجه واسعا ومتنوعا وقد كان علم الثقافة ملما بمنهج البحث الأوروبي التي حاول أن يدخلها إلى الأدب العربي الحديث بطريقة علمية . وربما فاق تأثيره تأثير الشيخ محمد عبده من حيث توجيه الأدب العربي الحديث طمة نحو التجديد والكمال .

هذا وقد لعبت الصحافة دورا هاما في إصلاح اللغة العربية والنهوض بالبيان العربي الحديث . إذ كانت مدرسته لتدريب الناشئين من الكتاب وكما أنها اعتادت في تحريرها أسلوبا حديثا ينمى مع روح العصر . فقد أصبحت اللغة القديمة بما فيها من أغراب وتخيّر للفظ الحوشي الصعب وميل إلى الأسلوب المتوارث

(١) تاريخ الصحافة ج ١ ص ٦٤ (٢) راجع مجلة الجمع العلمي العربي مجلد ٨ ص ٥٧ والمقتطف مجلد ٧١ (٣) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٢٥٢

الذي تنكسر فيه الشخصية وتبرز الصنعة بعيدة كل البعد عن متطلبات العصر ومطلحاته، كما انها كانت طاجرة عن نطل الافكار الحديثة، وعمل الرسالة التي تعهدت الصحافة بها انذاك حتى ان لغة البستاني ومدرسته مع انها كانت اسهل تناولا واكثر استماعا واقرب الى روح العصر، اصبحت غير صالحة للتعبير الصحفي . اضاف الى ذلك ان اللغة العامية كانت ولا تزال غير صالحة للكتابة الادبية، لانفراد كل قطر بلهجته الخاصة . ولذلك كان العبء الذي القاه العصر على كواهل الصحفيين، اول ما قامت الصحافة، ثقيل، والمشكلة التي اعترضت سبيلهم لا يتيسر حلها في زمن قصير .

وقد لاقت لغة الصحافة بادئ الامر مقاومة من اللغويين والمنشئين، ووصم أسلوبها بالركاكة، ودفعت الغيرة على اللغة بعضهم الى ان يتناولوا الى الفاظ الصحف فيبين ما فيها من اخطاء^(١) ولكنها بمرور الايام اخذت تخلع عن نفسها هذه الوجمة، وشرعت تسير سعدا في سلم الرقي ولا سيما بعد ان قويت الحركة الادبية في مصر على اثر اثار اصلاحات اسماعيل، وبسبب الثورة الداخلية .

الجمعيات الادبية :

الجمعيات الادبية ثمرة من ثمرات هذه النهضة ونتيجة من نتائج انتشار روح الحرية الشخصية واحترام الفرد . وليس لها في تاريخها قبل هذه النهضة تقليد . اللهم الا اذا اعتبرنا اسواق الادب ومجالس بيوت الامراء وبيوت السادة والسيدات من هذا القبيل . وقد ظهرت هذه الجمعيات في سوريا اولا، على اثر الاحتكاك بالمهشرين الاوربيين .

وقد كانت اولى هذه الجمعيات الجمعية السورية^(٢) او جمعية الفنون والعلوم^(٣) كما يسميها زيدان . وقد اسسها الاميركيون ببناء على طلب تقدم به المعلم بطرس البستاني والشيخ ناصيف البازجي . وقد برزت هذه الجمعية الى الوجود عام ١٨٤٧، وكان بين اعضائها كورنيليوس فاندريك وعالي سميت وجرجس هواتين وهنري

(١) ابراهيم اليازجي في "لغة الجرائد" (١) تاريخ الصحافة ١٨٠ ص ٥٤ (٢) تاريخ اللغة العربية ج ٤ ص ٧٩، واحبار هذه الجمعية نجدها مفضلة في كتاب "بفكك العرب" ص ٥٤، وقد رجعت الى هذا المصدر كثيراً في هذا المعنى

دفرست وبطرس البستاني (أمين السر) وناصيف اليازجي والكولونيل تشرشل (وكان انجليزيا مقيما في سورية) وسواهم من انصار العلم والإدب . وكان اكثر اعضائها من النصارى المقيمين في بيروت ولم يكن بينهم واحد من المسلمين او الدروز . وقد كان لها مكتبة صغيرة يشرف عليها ناصيف اليازجي . وكانت تجتمع مرة في الشهر على الاقل ، وتلقى فيها الابحاث والمواضيع التي يحضرها الاعضاء . وقد عاشت خمس سنوات ، وبلغ عدد جلساتها فيها ثلاثا وخمسين اصدرت في نهايتها نشرة ضمت خلاصة لما قامت به من اعمال^(١) وهذه الجمعية هي نواة الجمعيات التقدمية التي ظهرت في هذا القرن واليها يعزى الفضل في تنبيه الازدهان الى العمل المشترك .

وطبيعي ان يحدث رد فعل لهذه الجمعية عند اليسوعيين الذين كانوا ينفسون على الاميركيين اعمالهم التبشيرية والتهذيبية . وهكذا يتقدمون الى تشكيل جمعية مماثلة في عام ١٨٥٠ . وقد اطلقوا عليها اسم "الجمعية الشرقية" وعقدت الجلسة الاولى في دير الاباء اليسوعيين في ١٧ من شهر كانون الثاني كما هو مسطر في سجلها المسمى تقويم الوثائق . واليك ما كتب منه على غلاته :

اجتمعت الجمعية الشرقية في بيروت في ١٧ كانون الثاني في الساعة الواحدة بعد الغروب ، وقررت في جلسة قانونية البنود الاتية التي قد تجددت ايضا في جلسة ١٠ اذار الاعتيادية .

اولا : ان غاية اعضاء هذه الجمعية هي الاستفادة والانفاذ ما امكنهم الى الغير بواسطة مشاركة الاعضاء بعضها الى بعض في العمل المقصود وحضور جملة اعضاء الذين تأييدا لمواظبتهم الجلسات يعدون الجمعية بالحضور او بالاعلام عن المانع اذا وجد .

ثانيا : انه اذا لم يفوا هذا العهد يلتزموا لاعطاء صندوق الجمعية غروني ١ لأول مرة وغروني ٢ لثاني مرة .

ثالثا : المباشر الجمعية يتولى المحافظة على توفية العهد المذكور .

وكان فيها اعضاء اجانب منهم الدكتور سوكة الشهير . اما معظمهم فكانوا من الوطنيين ولم نجد جدول اسمائهم وجرت اكثر مباحثاتهم باللغة العربية .^(١)

الا ان روح القومية العربية لم تنجل في هاتين الجمعيتين . ولو ان بعض اعضائهما كانوا يعنون هذه الروح . بل تجلت في جمعية هربية صرفة . اي اعضاؤها كانوا من العرب على اختلاف مللهم ونحلهم . مما يدل على ان التعصب الديني المفقوت اخذ يتلاشى بالتدريج امام العقل العربي الجديد . ولا ننسى هنا ما قام به كل من ناصيف اليازجي ويطرس البستاني في هذا السبيل . فقد نادى الاول بوجوب التأزر في خدمة اللغة العربية . بينما قام الثاني . فيما بعد . يقاوم التعصب الديني ويربي الروح الوطنية بوسائل علمية ناجعة .^(٢)

هذه الجمعية الوطنية هي "الجمعية العلمية السورية"^(٣) . وقد ظهرت عام ١٨٥٧ وامتد عملها واتسع . الا ان فترة الستين عطلت اعمالها بعمر التعطيل . ولكنها عادت قوية نشيطة . وظلت تعمل بكد واجتهاد حتى اعترفت بها الحكومة العثمانية رسميا عام ١٨٦٨ . وقد كانت تضم طائفة من الشخصيات البارزة في البلاد العربية ومن اعضائها (عام ١٨٦٨)

الامير محمد امين ارسلان	رئيس
حسين بيهم وحنين خوري وسليم بستاني	مميزون
عبد الرحيم بدران وسليم شحادة	كاتبان
سليم رمضان وموسى فريج	مصححان
حبيب الجلع	مدير اشغال
رزق الله خضرا	امين الصندوق

ومن الادباء او الوجهاء او رجال الادارة :
كامل باشا . اسير شقير . الشيخ ابراهيم اليازجي . حبيب اليازجي . خليل الخوري .
وعبد البديع اليافي ويوسف سرسق وسواهم . وكان بين اعضائها جماعة من كبار رجال السياسة والادارة بالامانة فهم فؤاد باشا ورندي باشا ومصطفى فاضل باشا .

(١) مجلة المشرق مجله ١٢ ص ٧٢ - ٧٨ من مقال ليو منفالبان سركيس (٢) هذه الآراء والاخبار اخذت من نسخة العربية ص ٤٧ وما بعدها (٣) راجع تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٨٠

وصفوت باشا ورؤوف باشا وغيرهم . وكان من اعضائها في مصر سليمان اباظة
واحمد اباظة .

هذه الجمعية التي ضمت رجال المروبة في مختلف اقطارهم هي اول بادرة
بشرت بخير في تاريخ الوعي القومي العربي . ومنها خرج صوت ابراهيم اليازجي
في قصائده القومية المشهورة والصفها بذاكرتنا واشهرها في نوادينا الادبية
البائسة التي مظلما

تنبهوا واستيقظوا ايها العرب
فقد طوى السيل حتى غاصت الركب
ومنها :

فيم التعلل بالامال تخدمكم
كم تظلمون ولستم تشتكون وكم
نتمردوا وانهضوا للامر وابتدروا
لانتم الفئة الكبرى وكم فـئـة
تم يشير الى الانراك :

سلاحهم في وجوه القوم مكرهم
لا يستقيم لهم عهد اذا عقدوا
وتأخذوا الحماسة القومية فيبيع :

بالله يا قومنا هبوا لسانكم
السم من سطوا في الارمروا فتحوا
فعاكم ويحكم اصبحتم هملا
لا دولة لكم يشتد ازركم
اقداركم في ميون الترك نازلة
فكم تنادىكم الاسفار والخطب
شرقا وغربا وغزوا اينما ذهبوا
ووجه عزكم بالهون منتصب
بها ولا ناصر للخطب ينتصب
وحكم بين ايدي الترك مغتصب^(١)

وقد انتشرت هذه القصيدة انتشارا واسعا لا في صحف والجلات ولكن
على السنة القوم . ان روحها الثورية كانت تحول دون نشرها او اظهار

(١) راجعها مع السبب والمجبة في "العوامل المطالة في الأدب العربي الحديث" ص ٦١

اسم قائمها^(١) . ولم تكن هذه النفثات الشعرية ينسج وحدها في تلك المهود بل
ظهر مثلها كثير في البلاد العثمانية والمهاجر . وكلها تنم على تخمير قومي احدثته
الاحوال الجديدة في نفوس الشبيبة لذلك العهد^(٢) .

هذه لمحة سريعة عن مبدأ نشوء الجمعيات الادبية في سورية عرضنا فيها
لاول الرواد ولجهودهم المختلفة في حقول الادب والعلم والقومية .

التمثيل :

تكاد تجمع آراء الدين حاولوا التعرّس للتمثيل عند العرب على انه بضاعة
جديدة استوردناها من الغرب كما استوردنا اشياء جديدة كثيرة في هذه النهضة .
وتكاد تجمع الآراء ايضاً على ان اول من حاول هذا الفن هو مارون نقاش من اهل
بيروت .

ولد مارون في صيدا في التاسع من شباط عام ١٨١٧ . ونشأ في بيروت
اذ جاءها ابوه تاركاً صيدا عام ١٨٢٥ . وكان مولعاً بالعلم والادب واللغات التي
اثق منها التركية والفرنسية والاطالية الى جانب لغته العربية^(٣) . وفي سن الثانية
عشر تعلق بنظم الشعر حتى فاق اقرانه . اذ ان شعره كان طلياً سهلاً مع خلوه
من العقادة والركاكسة^(٤) . وكان مولعاً بالفنون ولا سيما الموسيقى . ولكنه اضطر
بسبب ظروفه الخاصة ان ينقطع للتجارة وجمع المال . وفي سنة ١٨٤٦ سافر الى
مصر ومنها ذهب الى ايطاليا حيث قضى مدة من الزمن اطلع في اثرائها على
احوال الاوروبيين وعاداتهم . كما انه اعجب بمسارحهم . فلما عاد الى بيروت
تناول رواية " البخيل " لموليير وعربها ونقل حوادثها الى نحو عربي . بما فيه من
العادات والازياء والاثاث . وفي اوائل عام ١٨٤٨ قدمها في بيته الى اصحابه
بعد ان افحم فيها الموسيقى . وقد دعى قناصل الدول واجيان البلدة الى
مشاهدتها . فاعجب الناس بها ، وقدروا فنه ومواهبه وتحدثت عنها الصحف الاجنبية^(٥) .

(١) بتقطة العرب ص (٢) الصواصل الفضالة ص ٦٢ (٣) راجع لذلك "ارزة لبنان" ص ٤ ، ونارنج
آداب اللغة العربية ج ٤ ص ١٥٢ والرهلال (الكتاب الذهبي) ص ١٩٤٤ ص ٨٩ والسنة الاولى من
المستمع العرب ص ٦٦ ومجلة الكتاب السنة الاولى ص ٨٢ (٤) ارزة لبنان ص ٩ (٥) نفس
المصدر ص ١٠

وفي اواخر عام ١٨٥٠ قدم في بيته ايضا رواية "ابي الحسن المغفل" او هارون الرشيد "مقتبسا حوادثها من "الف ليلة وليلة" وقد دعى اليها والى سوريا وبعض وزراء رجال الدولة العثمانية وفتاى الدول واحيان البلدة . وقد اعجب الناس بها هذه المرة كما اعجبوا بسابقتها وشجعوه على المضي في هذا العمل الطريف المفيد . فلما لم يزل التشجيع منهم تقدم الى عمله بهمة ونشاط . واقام مسرحه الشهير الملاصق لداره خارج باب السراي^(١) وقدم في هذا المسرح "رواية الحمود السليط" وهي رواية اجتماعية في ثلاثة فصول شحنتها بالعظات والنصائح . واسلوبه في هذه المسرحيات يختلف بين الشعر والنثر المسجع واللهجة العامية المحلية ويعمد هارون نقائر بحق الرائد الاول لهذا الفن في نهضتنا . ولكنه توفي شابا عام ١٨٥٥ في طرسوس فخرست هذه النهضة بوقلاته ركنا عزيزا من اركانها . ولو مد الله في اجله لكان لهذا الفن شان اخر^(٢).

وحوالى عام ١٨٦٦ كان احمد ابو خليل القباني (١٢٥٢ - ١٣١١) يقدم اولى محاولاته التمثيلية في دار جده في دمشق^(٣) ووفق بوحى فضوته يخلق للعرابية نوطا جديدا للتمثيل هو خليط من هزل وجد وكلام وفن . يعرف عند الانرنج "بالاوبريت" وابدع ضربا حديثا يسميه الغربيون "باليه" واسمه عندنا رقص السماع^(٤).

ثم اتسع نطاق عمل ابي خليل . فخرج من دار جده الى الجمهور رغم تأخره . وعدم استعدادهم لقبول هذا النوع من الفن . ان كانت الحياة الفنية في عهدها البدائي لا تتعدى اماكن الغناء الشعبية ودور "كره كوز" اضاف الى ذلك فقدان الامن في الاحياء مما يجعل خروج الناس من بيوتهم لمشاهدة التمثيل لا يخلو من مخاطرة لا يقدم عليها الى القلائل^(٥) . ومن مسرحياته "وضاح" وهي رواية خيالية عاطفية مثلت امام الجمهور في كازينو الطليان في محلة باب الحايية عند سوق مدحت باشا . وقد شجعه ابو الاحرار على المضي في عمله هذا وامده بمال من صندوق البلدية فاندفع في فنه باخلاص والى له عدة مسرحيات . وقد اعجب الشعب بجهوده اول الامر اما اعجاب . الا انه الاعجاب الذى يظهر من المرء امام كل جديد . وهو

(١) هو هذه المسرحية بعد وفاته الى كنيسته كما اوصي به (٢) جمعت مسرحيات هارون النقاشه واخباره في كتاب "ارزة لبنان" (بيروت ١٨٦٩) (٣) حوالى عام ١٢٨٧ هـ (٤) منه مقال للدكتور ابراهيم الكيخيا في مجلة المعلم الجديد السورية العدد الاول من السنة الاولى (٥) منه مقالة لخليل مطران عنه منه التمثيل نشر في عدد المجلد الذهبى عام ١٩٤٢ ص ٩٠ (٦) المعلم الجديد ص ٤٧

اعجاب سرطان ما تحول الى مقاومة واحتقار من الرجعيين والمتأخرين . فكان ان
وشى به احد هؤلاء ، ويدعى الشيخ سعيد الغبراء ، الى السلطان عبد الحميد الثاني
في المسجد يوم الجمعة . فصدرت الارادة السنية بايقاف اعمال ابي خليل . ولم
يقف الامر عند هذا الحد ، بل انقض عليه العوام وصاروا يقاومونه ، فما كان منه الا
ان شت رحاله الى مصر كعبة الاحرار انذاك ، واقام له مسرحا خشبيا بالقرب من
العتبة الخضراء ، اتي بالمثلثات والمغنيات من سوريا . وقد لاقى فيه نجاحا كبيرا
واقبالا شديدا عند جمهور المصريين^(١) وعنه يقول الاستاذ زكي طليمات :

"على ان القباني لم يأت بجديد من حيث قالب المسرحية واقسامها ، فهو في
هذا كسابقيه متبع لا مبتدع ، يصب على قالب المسرحية الغربية كما انتهت اليه في
اواسط القرن الماضي ، كما ان نصيب شخوص مسرحياته من التحليل النفسي ضئيل
ومضطرب .

وانما الجدة فيما اعتقده هي انه كان يقتبس مواضيعه من حوادث التاريخ
العربي وما ورد في كتب الاخبار ، ومن اساطير " الف ليلة وليلة " مع ابتداء بعض
الحوادث التي تساعد على اظهار الموضوع وتمهد له وتحسن خاتمته . وبهذا جاءت
هذه المسرحيات في حبكة ضعيفة وسياقة ساذجة اذا قيست بالمسرحيات المعربة والمترجمة .

وفي هذه المسرحيات جدّة في الاسلوب فهو فيها افصح عبارة " وايبين عربية " من
اسلوب المسرحيات السابقة ، واكثر حمولة من السجع والزركشات البيانية . الا
ان السياقة اللغوية كانت تنتقل بين النثر والنظم بلا قيد ولا شرط ، كما هي الحال
في مسرحيات النقاش ومن نهج نهجه . وكانى بالمؤلف يرمي بهذا الى ان يقيم
بين المسرحية الناشئة الدخيلة وبين الوان الادب العربي القديمة والاصيلة وشايع
قريبى ولو في الاسلوب والمظهر .

وفوق هذا وذاك ، فان عامة هذه المسرحيات لم تكن مقصورة على مقومات
فن التمثيل فحسب ، بل تجاوزتها الى صميم الموسيقى والرقص ، فقد استقام خلط

الكلام بالغناء على حال اتم وابرز ما ورد في المسرحيات الاولى . كما انه انصح مجالا لنوع من الرقعة العربي الاجمالي القائم على السماع . وربما كان القباي هو مبتدع المسرحية الغنائية القصيرة *oprette* في المسرح العربي^(١).

واذا عدنا الآن الى لبنان وجدنا سليم النقاش ابن اخي مارون يوفد فرقة تمثيلية كان من افرادها اديب اسحق ويوسف الخياط . وبحث مطبته الى مصر عام ١٨٧٦ . فيصل الاسكندرية ويمثل فيها وفي دسباط والزقازيق والقاهرة^(٢) . وقد حملت هذه الفرقة معها مسرحيات مارون ، ومسرحيات اخرى ترجمها وعربها سليم النقاش واديب اسحق منها "الظلم" و"مي" و"المقامر" و"طائفة" و"اندروماك" . وقد انحلت هذه الفرقة بعد حين وانفصل عنها يوسف الخياط فقدم القاهرة عام ١٨٧٨ "فنشطه اسمايل وامران تفتح له ابواب الاوبرا لمثل بها رواياته ووعد ان يحضر التمثيل بنفسه . فمثل الخياط فيها رواية "الظلم" . وكان اسمايل حاضرا فغضب لما تخلل التمثيل من ذكر الظلم والظالمين . وتوهم انهم يعرضون به وباحكامه فامر باخراج الخياط وجوته من مصر فعادوا الى سوريا^(٣) .

وفي اثناء تلك المدة كان الشيخ خليل البازجي يكتب مسرحيته التاريخية الشعرية الغنائية "المروءة والوفاء" او الفرج بعد الضيق . في ثلاثة فصول . وقد اختار موضوعها من اشهر وقائع ملوك العرب الجاهلية واجدوها بالتمثيل اذ جمعت يوم البؤس والنعم وظهر فيها الفرج بعد الضيق وقد شخس فيها غوائل السكر وقباحة الظلم واكرام الضيف وكرم الاخلاق عند العرب ومثل فيها المروءة والوفاء في قراد الكلي والوفاء في حنظلة الطائي والظلم في النعمان ابن ماء السماء . واطهر بعد ذلك فضائل الدين المسيحي في فرضه الوفاء وحب الاعداء ولو تحت السيد . وزاد عليها من نفسه مثال الحب الخالمر الذي هو غاية الفضل ومنتهاه وفيه سعادة الانسان في دنياه . وصدرها بقصيدة طويلة بسط الكلام فيها على الاصول والاحكام الواجب مراعاتها في هذا النوع من الروايات مما وضعه من نفسه واستعار لها اسما مناسبة لها من لبالي القراء واتم نظمها سنة ١٨٧٦ وشخصها مرارا

(١) مجلة الكتاب مجلد ١ ص ٥٨٦ ، ومدة مسرحية القباي : هرون الرشيد ، الولادة ، غنترين استاد ، السلطان احمد حسن ، انيس الخليلي ، ملتي الخليليين ، ابو جعفر المصنوع ، هرون الرشيد ، والصبياد (٤) ، راجع لترجمته تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ١٥٤ (٥) المستمع العربي سنة اول عدد ٦ (٦) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ١٥٥

سنة ١٨٧٨ وقد طبعت الطبعة الاولى سنة ١٨٨٤^(١).

وقد كان في هذه المسرحية من تعجيد العرب وذكر محامدهم وفضائلهم
يضمن لها النجاح لو مثلت . الا انها من الناحية الفنية تعد محاولة ابتدائية ليس
لها حظ كبير من قوة الحكمة وانتظام السياق .

وفي أثناء تلك المدة كان الشيخ نجيب الحداد (١٨٦٧ - ١٨٩٩) . حفيد
الشيخ ناصيف البازجي ، يقوم بمحاولاته في تأليف وترجمة بعض المسرحيات ، التي لاقى
اكثرها اقبالا ونجاحا من جمهور القراء والناظرين . ومن مسرحياته "صلاح الدين
الايوبي" . والقصة للكاتب الانجليزي ولتر سكوت وترجمها ووضعها في شكل مسرحية .
وقد مثلت في مصر مرارا ونالت شهرة واسعة . ومسرحية "السيد" . ولكورنيل
الفرنسي ، نقلها الى العربية وسماها "غرام وانتقام" وقد مثلت مرارا . ومسرحية
"المهدي" وهي تاريخية تعبر عن حوادث المهدي السوداني . ومسرحية "حمدان"
عربيا عن "ارنيي" لفكتور هوجو . ومسرحية "شهداء الغرام" وهي معربة عن
مسرحية "رومي و جوليت" لنكسبير ، ومسرحية "الرجاء بعد اليأس" . و "البخيل"
وهي معربة عن موليير ، و "غصن البان" و "نارات العرب وسواها"^(٢) .

ولا نغفل هنا جهود فرح انطون السوري الاصل (١٨٧٤ - ١٩٢٢) وان
كانت متأخرة ، وهو احد الكتاب المتحررين المتطرفين في اواخر القرن العاشر واول
هذا القرن . وقد قدم الى الادب العربي الى جانب كتبه وتأليفه وترجماته في
الادب والاجتماع ، عدة مسرحيات بين معربة ومؤلفة . منها "صلاح الدين اوفتح
بيت المقدس" و "مصر الجديدة" و "بنات الشوارع او بنات الخدور" و "ابو الهول
يتحرك والفراشة ساهرون" و "البرج المائل" و "ابن اشعب" و "اوديب الملك"
و "الساحرة" وسواها^(٣) . وقد خدم بها المسرح العربي خدمات قيمة ، ومهد السبيل
لظهور مسرحية عربية ناضجة الصنعة مكتملة اساليب الفن .

(١) مقدمة الاستاذ نجيب مربي للطبعة الثانية (٣) رجعت في اثبات اسماء هذه المسرحيات الى مخطوط عن
فرح انطون بقلم الأئمة منبلة أديب ص ٥٠ (٤) راجع تراجم مشاهير الشرق ص ٤٩٩ - ٤٩٠ .

وبعد ، لقد استعرضنا فيما مضى حلقات من سلسلة تطور الفن المسرحي في ادبنا ، ووجدنا ان الحلقات الرئيسية في هذه السلسلة من صنع السوريين ومن صياغتهم . وهذا فضل يذكر لهم ويستجل لهم بقلم العثر في سجل النهضة الادبية الحديثة .

ادب المهجر

ربما نخرج عن غرض هذا الفصل ، بل نخرج عن محيط الكتاب ، اذا تتبعنا حركة الادب في المهجر واعتبرناها من هبات السوريين التي تفردوا بتقديمها الى ادبنا الحديث . ولكن رغبة في استيفاء البحث ، وجدنا من المناسب ان نتناول بايجاز مفيد هذه الحركة الادبية القوية التي بدأ نموها في اواخر القرن الماضي .

لعل من الاسباب المباشرة لحركة الهجرة هذه ، الحاجة الملحة التي جرّها على ابناء هذه البلاد الضغط الاقتصادي الذي جاء نتيجة لتدابير العثمانيين بعد فتنة الستين وفي ذلك يقول اوغست اديب باشا :

فالسبب الاول في مهاجرة الالوف من اللبنانيين الذين في عتقوان العمر كل عام - تلك المهاجرة التي خففت عدد سكان لبنان الى ثلاثة اقسام ما كان يجب ان يكون في احوال عادية - هو القانون الاساسي الذي وضع سنة ١٨٦١ وسنة ١٨٦٤ فان اشد ضرر جلبه على لبنان الذي انما وضع لاجل نفعه هو حصره ذلك الحبل في حدوده الحالية لانه لو كان وضع هذا التحديد على قاعدة العدل والحق والسياسة البصيرة فضعفت الى لبنان الاراضي والثغور البحرية التي هي ملكه من اوجه كثيرة لكان القسم الاكبر من تيار هذه المهاجرة قد تحوّل الى اراض خصبية هي الان مهمة والى مدن طامة كان في وسع اللبنانيين ان يطلقوا العنان لنشاطهم فيها بل ما كنا رأينا ذلك المشهد المؤلم ، مشهد اناس في ضنك شديد من العيش يرمون من اعالي صخورهم نظرات اليأس الى ما عند سفح جبلهم من السهول الواسعة الخصبة التي يقصيم عنها اختلال الامن واستبداد الحكام العثمانيين ومرمر الارثشاء المنتشر فيها .

وسبب اقتصادي آخر لهذه الهجرة هو امتلاك اصحاب الاقطاعات الاراضي الزراعية في الجبل فقد كان الفلاح اللبناني احيانا خصوصا في القرن الماضي وفي مستهل هذا القرن عرضة لظلم صاحب الارض من اصحاب الاقطاعات يستبيح هذا اتعابه ويصده عن التقدم في المجتمع فكان هنالك التفاوت من الوجهة الاقتصادية وعدم المساواة من الوجهة الاجتماعية^(١).

هذا هو الدافع الاقتصادي للهجرة . وهناك دافع سياسي وهو ضغط حكومة الاسنانة على رعاياهم ولا سيما على غير المسلمين منهم . والسبب في ذلك انها لضعفها وتهاونها اونة ذاك كانت تخشى من كل حركة تحريرية تبدر بوادرها بين الشعب وتحاول خنقها في المهد . لذلك كانت تأخذ بالشبهة وتجرّم المجرم لضعف الشكوك . مما جعلهم يحاولون ان يزعجوا عن كواهلهم عبء هذا الضغط بالمهاجرة اما الى مصر . حيث مجال العمل اوسع واكثر اظهارا للكفاءات . او الى اوروبا او الى اميركا حيث ينتشقون عير الحرية المنعصر .

هذان هما السببان الرئيسيان للمهاجرة . ويلحق بهما اسباب اخرى مساعدة منها " نجاح بعض المهاجرين الذين سبقوا واخبار ثروتهم^(٢) ومساعدة السابقين من المهاجرين للاحتيين من ابنا وطنهم " وما انطوى عليه اللبناني من الميل الفطري للرحلة والهجرة وحب الكسب وتحسين حياته^(٣) وسواها من الاسباب التي كان لها اثر كبير في بناء هذا الجزء الجديد من العالم العربي .

وبهذا نرى جالية سورية تنشا في اميركا في العقد الثامن من القرن الماضي . وهذه الجالية تأخذ في النمو والانتاع حتى يصبح عددها الان (١٩٤٨) حوالي نصف المليون في الشمال والجنوب^(٤).

والذي يمتنا من هذه المعجالة هو الوجه الفكري من هذه الحركة . وهو وجه مشرق ناصع . فقد كتب للكثيرين من هؤلاء المهاجرين ان يبرزوا في الادب بمعناه

(١) "لبنان بعد الحرب" تأليف ادغنت اديب بامنا وتصريب السبح فؤاد هبيش ص ١٠٤ (٢) المهاجرة اللبنانية طينال شبي ص ١١ (٣) نفس المصدر ص ١٢ (٤) اخذنا ذلك الدكتور نبيه امين فارس

الخامس والعام ، كما برزوا في نواحي الحياة العملية . ومن علماء الادب او المتأدبين ينكر المساهمة القيمة ، التي شارك بها المهجريون في نهضتنا الادبية الحديثة . ومن منا ينكر جهود الرابطة القلمية التي كان من اعضائها نخبة من ادبائنا المحدثين كجبران ونعيمة وابي ماضي وعريضة وايوب ووليم كاتسفليس وعبد المسيح حداد وندره حداد وسواهم^(١) والعصبة الاندلسية^(٢) التي كان من اعضائها ميشيل معلوف ورشيد خوري والياس فرحات وعقل الجر وشفيق المعلوف وسواهم ولا تزال هذه قائمة حتى اليوم . وهذا لا يعني ان النشاط الادبي في المهاجر انحصر في هاتين الجمعيتين . بل هناك ادباى كثير لم ينتظموا في سلكتهما .

" وقد ظهرت الصحف العربية جنبا الى جنب مع ظهور اول جالية سورية استقرت في شارل وشنطن . وصدرت اول صحيفة عربية في الولايات المتحدة عام ١٨٨٨ باسم "كوكب اميركا" وكان يملكها اثنان من اولاد يوسف عرييلي واول من حررها هو نجيب دياب الذي اسر فيما بعد "مرآة الغرب"^(٣)

وقد بلغت جرائدهم في الولايات المتحدة تسعا وسبعين جريدة ومجلة وفي كندا ستا وفي المكسيك سبع عشرة وفي البرازيل خمسا وتسعين وفي كوبا ثلاثا وفي الأرجنتين ثمانى وخمسين وفي تشيلي ثمانى وفي اورغواى واحدة ، هذا كما ورد في تاريخ الصحافة للكونت فيليب طراز . الا ان هنالك عددا كبيرا منها لم يذكر اسمه واكثره ما صدر بعد نشر الكتاب المشار اليه^(٤) .

ولسنا في معرض التفصيل في امر هذه الحركة ، ولا سيما وهي تخرج عن دائرة القرن الذى نتحدث عنه ، الا اننا نود ان نحمل رأينا فيها بان نقول : ان هذه المدرسة ، التي اتسمت بجسم القوة والتجديد والثورة على كل قديم بال هي اقوى مدرسة في الادب العربي الحديث . وقد ضربت بسهم حائب في حقل الادب . واستطاعت ان تقدم الى ادبنا بعضا من اروع ما فيه من القصص واجمل ما فيه من شعر مجتبع الخيال جديد الاسلوب .

(١) د (٤) راجع الناظمون بالضاد في امريكا ص ٤٠ والطروسة الاستاذ وديح ديب عنه الشراطيني في المهاجر الاميركية ص ١١٢ (٣) الناظمون بالضاد ص ٢٢ (٤) اخذنا هذه المصطلحات عنه الطروسة الاستاذ وديح ديب ص ١٢٤

وتأثير هذه المدرسة القوية قطع المحيط الى مصر وسوريا فوجدنا اثارها في كتابات عصر ادباء مصر كمي زيادة ، وفي اثار كثير من ادباء سورية . الا ان الحرب العظمى الاولى اضعفت اثرها فترة من الزمن ليعود قويا على اقلام بعض ادباء مصر وسوريا والعراق وتونس والحجاز اليوم . ولينتابه عصر الضعف اثناء هذه الحرب . وقد بدا الضعف يدب في عناصر هذه المدرسة في المهجر ، اذ ان الامداد الاصيل الذي كان يروى عطشها من الوطن ، يكاد ينقص سيله الان . وكل اديب يموت هناك يدق مسمارا جديدا في نعر هذه المدرسة .

هذه لمحات سريعة عن الحالة الفكرية في القرن التاسع عشر . حاولنا فيها ان نخط بسرعة وايجاز ، بعصر الظروف البارزة التي مهدت لتصوير هذه النهضة الادبية العتيدة ، التي تكاد تستم جميع ملاح الخلود والكمال .

الفصل الثاني

حياته

وهو دراسة تحليلية علمية لحياته في أطوارها

المختلفة

لبنان في مطلع القرن التاسع عشر:

ولد الشدياق في لبنان في مطلع القرن التاسع عشر، وفضى طفولته وصباه وطرفا من شبابه فيه، وقد كان ذلك في عهد امير "كان كبيرا باعماله العامة في السياسة والادارة والقضاء والتنظيم وكبيرا باخلافه الخاصة ومميزاته الشخصية"^(١) وهذا الامير الذي كان رمز النهضة اللبنانية في القرن التاسع عشر ورجل لبنان الحديث هو الامير بشير قاسم الشهابي، الذي لقب بالكبير لانه كان كبيرا كحاكم وكبيرا كفرد . والذي حكم لبنان فترة صويلة^(٢) كانت من ازهى فترات تاريخه الحديث، بل لا نكون مغالين اذا قلنا انها ازهاها .

ولد هذا الكبير في غزير بكسروان عام ١٧٦٨ "ولم تمر ثلاثة شهور على ولادته حتى توفي والده، بعد ان اقام منصور الشدياق"^(٣) وصيا عليه وعلى اخيه الامير حسن ووكيلا لارزاقهما^(٤) فنشأ يتيما بين رحما، وكانت نفسه كما اراد لها ان تكون، مرآة من طموحه وآماله تنعكس فيها روح العصر وصور المحيط . "فليس هو بالمدلل الذي يقتل فيه التدليل ملكة الجود والارادة والاستقلال، وليس هو بالمهجور المنبون الذي تقتل فيه القسوة روح الامل وعزة النفس وسليقة الطموح وفضيلة العطف على الآخرين"^(٥) . وكان عظيم الهبة يرهبه كل من نظر اليه، عزيز النفس دمت الاخلاق كبير العقل واسع الحيلة متعدد المواهب، مخلصا للريعية يسهر على راحتها ويسعى لاسعادها . وكان شجاعا مقداما وفي حروبه شاهد عدل على ذلك، فكثيرا ما كان يصمد امام العدو منفردا حين ينهزم جيشه، وما اكثر ما كان يحالفه النصر .

كان كبيرا في كل شي، وكاد يكون عظيما في كل شي، "لولا بعدد حبوب تصغره في عين التاريخ، من نسوة وغدر واستبداد واستئثار وخضوع لرجال الروح ينفذ احكامهم ويحقق رغباتهم . ولكن صرعه هو المسؤول عن اكثر ذلك، اذ كان يسهل له ويضطر ابناء الكبار لان يلتهموه والا التهمهم"^(٦)

(١) تاريخ الأمير بشير ص ٥ (٢) ص ١٧٩ - ١٨٠ (٣) هذا عهد فارس وقد عاش من سنة ١٧٤٧ - ١٧٩٢

(٤) تاريخ الأمير بشير ص ٩ (٥) عبقرية محمد القادر ص ٤٧ (٦) راجع تاريخ حروبه في القسم الثالث من أخبار الأعيان

(٧) تاريخ الأمير بشير ص ١٠

وكان امير السياسة في ذلك العصر، محنكا داهية، اذ استطاع بثاقب رأيه وبمرونته المتناهية ان يجنب لبنان، اخطارا كثيرة في الداخل والخارج، كان مصدرها تناثر الاقطاعيين والعائلات والطوائف في الداخل، وجشع "الرجل المريتر" وشرواؤه وتدخل الدول الاجنبية في الخارج، فلما انتب الامر في يده قضى على الرؤوس النافذة في الداخل، حتى يمتد الطريق امام مشاريعه الاصلاحية التي كان يؤمن بها ايمانا عظيما، ويعتقد ان لا سعادة لهذه البلاد الا اذا تمت فيها هذه المشاريع التي كان يرمي من ورائها الى تقوية الجهاز الداخلي ووضع جسم الامة في حالة من العافية والقوة تمكنه من الدمود امام النزاع التي كانت تنقل اليه الاوبئة من "الرجل المريتر". فنصب ميزان العدل حين كانت موازين الظلم تقبله، فالتقف ميزانه الموازين ووجد اطناب الامن حين كانت عواصف الفوضى والتشعب تتلاعب بخيامه. وضبط الضرائب بعد ان كانت سلعة تطرح للمزاد كما كان لبنان بين يدي ولاية عكا. وحقق المساواة بين الناس لا فرق بين مقذهب ومقذهب الا بالطاعة والاخلاق. واوجد لهم مجالس الشورى تحقق مبادئ المساواة والعدالة بينهم وتنظم علاقات الحاكم بالمحكوم. واهتم بصحة افراد الشعب الذي كان يعدده للمواجهة المستقبل الوضاح الذي كان يهيئه له. كل هذه، واصلاحيات غيرها، يسرت العيش وانعشت المرافق ونشطت التجارة والصناعة. وطان الادب بجانب كل ذلك كريمة الوجه عزيز الجانب. وشتابعت وفود التبشير تحمل كتاب الله في يد ومشمعل الثقافة والهدى في الاخرى. فاصبحت البلاد غير البلاد وازينت الارض وخلعت الحياة اسمائها لتأثر بحلى الرفاهية والعافية والمناعة. وما عم ان اصبح للبنان جيسر قوى عزيز تتسابق حكومات الامم المتطاحنة انذاك، في ذلك الصعيد القلوي، الى خطب وده والتقرب الى ظله.

انه طاب في عصر قوى، يبتلع كل قوى وتحترق في انونه امر الشخصيات واصلاحها للحكم والرياسة. الا انه كان عظيما يلبس لكل حالة لبوسها ويرتوى من كل ما، ويركب في سبيل المجد كل مركب.

هذه الأفكار مأخوذة من تاريخ الأمير بشير ص - ش و ص ٢٩.

وفي اخبار سياسته كل الصيد ، وفي حنكته ومداراته وقوته اعظم دليل على انه كان رجل العصر الذي تصغر امامه الرجال ، وتتكسر على صخرة قدرته امال الطامعين . وتنحل بين اصابعه عقد العقد وتتداوب امام همته اصعب العقبات .

في هذا الظل الظليل وفي هذا العصر المنفتح كتب للشدياق ان يولد في بيت من الشعبة الوسطى ، وتحذر عن اسرة كريمة عريقة هي اسرة الضروقي التي انجبت نفرا كريما من اقطاب الطائفة المارونية ورجال لبنان البارزين .
 "بيت الشدياق فرع من اسرة كبيرة متشعبة تزيد فروعها على نحو ستين فرعا متفرقة في انحاء نتي من لبنان وسورية والعراق ومصر وسواها . وتنسب الى جدها الجامع الشدياق شاعين الضروقي الذي نشأ في حصرون بجبة بشرى احدى مقاطعات لبنان الشمالية في اوائل القرن الخامس عشر . وكل من هذه الفروع او البيوت ينسب اما الى الجد المتحدر منه واما الى حصرون موطن الجد الاصلي الجامع" (١).

"والشدياق شاهين هو ابن سليمان بن داود بن الخوري يعقوب . . . بن يوحنا بن ابراهيم ابن يعقوب بن يوحنا بن الياس بن يوحنا بن سمعان بن يوحنا بن الياس الذي يمت بصلة النسب الى الامير يوحنا من امراء المردة وهو امير الموارنة الذي قتل في قب الياس بمكيدة من بوستيانوس الثاني الاخرم ملك الروم (٢)

وقد تحدرت عن الشدياق شاهين هذا بيوت ثلاثة ترجع الى اولاده الثلاثة وهم رعد ومهايل وشمعون (٣)

"١ - رعد : اما رعد فمن صلبه اعقاب المقدم خاصر الحصري و اخوته عواد وشمعون ومطر وهم جدود بيت داود وبيت ثابت وبيت سعد وبيت بركات وبيت عواد وفروعه وبيت السعاني وفروعه وبيت مطر وبيت فرحات وهو فرع منه . وهناك بيوت اخرى تحدرت من حلب رعد نظير بيت سعادة وبيت شمعون وبيت نهدي وهو عدة فروع اهمها فرع الشدياق (٤) في حد - بيروت . . .

(١) فارس الشدياق * ليون سعد ص ٦ (٢) نفس المصدر ص ٧ (٣) راجع اختيار بني الشدياق منقده في امبار - البيان ص ٨٧ - ٨٨ (٤) الشدياق لقب من القاب الشرف التي كان يلقب بها كبار القوم من ابناء البهادر وكان يطلقه اولاد على الشمامسة ثم توسعوا في دوله فصاروا يطلقونه على المتعلمين وهم في الغالب من اصل طبقة ائنيه او بعبارة اصح من سادة البزار وعلماء (سعد ص ٨)

٢ - مخايل : ومن صلب مخايل بيت العفريت وهو عدة فروع معظمها في حصرون وسواها من قرى جبة بشرى .

٣ - شمعون : ومن صلبه بيت الحوراني وهو عدة بيوت .

وقد نبع من هذه البيوت عشرات من رجال العلم والادب والسياسة بينهم علماء اعلام يحتلون المقام الاول بين علماء الشرق ومصلحيه ويعدون من اعظم مفاخره نظير المونسنيور يوسف السمعاني العلامة الشهير مؤسس القسم الشرقي في مكتبة الفاتيكان والبطريرك يعقوب عواد وابن اخيه البطريرك سمعان عواد والمطران اسطفان عواد السمعاني ابن اخت المونسنيور السمعاني ويوسف لويس السمعاني والمطران مخايل سعادة والمطران يوحنا الحوشي والعالم الشهير المطران جرمانوس فرحات الذي احتفل بنصب تمثال له في حلب في شهر ايار سنة ١٩٣٤ وفارس الشدياق الذي كان اكتب اهل زمانه وشقيقه طنوس الشدياق المؤرخ الشهير والكاتب اللغوي الكبير المدير يوسف الشدياق والبطريرك بولس مسعد العلامة والمؤرخ الشهير والبطريرك يوحنا الحاج القانوني الكبير والمطران بولس عواد العالم المدقق والعالم اللغوي الشهير الاب انستاس ماريني الكرمليني (من بيت عواد) والاستاذ الكبير النابغة داور بركات رئيس تحرير الاهرام سابقا والاباء العلماء الافاضل الخوري برديوط يوسف فاضل السمعاني وابن شقيقه المونسنيور لويس السمعاني والمونسنيور بولس عبده السمعاني والمونسنيور انطون عبود من العفارنة وغير هؤلاء من الرجال الذين نشأوا من هذه البيوت وكان لهم شأنهم ومقامهم بين رجال لبنان وسورية وهم يعدون بالعشرات بل بالمئات (١)

بيت الشدياق :

الى هذا الرعييل الموهوب والى هذه الكثرة من رجال العلم والادب والسياسة ينتسب القاريق . اما جده فقد منصور (١٧٢٣ - ١٧٩٣) الذي صرف شطرا كبيرا من حياته في خدمة الامراء والوصاية عليهم . ونخص منهم بالذكر الامير

(١) بولس مسعد ص ٧ - ٨

قام امر ثم ولديه الامير بشير الكبير واحاه الامير حسن ، ثم الامير حيدر الحرفوش
من افراد بعلبك وسواهم .

اما ابوه فهو يوسف (١٧٦٢ - ١٨٢١) " وكان حنطي اللون نحيفا قليلا
كبير الأنف معتدل القامة عاقلا شجاعا لا يهاب اخطار الحرب حاد المزاج دينا
مستقيما كريما كثير المطالعة ^(١) . " درس الانشاء والادب والرياضيات على والده
الشدياق منصور الشهير ^(٢)

وقد عمل يوسف وبعث اولاده عند الامير سليمان سيد احمد شهاب حين
تولى الحكم عام ١٧٩٠ . وفي عام ١٧٩١ رد عسكر الحزار والامير بشير عن الامير
حيدر حين حاصروا بيته في بعلبدا . وفي عام ١٧٩٨ عين وصيا ومديرا لولدى
الامير يوسف شهاب . " وفي سنة ١٨٠٢ لما توفي الامير سيد احمد بقي يوسف عند
الامراء اولاده مديرا لهم ^(٣) وفي عام ١٨٠٤ استدعاه اولاد الامير يوسف الى جبيل
وكلفوه بالقيام بجمع المهام الادارية لهم . وفي عام ١٨٠٥ استدعاه الامير حسن امر
الشهابي الى خدمته وامره ان يتوطن كسروان فذهب اليها وسكن في عشقوت .
وكان الامير حسن هذا يحبه ويشق به ويعهد اليه بتدبير المهام من اموره ويستشير
في كل ما يحز به من الامور . ولما مات الامير حسن عام ١٨٠٨ انتقل يوسف الى
خدمة الامير بشير الكبير بطلب منه ، ولكنه عاد الى حدث بيروت عام ١٨٠٩ .

وفي عام ١٨٢١ استدعاه الاميران حسن علي وسليمان سيد احمد ليكون مديرا
لهما حين آلت ولاية البلاد اليهما ، وجعلوا بعث اولاده واولاد اخيه فارس كتبة
معهما . ولما هاجم الزعيم الدرزي الشيخ حمود النكدى الاميرين في الحدث هب
آل الشدياق لنصرتهم وابلوا في ذلك بلا حسنا . وفر الاميران من وجه الامير
بشير واستحبوا معها يوسف ومعه اولاده طنوس ومنصور وغالب وابن اخيه
انطون الى قرية تل حنين من قرى دمشق حيث توفي يوسف بالاستسقا وعمره
ثمانية وخمسون عاما .

(١) اخبار الاعيان ص ١٩٧ (٢) فارس الشدياق ص ١٠ (٣) اخبار الاعيان ص ١٩٤

هذا أبوه . قدمناه اليك مثقفا كما يفهم العصر الثقافة . واداريا يتقلب في مناصب الادارة ويخدم عند الامراء والحكام . وكثيرا ما كان يستصحب ابنائه معه فينبهون مثله يعرفون الادب ويستنعمون الى عيونه في قصور الاحكام . ويعتبرون الى الادارة واسياسة في بلاطات الامراء ودواوين الحكام .

اما امه . فهي بنت الشيخ يوسف زيادة مسعد . عمة البطريق بولس مسعد . تزوجت أولا عباس ابا حيدر الشدياق . من بيت اخره . وترملت عنه فتزوجها يوسف . وقد انجبت خمسة اولاد هم طنوس ومنصور واسعد وغالب وفارس^(١)

طنوس (١٧٩١ - ١٨٦١)

كان طنوس يعد في الطليعة من ادباء البيئة ومفكرهم . وقد كان ملما بمعظم علوم عصره . من اللغة وادابها والفقه وفروعه . وقد ذاعت شهرة علمه وعقله حتى اصبح ثقة الناس في امور الدنيا والدين . وقد اشتغل في السلك السياسي كما فعل أبوه . وكان مستشارا عند الاميرين الشهابيين حسن وعلي وسليمان سيد احمد . وكانا يعهدان اليه ببعض المهام السياسية فقد ارسله مرة الى والي عكا عبد الله باشا ليلتصر منه اطلاق المشايخ المحجوزين عنده^(٢) وقد نجح في هذه المهمة نجاحا حاز اعجاب الاميرين . وقد اعتزل طنوس السياسة وقضى الشطر الاخير من حياته في المطالعة والدرس ونسخ الكتب واخرج لنا تاريخه " اخبار الاعيان في جبل لبنان " ^(٣) ويقع في ثلاثة اقسام الاول في جغرافية لبنان والثاني نسبة اعيان النصارى الموارنة واعيان الدروز واعيان المسلمين والمتأولة من امراء ومشايخ والقسم الثالث اخبار ولاية لبنان وفيه يؤرخ للمردة وللتنوخيين والقيسيين والمعنيين وبني سيفا الاكراد والشهابيين والارسلانيين واللمعيين . وقد ابتدأ فيه من سنة ١٠٠٠ وانتهى الى سنة ١٨٥٥م ورجع فيه الى خمسة عشر مؤرخا^(٤) . وكتابه هذا يعد من المراجع الاولى لتاريخ لبنان . وقد رجعنا اليه لتحقيق بعض الاخبار ولتفهم روح العصر . وعنه يقول بولس مسعد :

١٧ فارس الشدياق ص ٩ (١) تاريخ الأعيان ج ١ ص ١٩٦ (٢) راجع تقدمه بقلم فارس في مكتوف عدد ١٧ ص ٢ (٣) طبع الكتاب في بيروت سنة ١٨٥٩ بغاية المعلم بطرس البستاني .

• وله فضل عظيم في انشائه لانه جمع مواد من حيث لا منوع ولا مطبوع ولا مصدر ثقة يرجع اليه ولا مواصلات سهلة يستعين بها على احتياز شتاته • وعرف اهل الفضل والادب له فضله فقدروا تاريخه واكبروا جهاده دونه وعطوه بحق ابا المؤرخين العالميين في لبنان^(١) • ولم ينحصر فضل طنوس في السياسة والتأليف بل كان يجيد الخط ايضا وقد مكته ذلك من نسخ عدة كتب في الطب والهندسة وعلم الفلك والصرف والتحو وغير ذلك مما ادى به خدمة كبيرة للمكتبة العربية انذاك •

منصور (١٧٩١ - ١٨٤١)

هو ثاني ابناء يوسف الشدياق وكان كاكثر الشدايقة ادبيا وسياسيا • تلقى علومه في عين ورقه حيث اتقن القلم السرياني ونسخ به عدة كتب • وقد عمل في ديوان الامير سلمان سيد احمد شهاب • وكان يخصه هذا بالكثير من رعايته لما كان يتحلى به من الاخلاق الرضية والصفات المحبوبة التي اهلته لارفع المناصب • وقد كان متدينا ادبيا فصيحاً • ولذا احبه الناس واغزوا جانبه^(٢)

اسعد (١٧٩٨ - ١٨٣٠)

وسنقف على تاريخ حياته وقفة طويلة لانه بالنسبة الى فارس كان ينبوط من يناييع العبقريه • وسببا من اسباب بناء العمارة الفارباكية • وبالنسبة الى روح العصر كان شهيد الاضطهاد الديني والأقطاعية الدينية • حين كانت الكنيسة • كما يقولون • حكومة في داخل حكومة • وحين كان البطريك له يده الباطشة القوية يسيطر بها على الحاكم ويتصرف بالرجة كما يطب له • ويوجه سياسة البلاد كما يشاء •

اسعد الشدياق هو الشهيد السوري الاول شهيد حرية الرأي وحرية التعبير وهو • باكورة سورية • • وهو ثالث ابناء يوسف الشدياق • ولد في حدث بيروت في ٢١ ايار سنة ١٧٩٨ وتعلم علوم العصر الابتدائية في مدرسة القرية وكان اخوه طنوس يعلمه السريانية والعربية وادابهما • وفي ١٥ حزيران سنة ١٨١٢ دخل

(١) فيس الشدياق ص ١١ (٢) فيس الشدياق ص ١٢

مدرسة حين ورقه، كلية العصر، حيث درس اللغات والمنطق والفلسفة والطبيعات
والخطابة واللاهوت وعلم الذمة . ثم انتقل الى الحدث بعلم الاولاد مبادئ القراءة .
وفي سنة ١٨١٨ انتقل الى دير القديس انطونيوس بعبدا حيث عهد اليه بتدريس
السريانية واللاهوت وعلم الذمة للرهبان الانطونيين . فاختصر والفد بعصر الكتب
الدينية لهذه الغاية . ثم عمل كاتباً في ديوان البطريركية ثم في ديوان اسقفية بيروت
عند المطران بطرس كرم حيث قضى سنتين . وكان المطران يحبه كثيراً لحسن
انشائه وبراعته في حل المشاكل^(١) وقد نظم في تلك الاثناء ايانا كثيرة، اكثر من شعر
المناسبات، جمعها في ديوان لا يزال مخطوطاً^(٢)

وفي سنة ١٨٢١ التحق بخدمة الامير حسن العلي الشهابي الوالي . ولما
اغار الشيخ حمود النكدى على الحارة ودهم الامير حسن العلي المذكور، اختبأ اسعد
خوفاً ثم فر هارباً الى قنويين يحتفي عند البطريرك يوحنا الحلو واقام عنده مدة .
ثم طرده البطريرك المذكور من عنده وذلك اجابة لطلب الامير بشير الشهابي الذي
كان يتهم اسعد بانه من حزب اضداده . فتوجه اسعد الى مدينة طرابلس نزيراً على
الشيخ محمود الدسوقي وكان اماماً للامير سلمان الشهابي عند ولايته^(٣).

ثم تقلب في عدة مناصب دينية ودنيوية الى ان جاءت سنة ١٨٢٥ حين سار
اسعد الى دير القمر واخذ يعلم المبشر الاميركي لويس كنج *X. King* اللغة
السريانية ولقت نظره ما هو عليه من الفطنة والذكاء فقال فيه " انه على حدائته من
افهم شبان جبل لبنان^(٤) . وما مكث عنده مدة ثلاثة اشهر يعلمه . وكثيراً ما كان
يتجادلان في مسائل الدين والمذاهب^(٥) وكان اسعد في مجادلاته صريحاً صبوراً على
الاستماع لاقوال مجادله . شأن من يبحث عن الحقيقة ويتحدى الطريق القويم .

وعند سفر كنج الى اميركا رجع اسعد الى الحدث، ولم يطل مكثه فيها بل
سرطان ما توجه الى بيروت واخذ يعلم المبشر الاميركي اسحق برد اللغة العربية .
وقد تأثر اسعد كثيراً بمنطق المبشرين الاميركيين، فظهر ميله الى مذهبهم ولم يعتم
ان يبلغ امره سامع البطريرك يوسف حبيش^(٦) فشق عليه الامر ولا سيما ان اسعد من

(١) هذه الاخبار مأخوذة عن " قصة اسعد الشدياق " ص ٤ وما بعدها . والأقتباس مأخوذ عن ص ٩

(٢) قصة اسعد الشدياق ص ٨ (٣) نفس المصدر ص ١١ (٤) فارس الشدياق ص ١٤ (٥)

(٦) مدونة ١٧٨٧ - ١٨٤٥ Bible Work in Bible Land - I Ibid p. 11

تلاميذ مدرسة عين ورقة البطريكية الاكليريكية . وخروجه على الدين في مثل ظروفه هذه يعد في نظر البطريك ورجال الدين جرما عظيما ولا سيما ان لبني الشدياق فضلا على هذه المدرسة الطائفية . يرجع الى عهد عيدها بطريرك الشدياق الذي وقف عليها بقاما واسعة من جيل موسى الذي كان يمتلكه^(١) .

وربما كان هناك سبب اخر لتحريم اسمعده وهو انه قد يكون انتقاما عائليا . فقد تغلب الشدياق في مناصب الحكم والياسة وكان منهم اصحاب نفوذ وكلمة مسموعة عند مخدومهم . وربما كان بعضهم قد اساء الى احد الجيشين بطريقة ما^(٢) .

استدعى البطريك اليه اسمعده ليرده الى الحظيرة . ولكن اسمعده اظهر الجراءة والتردد . فتركه البطريك مدة لعله يشوب الى نفسه فيرجع عن زيغته . وبعد ان قضى اياما في الرياضة الروحية استدعاه ثانية وثالثة وكان اسمعده صلب العود لا تلين له قناة فظل مصرا على رأيه^(٣) فما كان من البطريك الا ان سجنه في غرفة مظلمة في دير سيدة قنوبين وهو المقام البطريكى وقتئذ . وقضى مدة في العزلة الموحشة . وكان يتردد عليه رجال البطريكية محاولين رده عن غيه . ولكنه كان ثابت الجفان متمسكا بعفيدته الجديدة . وقد قضى مدة في سجنه حتى اعتلت صحته وبلغ به الاعتلال مبلغا عظيما . فاضطر اقرباؤه الى ان يتوسلوا الى البطريك ليسمح له بالخروج . فسمح له على ان يعود في موعد ضربه له . فغادر الدير الى عشقوت . وعندما حان وقت العودة . اخفاء اقاربه في (بقعانا) . فنقم عليهم البطريك . وامر حاكم البلاد ان يسترده منهم ويعاقبهم على ذلك . فاجابه الى رغبته واعاد اسمعده الى سجنه في دير قنوبين . وظل فيه الى ان بلغت الرفاة عام ١١٣٠ .

* واختلف الرواة في محل وفاة اسمعده . فمنهم من قال انه توفي داخل السجن ومنهم من قال انه توفي خارج السجن . ولكنهم اتفقوا على انه توفي في الدير من دون ان يؤذن له بالخروج منه البتة . وكذلك الاختلاف واقع من جهة السبب القريب لموته . والاكترون على انه توفي بـداء الاستسقاء . وذلك لا يبعد عن

(١) فارس الشدياق ص ١٢ (٢) هذا رأي وضمناه مخزنه دونه لنقع على وثائقه نبهته (٣) فارس الشدياق ص ١٢

التصديق . لان الاوساخ والقدار والهوام التي تراكت عليه في ذلك السجن الضيق المظلم ورداءة الهواء وخبائة الطعام مع اسباب اخر من شأنها ان يتولد منها الداء المذكور^(١) واليك وصف بعض انواع التعذيب التي كان يلقاها اسعد .

وعند وهوله امر البطرك بضربه حارما كل من لا يضربه . فضربوه ضربا اليما وكسروا عليه عدة عصي خضراء ولم يزل قوم من الذين ضربوه احياء الى الان^(٢) وهؤلاء يشهدون بانه كان يحتمل كل ذلك بالصبر ولم يتكلم بكلمة ردية بل كان يقول يا رب لا تقم عليهم هذه الخطيئة . ثم وضعه في سجن وسع مظلم وقيد به بالسلاسل وغير اسمه من اسعد الى راب اشبول ومعناه رئيس جهنم . ولم يزل البعصر يسمونه كذلك الى الان ترهيبا لغيره . وكان كل يوم على ثمانية اعوام . بضربه ضربا شديدا على رجليه حتى يغمى عليه ويقارب الموت . وكانت فرشته رفيقة وغطاؤه ثيابه وطعامه ستة ارغفة رقيقة وقيل وغيضان من خبز الدير مع قليل من الماء . ثم سدوا باب سجنه بالحجارة والجبر وابقوا له نافذة صغيرة يتناول منها الطعام وربطوه من عنقه بحبل اخرجوا صرغه من تلك النافذة وربطوه خارجا فكان كثيرون يمسون ذلك الحبل من الخارج ويجذبونه به لاجل تعذيبه ويقولون له لماذا لا ترجع عن غيئك وضلالك يا معاند يا هرطوتي . قيل وان كان اسعد ذات يوم راكعا يصلي اتي رجل من خارج وجذب ذلك الحبل جذبا عنيفا فانطرح اسعد مغشيا عليه . اهـ^(٣)

هذه هي صفة اسعد واهولها ايجازا شديدا . وقد كان لها اثر كبير في الجو الروحي والاجتماعي في العصر . كما انها اثرت على اهله وخصوصا على اخيه فارس . وسنبين ذلك في مكانه .

(١) قصة اسعد الشياخ ص ١٠٠ (٢) الى وقت طبع قصته حوالي منتصف القرن الماضي (٣) قصة اسعد الشياخ ص ١٠١

في لبنان :

في ذلك العصر الذي قدماه وهذا الكتاب، وفي تلك البيئة المضطربة في السياسة والاجتماع وفي بيت لبناني عريق "على ذروة السياسة في الدنيا والدين فمركتهم عرت الرحن بشغالها"^(١) ولد جبار ادباء الحرب وهو يحدثنا عن ابويه بأسلوبه التهمكي اللطيف فيقول :

"وكان والداه من ذوى الوجاهة والنباهة والصلاح (مرحى مرحى) الا ان دينهما كان اوسع من دنياهما وصيتهما اكبر من كيسهما (برحى برحى) وكان لطبل ذكرهما دوى يسمع من بعيد، ولزواج شأنهما هجاج ثناء يتور في الجبال والبيد ولشكرير العفانة عليهما واعتناء الوفود لديهما تعطلت سبل دخلهما ونزحت بئر فضلها لم يبق فيها الا ترازات يلقى فيها المخفق المحروم سدادا من موز^(٢) ولا نعرف سنة ولادته على وجه التحقيق، فبعض الروايات تذهب الى انه ولد عام ١٨٠٤^(٣) في عشقوت، وفي هذه الرواية تناقض ظاهر، ان والداه لم ينتقل الى عشقوت الا سنة ١٨٠٥ حين استدعاه الامير حسن عمر النهابي لخدمته وامره ان يتوصن في كسروان، وهذا ما ذكره ابنه الشيخ طنوس في كتابه "اخبار الاعيان"^(٤) ونحن لا نستطيع التوفيق بين الروايتين الا اذا فرضنا ان يوسف والداه كان قد زار عشقوت سنة ١٨٠٤، واصطحب عائلته لقضاء حاجة خاصة او للاضطيان، وفيها ولد فارس. الا ان المصادر وبينها "تاريخ الاعيان" الذي حاول مؤلفه طنوس ان يذكر اخبار الشدايقة بالتفصيل، لا تشير الى شيء من هذا. قد نقنع بهذا القصر البعيد الاحتمال لولا ان بعض المصادر تشير الى انه ولد في الحدث عام ١٨٠٤^(٥) وهذا ما يوقعنا في حيرة من امر تحقيق ولادته. ويضطرنا الى ان نعتمد على احد فرضين. فاما ان نعتبر تاريخ ولادته عام ١٨٠٤ فيكون قد ولد في الحدث ووطن ابيه او في عشقوت حسب فرضنا السابق، وهذا ما نستبعد حدوثه.

(١) مدققالة لماون عبود في المثلث عدد ١٧، ص ٢ (٢) اسود على يد ج. ١ ص ١٤ (٣) هذه هي رواية تراجم مشاعر ليرة ج. ٤ ص ٧٤، وتاريخ الصحافة لبرية ج. ١ ص ٩٦ والمثلث عدد ١٧، والجامع للمفوض ص ٥٤٤. (٤) ص ١٩٤ (٥) منها آتفاء القنوج ص ٤٠٦ والاعلام للزركلي ج. ١ ص ٥٨

او ان نعتبر ولادته تمت في عشقوت، متابعين في ذلك اكثر المصادر، فتكون ولادته عام ١٨٠٥^(١) والاستاذ بولس مسعد في كتابه عنه يميل الى هذا الرأي^(٢) وكذلك الاستاذ يوسف يزبك^(٣) والفارياني يحدثنا عن هذه الولادة في السابق فيقول :
 "كان مولد الفارياني في طالع نحس النحوس والعقرب شائلة بذنبها الى الجدى ارا التيس والسرطان ماس على قرن الثور^(٤)"

ولم تطل اقامة ابيه في عشقوت فقد عاد باسرته الى الحدث عام ١٨٠٩^(٥) وهناك قرأ فارس الذبور في كتاب القرية، وقد كان مليثا باللحن والخطأ ما جعله بتقادم الزمن عليه صعب الفهم "وقد زاده ابهاما وغموضا فساد ترجمته الى اللغة العربية وركاكة عبارته حتى كاد ان يكون ضربا من الاحاجي والمعق^(٦)، وبعد ان ختم هذا الكتاب اخرجوه والداه منه، واخذ يتلقى شيئا من اللغة والنحو على اخيه اسعد "ثم ادخل مدرسه عين ورقة المارونية الاكليريكية في كسروان فتلحق بمبادئ العربية والسريانية ومبادئ العلوم^(٧)"

"كان للفارياني ارتياح غريزي من صفوه لقراءة الكلام الفصيح وامعان النظر فيه ولاشفاط الالفاظ الغريبة التي كان يجدها في الكتب، فان اباه قد احرز منها كتباً عديدة في فنون مختلفة، وكان، اي الفارياني، يتهافت منذ حدايته على النظم من قبل ان يتعلم شيئا مما يلزم لهذه الصنعة، فكان مرة يصيب ومرة يخطئ^(٨)، ولما دهم الشيخ حمود النكدى الاميرين الشهابيين حسن على وسلمان سيد احمد في الحدث "قاتلاه وكسراه ونهضا بخدمتهما الى العامية في لحفد ومعهما يوسف واولاده طنوس ومنصور وغالب وابن اخيه انصون، ولما وصلوا الى حدث الجبة وبلغهم انهزام العامية فر بنو الشديان مع الاميرين الى قرية تل منين من قرى دمشق^(٩) فاصبح فارس يعيل امه ويتعاضى النساخة^(١٠) ولم يلبث في عام ١٨٢١ ان جاءه نعي ابيه "ومنذ ذلك الوقت هرد انه لا ملجأ له بعد الله غير كده فمكف على النساخة، غير ان هذه الجرفة مذ خلق الله القلم لا تكفي المحترف بها ولا سيما في بلاد لوقع قرشها طنين ورنين، ولروية دينارها تكبير وتعويد، الا ان ذلك جود من خطبه

(١) لقد ذكر يردكلان في الموسوعة الاسلامية مجلد٢ وفي كتابه "تاريخ الادب العربي" ج٢، ص ٥٠٥ انه ولد في بيروت وهذا خطأ (٢) فارس اشدباه ص ١٦ (٣) المثلوثى عدد ١٧ ص ٨ (٤) اسعد ج ١ ص ١٤ (٥) اخبار الانبياء ص ١٩٥ (٦) اسعد ج ١ ص ١٥ (٧) فارس اشدباه ص ١٧ (٨) اسعد ج ١ ص ٢٠ (٩) اخبار الانبياء ص ١٩٦ (١٠) اسعد ج ١ ص ٢٧

ودقق من فهمه^(١) . وقد شاعت براءته في نسخ الخط فاصبح الامراء يستعملونه في وظائفهم الكتابية وفي نسخ بعض الكتب لهم . ومنهم الامير حيدر احمد الشهابي^(٢) . وفي ذلك يقول الفارياق متهمكما :

"انه لما شاعت براءته في النسخ ارسل اليه من اسمه على وزان بعيد بعيد يستدعيه لنسخ دفاتر كان يودعها كل ما كان يحدث في زمانه . وليس الغرض من ذلك افادة احد من العالمين وانما نان اساكنا للحوادث من ان تنقلت من مدار الايام او تنفك من سلسلة الاحوال^(٣) .

ولما ضاق عليه العير امتحن عدة مهن . فاشترك مع صديق له في تجارة متفلة ولم تجر عليهما الا الخسران المبين . فباع البضاعة والعمار^(٤) واستأجرا خانا مكثا فيه مدة ثم تركه ليعلم احدر بنات الامراء^(٥) وبعد الفراغ من هذه المهمة عاد الى حرفته القديمة والنساخت^(٦) .

الا ان الرزق الذي يأتي من شق القصة لا يكون الا نورا يسيرا وقديما قال الحريري :

ان لرزق يرتجى من شق تلك القصة

فاضطر فارس الصموغ ان يفتش عن طريق اخر للكسب . فوافق في تلك الاونة . اضطهاد الاكليروس لاخيه اسعد الذي كان يحبه ويؤثره ويميل الى الاعتقاد معه في وجوب منح الفرد حرية اختيار المذهب . وكان الاميركيون يعرفون ذلك فيه وقد اختبروه فانفسهم اثنا اتصاله بهم حين كان اسعد في الامتحان . وخافوا عليه من بطش الاكليروس ويطش اهل الذين كانوا يخافون البطريك ويتجنبون اغضابه^(٧) . فعرضوا عليه السفر الى مصر ومنها الى مالطة ليعلم اللغة العربية في مدارسهم . فما كان من ^{نصر} اسعد الا ان اظهر قبوله لهذا العرض مدفوعا بحب الشهرة والكسب . وبعامل الخوف من بطش الاكليروس واتباعهم . ويطش الامير بشير^(٨) . فارسلوه الى مصر . آملين فيما يجنونه من ورائه من الفوائد . وبعد ان تأكدوا من انه اعتنق مذهبهم .

(١) ا. و. ج. ١ ص ٢٨ (٢) نظمه انه كتب عنه بضعاً عدة كتاب "المرحان في اخبار انصار الزمان"
(٣) ا. و. ج. ١ ص ٢٩ (٤) ا. و. ج. ١ ص ٢٦ (٥) ا. و. ج. ١ ص ٢٨ (٦) ا. و. ج. ١ ص ٢٨ (٧) ا. و. ج. ١ ص ٥٤ (٨) لقد عذبه اهل هذا السبب ، وقد ورد ذلك في "قصص اسعد باشا" ص ٢٤٠
(٩) "عند اكبر البواقي على حجة في رساله بني السديانة كانوا في جهة التي تأمر على الامير بشير ، بليد وخط الامير صاحبهم في عادية المختارة الشهيرة ، وفاقا لهؤلاء انتقامه وفارس يؤمنه شاب تعلم نفسه في المجازفة والحد في مضارح الفرية ، فوافقه على اربعين نقداً له منه عشر الاخرة (مصر ص ١٧)

في مصر : ١٨٢٥ - ١٨٣٤

جاء الشدياق مصر مظاف الطائفين و ملقى عها المتشردين ، وكانت انذاك تنهيا لوثبتها الحضارية التي اعد لها محمد علي . وفيها بدأت هيفريقه تتفتح ، اذ اخذ يعمل في الوقائع المصرية محرراً^(١) ، وارتنقى في ذلك حتى تولى رياسة التحرير بدلا من رفاعه بك الطمطاوى . فارتقت لغتها واخذت شهرته الادبية تسير مع الجريدة انى توجهت ، وحيثما سارت ، حتى بلغ رتبة سامية اكسبته ثقة الحكام وانروءاه واحترامهم .

واكتب في مصر على الدرس والتحصيل فدرس النحو والمنطق والفقه وعلم الكلام والمروءة ، وتعلم على نصر الله الطرابلسي (١٧٧٠ - ١٨٤٠) وهو ابن فتح الله بن بشاره الطرابلسي ، ولد في حلب ثم ارتحل به ابوه الى طرابلس ، ثم رحل الى مصر ، عام ١٨٢٨ عندما تحامل عليه اعداؤه ، وفيها تعرف الى بني البحرى من ايمان طائفيته ، وكانوا متقدمين في الدواوين . وبواسطتهم تقرب الى محمد علي باشا فمدحه ونال استحسانه^(٢) ، واتصل بالشاعر شهاب الدين محمد بن اسماعيل الملكي (١٨٠٣ - ١٨٥٧) وقد احتك معه اثناء عملهما في تحرير الوقائع . وقد كان شهاب الدين بارعا في الكتابة والسعر^(٣) ، وقد تمكن الفارياق بواسطتهما من التعمق في اللغة وسير اغوارها على عمقها وتباعدها .

وقد مكث في مصر مدة طويلة خبير فيها بالحياة المصرية على تنوع مسارها وتشعب طرقها ، وفيها تأملت امواه خزانة الفكرى ، وبدأت قريحته تستعد للمجود الفكرى الكبير الذى ستنهض به في المستقبل . وقد اصيب فيها بانواع من الامراض كالديدان والحكاك والرمم والهواء الاصفر^(٤) ، وفيها تزوج من فتاة من آل الصولي ، من ايمان السوريين هناك ، وولد له منها ولدان سليم (١٨٢٦ - ١٩٠٦) وفايز (١٨٢٨ - ١٨٥٦) وهولا يبخل علينا بوصف زواجه باسلوبه الحي الطريف ، كما انه قدّم له بفضل من اجمل فصول الكتاب وادلها على غزارة مادة المؤلف .

(١) اخبار اعيان ص ١٩٨ ، (٢) الآداب العربية في القرن التاسع عشر ج ١ ص ٥٧ ، (٣) نفس المصدر ص ٨٠

(٤) رشيد ج ٤ ص ١٤٠ - ١٤٦

واحاطة علمه بالحياة . وقد وصف فيه طادات المصريين في الزواج وصفا رشيقا فيه الكثير من الدطابة والنهكم^(١)

في مالطة ١٨٢٤ - ١٨٤٨

قصد الفارياق مالطة وبطلب من المرسلين الاميركيين . ليعمل هناك في تصحيح الكتب التي تصدر عن مطبعتهم وليعلم اللغة العربية في مدارسهم . وتذهب المصادر الى انه اعتنق المذهب الانجيلي هناك^(٢) . ولكننا عثرنا في الساق على ما يثبت انه كان اعتنق هذا المذهب اثنا وجوده في لبنان قبل سفره الى مصر . والقصة التالية تشير الى ذلك

"واتفق وقتئذ ان قدم عنقار يحدد على شراء السلع القديمة وعلى اصلاحها او على مقايضتها او على صبغها . وادعى انه يقدر ان يعيدها الى لونها الاول وانه لا يعجزه شيء من احوالها بحيث ان صاحب السلعة نفسه اذا رآها بعد صبغها وتصلحها يتعجب منها غاية العجب ولا يعود يعرفها . وانه اي العنقار لما بلغه في بلاده فساد تلك السلع اقبل حندا الى تلك البلاد وهو يحمل خرجا كبيرا فيه من الاصباغ والادوية ما يرقأ كل خرق ويعيد كل لون نافس . فسار اليه الفارياق محملا الى المقايضة وواطأ على ابدال ما عنده من السلعة القديمة باخرى جديدة رافت لعينه . فقد يقال لكل جديد بهجة . ثم قفل الى منزله مسرورا بصفته . فلما علم اهله وجيرانه بذلك استشاطوا عليه غيظا وقالوا : لعمر رب الجنود ما جرت العادة في بلادنا بتغيير البياض ولا بمقايضتها ولا باصلاحها ولا بصبغها . ثم لم يلبث الخبر ان بلغ مطران الصنع وكان من الفواطرة الكبار . فكانما كان سكيئا سقط على حلقونه او خردلا دخل في خرطوميه فهاج وازيد وابرق وارعد الخ . . ونادى يا خيل الله على الكفار . انهم صالوا النار . كيف تجرأ هذا الشقي المنحوس المعتوه المهلوس على ان يذهب مذهبا غير ما نهجه له حائليته وسلوكه فيه بطريقه . . الخ^(٣) ثم يمضي في حديثه معددا ما صار بينه وبين المطران . ورجوعه الى الخرجي (المبشر)^(٤) طالبا الحماية من اذى الطائفة . وكيف صار المبشر يمتحنه ويختبر قلبه ليعلم

(١) رسالة ج. ٢ ص ١٦٧ "في البشعة والزواج" (٢) منه هذه المصادر "في ريس انديان" بولس ص ١٨
والآداب العربية في القرن التاسع عشر" لشيخ ج. ص ٧٩ "تاريخ اصفه" ج. ١ ص ٩٦ (٣) كانه
ج. ١ ص ٩٤ (٤) يفهم منه سياحه الكتاب انه الخرجييه هم المبشرون الانجيليون وانه لوقبييه هم الموارنة

هل نهر فيه حب السلعة الجديدة نبضا قويا ^(١) وفي هذا الحديث نرى الشدياق مؤمنا ، على تهكمه بالذهبيين ، بالذهب الجديد ، وكأنه اظهر هذا الايمان ليتمكن من السفر الى مصر ، حيث يلعب نجم شهرته :

"ثم قال (اى اغاريق) لنخرجي قد وحيث يا سيدتى كل ما اوعيته اذني وما ارى الحق الا معك وانى مضايحك ومتبعك وحامل الخرج معك . ولكن اجرني من هؤلاء الصعافيق فانهم كالاسود الضارية لا تأخذهم في خلق الله رافة ولا شفقة . وعندهم ان اهلاك نفر غيرة على الدين يكسبهم عند الله زلفى ^(٢)

وهكذا نرى الشدياق يسافر الى مصر ، وقد تمذهب بالذهب الجديد . ويثبت ذلك انه عندما اراد مصاهرة آل الصولي مانعوا في بادئ الامر لانه كان انجيليا بينما هم كاثوليك . وقد قالت له امها انذاك :

"قد علمت ان السوفيين لا يبيعون مصاهرتك فان كان غرمك على ان تتزوج ابنتي ينبغي لك ان تتسوق ولو يوما واحدا ^(٣) .

هذه الادلة تثبت قطعيا على انه اعتنق المذهب الانجيلي في لبنان قبل مغادرتها الى مصر وهذا اقرب الى العقل باذ انه يستبعد ان يركن اليه المبشرون ويشقوا به دون ان يكون قد برعن لهم بادلة لا تقبل الشك على انه يؤمن بذهبيهم .

ولم يستمر مكثه في مائطة بل سافر مرة الى لبنان وسوريا مع رئيس البعثة التبشيرية وزوجته فوصل اليها عندما خلع الناس الطاعة لوالي مصر ^(٤) وسافر الى ايطاليا مع سامي باشا ^(٥) وسافر الى تونس عام ١٨٤١ ^(٦) في رحلة قصيرة وفيها مدح الباي بقصيدة طويلة "ذكر فيها كل ما شاقه هناك من المحاسن" ^(٧) فاجابه وزيره مصطفى باشا الخازندار برسالة في شباط ١٨٤٢ ارفقه بحكمة من اللباس هدية من الباي . وسافر اليها مرة ثانية بدعوة من الباي على اثر قصيدة مدحه بها . عندما زار فرنسا وفرق على فقرا مرسيلية وباريس وغيرها اموالا جزيلة شاع

(١) الس. ج. ١ ص ٩٧ (٤) الس. ج. ١ ص ٩٩ (٥) الس. ج. ٢ ص ١٧٧ (٦) الس. ج. ٢ ص ٢٨

(٧) الس. ج. ٢ ص ٢٦٧ (٨) مقال لطفي بربس في الملتقى عدد ١٤ ص ٢ (٩) الس. ج. ٢ ص ٢٦٧

ذكرها . وقد ارسل اليه الباي في هذه المرة بارجة حربية وبالع في احترامه واكرامه حتى قال : " لعمرى ما كنت احسب ان الدهر ترك للشعر سوقا ينفق فيه . " (١)

ثم سافر الى انجلترا عام ١٨٤٥ ليترجم كتاب صلوات للجنة في بلاد الانجليز فمكث فيها مدة ترجم فيها الكتاب ثم جاء الى باريس فمرسيلية . ثم عاد الى الجزيرة (٢)

وفي الجزيرة طبع الطاريق بعمر كتبه واكثرها يغلب عليه الطابع التعليمي ومنها الوساطة في معرفة احوال مالطة . " واللفيف في كل معنى طريف " . والباكورة الشبيهة في نحو اللغة الانجليزية والمحاورة الانسية في اللغتين العربية والانجليزية وعرب شرح طبائع الحيوان . وستحدث عن كل منها في موضعه .

في اوروبا : ١٨٤٨ - ١٨٥٦

ثم دعت جمعية ترجمة الاسفار المقدسة ليساعد في تعريب ترجمة التوراة . التي كان يشرف عليها الدكتور لي . فاشتراط على حاكم مالطة ان يغيب عنها عامين واذا رجع يوظف في وظيفته الاولى فقبل الحاكم بشره (٣)

وقد اتم ترجمة التوراة في اقل من عشرين شهرا . وفاوضته الجمعية بشأن تصحيح الطبع فقبل على شرط ان يقيم في باريس ليتعلم اللغة الفرنسية . فسمح له (٤) وقد قضى في اوروبا بضع سنوات متنقلا بين مدنها بزيه الشرقي وبطربونيه . وقد اتيح له في هذه الفترة ان يتمكن من اللغتين الانجليزية والفرنسية . وقد ألف في هذه الفترة عدة كتب منها " كشف النخب عن فنون اوروبا " وقد وصف فيه تلك البلاد وصفا دقيقا فتناول احوال البلاد عامة وتاريخها واهلها وعاداتهم وغير ذلك مما سنذكره في مكانه . كما انه طبع في باريس كتابه " السار على الساق " عام ١٨٥٥ وتروى المصادر (٥) انه تزوج في انجلترا من فتاة انجليزية لم تنجب له اولادا . ولكنه لا يذكر لنا في كتبه شيئا من ذلك . وحا في موسوعة البستاني

(١) اسفه ج ٤ ص ٢١٦ (٢) نفس المصدر ص ٢٠٥ (٣) نفس المصدر ص ٢٠٧ (٤) كشف النخب ص ١٤ (٥) كتابي مشاهد مشرقية ج ٢ ص ٢٦ " وفارس ابتدائة " ص ١٧

انها انجبت له ولدا مات صبيا ولا تزال (عام ١٨١٨) في قيد الحياة في تونس^(١٦) ونال الحماية الانجليزية واقسم اليمين التالي :

"انا فلان اعد واقسم صادقا بانني اكون امينا ومخلعا للطاعة لسعادة الملكة فكتوريا واحامي عنها بغاية جهدي وطاقتي ضد جميع من يتحالف عليها او يهدم بسوء عليها سواء كان على شخصها او تاجها او شرفها وابذل غاية جهدي في ان اكشف لسعادتتها ولورثتها ولمن يخلفها جميع الخيانات والخائنين والمتفادين عليها او عليهم واعد بامانة اني ابذل غاية استطاعتي في ان احفظ واسند واجبر خلافة التاج المعبد منه في الاحكام بحكم كذا الح^(١٧)"

وعندما شاعت اراجيف حرب القرم بين الدولة العليقة وروسية نظم وهو في لندن عام ١٢٧٠ هـ (حوالي ١٨٥٤ م) قصيدة يمدح فيها السلطان عبد المجيد . ومطلعها :

الحق يعلو والصالح يعمر
والزور يعحق والفساد يدمر^(١٨)
وقدمها لسفيره الامير موسورس فبعث بها الى رشيد باشا فلم تعرايا حتى بعث الوزير المنار اليه الى السفير يخبره بان القصيدة قدمت الى السلطان ونالت قبوله ورضاه وامر بتوظيف ناظمها في ديوان الترجمة السلطاني^(١٩) . واخذ الفاريابي يستعد للسفر ولكنه سافر الى تونس بدعوة من الباي كما ذكرنا سابقا ، على اثر قصيدته التي نظمها في مدحه ومطلعها :

زارت سعاد فقلبي اليوم متبول
فما الرقيب بغير النشر مدلول
وقد حبيب اليه احد اطاب البيت العالي الاقامة فيها دون الاستانة^(٢٠)

حياته في تونس : ١٨٥٧

خابر الندياق تونس ومكت فيها ردحا من الزمن معززا مكرا . ويقول شيخو^(٢١) ويتابعه في ذلك زيدان^(٢٢) ومسعد^(٢٣) وبركلمان (Broekelmann)^(٢٤) ، انه حرر في الرائد التونسي . ويرد طرازى هذه الدعوى قائلا .

(١) ذاكرة المعارف ج. ١٠ ص ٤٩٤ (٢) كشف الجناح ص ٤٨ (٣) اساطير ج. ٤ ص ٤٩ (٤) ج. ٤ ص ٤٩ (٥) فارس ادياب ص ٤٠ (٦) الاداب العربية في القرن التاسع عشر ج. ٤ ص ٨٠ (٧) تراجم مشاهير ج. ٤ ص ٦٧ (٨) فارس ادياب ص ٤٠ (٩) II
Suppl. G. A. L. Vol. ١٥٧

" وقد روى جرجي زيدان في ترجمة احمد فارس الشدياق المطبوعة في كتابه تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر ان احمد فارس حرر في جريدة الرائد التونسي . والحال ان المشار اليه زار تونس قبل سنة ١٨٥٧ ولم يعد اليها مرة ثانية . وكان ذلك قبل تأسيس الرائد التونسي بربع سنين في عهد الباي احمد باشا . وروى مثل ذلك الاب لويس شيخو في كتابه الاداب العربية في القرن التاسع عشر فاقتضى التنويه لانه لما صدر الرائد التونسي كان احمد فارس يحرر جريدة الجوائب في الاستانة التي لم يزايلها الى اواخر ايامه^(١) . ونحن نوفق بين الطرفين فنقول : ربما كان احمد فارس يتحف هذه الجريدة . بين الان والاخره بمقالاته من الاستانة . لارضا^(٢) الباي الذي كان يمدّه بخمسة ليرة عثمانية كل عام . ومتابعة لرسائله الاصلاحية . وعلا للخلافة الاسلامية التي كان من دعاتها . هذا اذا ثبت ان الرائد التونسي ظهرت عام ١٨٦٠ تماما .

وفي تونس وجه اليه الباي منصباً كبيراً . وهناك اعتنق الديانة الاسلامية^(٣) على يد شيخ الاسلام وسعي احمد . وربما يكون الشدياق قد اعتنق هذا الدين عن عقيدة وايمان او طمعا في المناصب وركضا وراء^(٤) عصى الدنيا . كما اعتنق المذهب الانجيلي سابقا . ونحن نميل الى الرأي الاخير . فالشدياق الطموح . كان لا يترك شيئا يقف في سبيله . سواء في العقيدة او في سواها . اذا كان هذا الذي يعترض تقدمه ونجاحه .

امضى الشدياق مدة في تونس كان فيها موضع الاحباب والتقدير . وقد طارت شهرته في الاقطار الاسلامية وخصوصا في الاستانة . فطلبت له الصدارة العظمى من الباي فارسله اليها مكرها .

في الاستانة ١٨٥٧ - ١٨٨٧

قدم الفاريق الاستانة عام ١٨٥٧ في حكم السلطان عبد المجيد وكانت البلاد مضطربة عقب حرب القرم . ولكن السلطان كان حسن النية فحاول ان يصلح بلاده

(١) تاريخ الصحافة ج ١ ص ٦٦ (٢) الاداب العربية في القرن التاسع عشر ج ٢ ص ٨٠ وتراجم مشاهير الشرق

ج ٢ ص ٧٨

وان يضع خططا وقوانين للاصلاح تضمن رفاهية الجميع^(١). وقد بدأ الفارياب عمله فيها مصححا في مطبعة الحكومة، وكان المرجع الأول في الامور الهامة . "وظفر بعطف السلطان والتفاته السامي فانعم عليه بالرتب والاوزمة العالية الشأن ونسجت الحكومات الاوروبية على منواله فاغدقت عليه نياشينها واختصه الملوك والامراء برعاية خاصة وخاطبه عظماء العالم واقضاة وكبار علمائه ونعتوه باحسن النعوت واجل الاوصاف . وبالاجمال قد احرز وهو في القسطنطينية من المكانة السامية والنفوذ السياسي والادبي ما لم يحرزه واحد من معاصريه في طاصة بني هتمان^(٢) . وكانت داره مرجع اصحاب الحاجات، يؤمنونه ليوطأ لهم الامور ويقضي لهم المآرب .

وفي شهر تموز عام ١٨٦٠، اصدر الشدياق جريدة "الجوائب" التي سنتحدث عنها فيما بعد . وقد ظل يعمل في التأليف والتحرير الى اواخر ايامه . وقد قدم مصر عام ١٨٨٦ مصحوبا بعائلته وقد شاح وهرم . وقد شاهد جرجي زيدان وقال عنه :

"وفي سنة ١٨٨٦ قدم صاحب الترجمة الى هذه الديار وقد شاح وهرم واتيح لنا مشاهدته وقد علاه الكبر واحرق بحدقته قوس الاشياخ واحدودب ظهره ولكنه لم يفقد شيئا من الانتباه او الذكاء، وكان الى اخر ايامه حلو الحديث طلي العبارة رفيق الجانب مع ميل الى المجون .

وقد لاقى اثنا اقامته بمصر هذه المرة حسن الوفادة فزار الوزراء والعظماء وتشرف بالمشول بين يدي الخديوى السابق فاكرمه ولاطفه وذكر خدمته للشرق^(٣) .

وفي الاستانة انجز عدة كتب اهمها "سر الليال في القلب والابدال" في مجلدين و "الجاسوس على القاموس" و "المرأة في عكس التوراة" و "لا تأويل في الانجيل" و "الاجرومية" و "النفائس في انشاء احمد فارس" و "الروص الناصر في ابيات ونوادر" و "غنية الطالب ومنية الراغب" و "منتهى العجب في خصائص لغة العرب" و "التقنيح في علم البديع وسواها .

(١) راجع لذلك تاريخ الدولة العلية، محمد فريد بك ص ٥٦٤، (٢) فارس، لبيد ص ٥٠، (٣) تراجم مشاهير الشرق، ج ٢ ص ٧٩

وفاته :

كان الشدياق في اواخر حياته يحاول الرجوع الى وطنه لبنان ليموت فيه متفيا ظلال ارزه بين اهله واقاربه^(١). ولكن الضية حالت بينه وبين تحقيق هذه الامة . وحوالى اوائل ايلول طم ١٨٨٧ ساءت حالته ولما شعر بدنو اجله سأل حرمه ان تشرك معه في احضار عدد الذين سبقوه الى عالم الارواح من خلانه واصدقائه وذكر ١٨١ نفسا قال ان اعزهم لديه سامي باشا ونجمله صبحي باشا وكمال باشا وعالي باشا ونوفاد باشا - وهم من اقطاب الدولة في ذلك الحين - واستاذان يعرف لهما فضلها عليه هما الشيخ شهاب الدين الخفاجي والسيد نصر الله الطرابلسي الحلبي وهما اللذان اتم عليهما دروسه في العلوم العربية وهو في مصر^(٢) . ولنترك الان لبولر مسعد ان يصف وفاته ومآته فقد ابدع في ذلك : قال

وفي اول سبتمبر (ايلول) انحرفت صحته ونجمله سليم في باريس وحدثته نفسه بدنو اجله فارتبك وكان الاستاذ نجيب هندية احد محرري جريدة القاهرة التي انشأها سليم ملازما له وقتئذ فانبأه بانه قلق البال مضطرب الافكار وارهز اليه ان يستقدم ابنه من باريس على جناح السرعة ففعل . وفي صباح ١٩ سبتمبر وصل سليم الى الاستانة فابتهج فارس بلقياء وانتعشت نفسه وخيل الى اسرته انه بات في منجاة من الخطر . ولكن ما غربت شمس اليوم التالي وهو يوم الثلاثاء الواقع في ٢٠ سبتمبر حتى ساءت حاله وبعد ان طبع قبلة على جبين نجله اتكأ على الوسادة واستغرق في النوم ثم استيقظ بفضة الموت . وفي الساعة الثامنة والدقيقة العاشرة من تلك الليلة نفسها لفظ انفاسه الاخيرة بين ذراعي نجله سليم .

وكان لوفاته دوى عظيم تردد صدهاء في انحاء الشرق والغرب . وفي صباح الاربعاء ظهرت صحف الاستانة مطوقة بالسواد حدادا عليه ورثاء كتابها بمقالات ضافية عددوا فيها مآثره ذاكرين فضله على اللغة والعلم . ووصلت صحف لندره وباريس فاذا بها تنعیه لقرائها بعبارات مؤثرة تشف عن تقديرها لعلمه وفضله .

(١) ابياع المنفصل ص ٥٢٦ (٢) انظر انصاف تحريفا في الاسم ، في الاسم الحقيقي هو محمد شهاب ابراهيم الحلبي (٣) في ابياس انصاف ص ٢٤

وظير منعه الى الاقطار العربية فاكبرت فجميعه العرب فيه وابدهت صحفها في
رثائه ووصف جهاده ورثاء الشعراء والكتاب في كل ناد وصقع بينهم طائفة
مختارة من ائمة اللغة واقطاب الاقطار الشرقية وامراءها وعظماءها وبالاجمال ان
وفاته عدت في المحافل العلمية والاندية الادبية والسياسية سواء في الاستانة او
في الممالك الاسلامية او الاوروبية خسارة عظيمة على اهل الادب والفضل في
الاقطار العربية .

وكان فارس اوصى بان يدفن في وطنه لبنان وعمل بوصيته حنطت جثته
ووضعت في تابوت من الرصاص ووضع هذا التابوت في تابوت اخر من الجوز ثم
في صندوق متين من الخشب ونقل النعش اولا من قصره في "قاضي كوي" الى
قصر نجله سليم المجاور لنظارة المعارف . وفي صباح الخميس في ٢١ سبتمبر غص
القصر بالمعزين من الامراء والنبلاء والعلماء ورجال الفضل والادب من وطنيين
واجانب وارباب المناصب العالية من ملكيين وهكاريين بينهم كثير من الصدور العظام
السابقين والوزراء واقطاب الدولة وكبرائها وخرج الموكب من القصر
في نظام بديع بين صفين من الجماهير المحتشدة على جانبي الطريق حتى الميناء .
فكان مشهدا فخما رائعا قلما شهدت الاستانة مثله وكان اثنان من وزراء الدولة
النخام يرافقان نجل النقيب وبعزياته . ونقلت اجثة الى الباخرة النصوية التي
اعدت لنقلها الى لبنان على زورق جميل نشرت فوقه الاعلام منكسة بين صفين من
الزوارق نقل عظماء الدولة وكبرائها .^(١)

وقد وصلت الباخرة بيروت في صباح الاربعاء الموافق ٥ تشرين اول
وكان في استقبالها جمع غفير من رجال بيروت ووجهائها . ونقل النعش على زورق
حكومي الى الشاطئ . وسير به الى الجامع العمري الكبير حيث صلى عليه . ثم نقل
باحتراف مهيب الى العدة . حيث كان في استقباله فرقة من فرسان الجند اللبناني .
وجمع من اقطاب البلاد وكبرائها وامرائها . وقبل ان يوارى في التراب ابنه

(١) فارس اوصى ص ٤٧ وما بعدها

بعض العلماء والادباء ومنهم الشيخ ابراهيم الاحدب والشيخ قاسم ابي حسن الكسبي والامير شبيب ارسلان وسواهم^(١) وقد جمع الاستاذ يوسف آصف المحامي المراثي والتأيين التي قبلت فيه، وما نشرته الصحف عنه في البلاد العربية عامة في كتاب اسماء "هو الباقي"^(٢) . وقد دفن الفاريابي اولا في الحدث ثم عاد سليم ونقل جثته منها الى الحازمية^(٣) وذلك لان ليس في الحدث احد من المسلمين . وقد اشترى لذلك ارضا فسيحة ليجعلها وقفا ينتفع بريعها شخص مخصص وحارس يحرس اللحد ، وفي عزمه ان يقيم للضريح زاوية تقام فيها الصلاة^(٤) . وقبل مدة لا تتجاوز عشر القرن ، نقل نعش الفقيد من مكانه الى مكان اخر لاسباب فنية اقتضاها فتح طريق جديد ، وكان مدير وزارة الاشغال انذاك ميشيل الباحوط^(٥) ورسم ضريحه الجديد ابراهيم نقولا ششم^(٦) .

وما قاله الامير شبيب ارسلان في رثائه :

ليال لها بالمجد صف الرواس
لنعم رجال الدهر شم المعاطس
وجوما قد اسودت وجوه المدارس
لذن غاب عنه اليوم احمد فارس
تجمع فيها كل قوم مـمارس
وان قال لم يترك مقالا لنا بس
وارقد نارا امها كل قابس
لانه الايام غير فسهارس
على عفو هاتيك الرسوم الطوامس
بانشائه كانت طراز المسجـالـس
بها وتثنى العصر عن عطف مائـسـ

تبادت علينا بالخطوب الدوامس
واحمت رجالا للزمان وانهم
احقا عباد الله ذا اليوم انه
واصبح مضار البلاغة خالـسـيا
هو الفارس الباقي في كل حلـبـة
اذا حال لم يترك مصالا لغيره
اقام منارا هاديا كل حائر
غدا ذكره مل الزمان ولم تكن
وشيد للفصحى قصورا شواها
لقد جابت الدنيا جوائبه التي
تبليج نور الشرق عن وجه سافر

وما قاله الكونت فيلب طرازى :

من طاب اصلا في العلوم ومحتدا

هو فارس الشدياق بهجة عصره

(١) راجع في رسالتي ص ٦٠، ٦١ . (٢) اجمعا هذا الكتاب في دار الكتب اللبنانية وهو مطبوع في طبعة جريدة القاهرة المزمع ١٤٠٥ هـ . (٣) هو ابياتي ص ٤٧ . (٤) اكتشف عدد ١٧٠ ص ٨ (٥) اخبرنا الاستاذ يوسف زيدان . (٦) في رسالتي ص ٤٧

عين النباهة والحذاقة والكـــرامة
دار السعادة فجعت لمصابه
وبكى عليه الشرق دمعاً بل دما
يبكي عليه كل حي ناطق
والفصاحة والحصافة والتدى
اذ كان للاداب فيها مقصدا
والغرب في حمراته رد الصدى
بالضاد اذ كان الامام المفردا^(١)

وللشاعر الاديب البار زخريا قطعة جميلة كتبها يوم نقل جثمانه عام ١٩٣٨ هـ

قال :

على خشنة معاول الفعلة في مدائن "الحازمية" وفي نبضات عروقهم التعب
وقبيل قلبه الشمس، اطل عليهم من طاقة القبر ومن مدى عتمه خمسين عاما، وفي جبة
من الرصاص، وفي جثمان لم يعكر صفو غفوته التراب، ولم تهدمه اصابع الزمن الخشنة
في كرتة المستمرة الهدامة :

احمد فارس الشدياق

وتطلع اليهم وهز رأسه لدى معاولهم ومسح لبنان، لبنان هذا بطرف
عينه، ثم ضم الرصاص وتلمس دمعته فسقطت المعاول رجفا من ايدى الفعلة، ونزلت
الشمس وسقطت الظلمة واطبقت باب القبر
.....

ويا احمد فارس الشدياق هـ

يا جيلا فسي رجل

يا قلب لبنان

يا جبهتنا يوم الفخر

شاءت حكومة "لبنان" ان تزيل هذه "العكنة" التاريخية التي ثويت فيها وهي
لم تعلم قط انك فيها بل ظننتها قبورا لاموات فاذا بك بعد نصف جيل تعيش
في مرقدك، ولم تنزل على حالك كأنك مت امس .
ها هي لحبتك، وها هو وجهك المشرق وها ان الكفن والكفن نفسه، لم يزل

عليك حيا مختوما بخاتم دائرة الصحة العثمانية .

فأعمر النعش، بحياتك، وانظر في ابعاد القبر انه لا خوف عليك من التطلع الى لبنان، لبنان الذى راح يعكر صفو طمأنينة اكفانك، لبنان الكافر الذى يخلق العباقره ثم يهوى على اكفانهم بالمعاول القاسية^(١).

وبعد، فهناك نقطة هامة اضطررنا لان نتعرض لها، على نعمرنا، وهي مسألة دين الشدياق حين وفاته . فقد ذكر الاب شيخو في كتابه "الاداب العربية في القرن التاسع عشر"^(٢) ان الشيخ ظاهر الشدياق احد انساب احمد فارس اخبره انه مات كاثوليكيًا، واعترف بخطايه قبل وفاته الى احد كهنة الارمن . وقد شهد على الامر خليل افندى يعقوب الذى حضر وفاته .

وتمر ثلاثون عاما على هذه القضية، ولتنبعث من جديد على ايدى الاديبيين يوسف يزبك ومارون عبود . فيزبك يذهب الى هذا الرأى فيقول :
"كان لمؤسس "الجوائب" في شيخوخته سكرتير من انسابه هو المرحوم خليل يعقوب جفال الشدياق (محرر جريدة "صدى الشرق" المصرية بعدئذ) لازمه في ايامه الاخيرة ملازمة الظل . وقد روى لنا - كما روى لغيرى من انسابنا ومن زائريه - ان منشى "الجوائب" لفظ انفاسه الاخيرة وهو مستند الى ذراعه ومتمكى على ركبته، وانه لما شعر بدنواجل سيده بعث واستحضر كاهنا ارمنيا "زود المحتضر الاسرار المسيحية الاخيرة" - كذا .

وقد اعترضت على هذا الخبر بقولي "ان احمد فارس صلى عليه ودفن بموجب الطمس الاسلامي فلو كان ارتداده الى النصرانية صحيحا لاي الشيوخ المسلمون الصلاة عليه والمنشئ في ماتمه . . .

فاجاب المرحوم خليل : - لم يدر احد بما فعلنا لان زيارة الكاهن تمت سرا وبكل احتراس .
- وهل كان الامام مالكا وجمه .

- الوعي كله ٠٠٠٠ وقد فهم كل حركة جرت حوله ٠٠٠ وازيد على ذلك ان الاحتضار طال وطفق المرحوم احمد فارس يتعذب ٠٠٠ فذكرت انه يحمل في عنقه ذخيرة عود الصليب اعطته اياها والدته قبيل مغادرته لبنان فاحتفظ بها منذ شبابه حتى ساعته الاخيرة ٠ فنزعت تلك الذخيرة من عنقه فتوفي حالا ٠

فسألت خليلا : - وهل عرف ابن الفاريق (سليم فارس) بما قصصه الان علي ؟
فاجاب سكرتير الامام : - لقد اخبرته الحقيقة فاسكتني بغضب وامرني بان لا ابوح لاحد بشي مما جرى ٠
- ولماذا ؟

- لا شك في انه كان يخاف على ضياع مركزه الخطير في حالة ثبوت ارتداد ابيه الى دين اجداده ٠٠٠
قلت : - لا اعرف مبلغ هذه الرواية من الصحة ، ولكن المرحوم خليل يعقوب الشدياق اكدها لي مرارا كما اكدها لبعض انسيائه واصدقائه ٠ وكثيرا ما كان يردد على سامعنا هذه الجملة المعربة بحزم وتأکید " الامام مات نصرانيا " ٠
- ترى : هل يكون الضعف الجسدي قد اثر في ذلك العقل الجبار في ساعته الاخيرة فاضعه الى هذا الحد ؟

انه لموضوع يستحق الدرس وان كنت لا اجزم به^(٧) اه ٠
ويرد عليه الاستاذ مارون عبود ، محارلا ان يثبت ان الشدياق طمس مسلما ومات مسلما وان رواية يعقوب جفال الشدياق كانت مجرد خرافة لا اكثره وفي رده وفي رده ضعف ظاهر ولا يمكن ان نعتمد عليه في اثبات حقيقة دين الشدياق حين وفاته ، كما كانت رواية يزبك اضعف من ان تكون ثكأة نرتكر عليها ٠ ان نراه هو نفسه لا يجزم بصحة ما ذهب اليه ٠ بقي ان ننقل ما فانه الاستاذ مارون عبود في هذا الشأن انصافا للبحث وللباحث ، قال :

" يقول المرحوم خليل يعقوب جفال الشدياق انه احضر كاهنا ارمنيا ليزود مولاه الامام الاسرار الالهية ، ويميته على دين اجداده ، وانه فعل ذلك سرا ٠

قلت : هب ان احمد فارس كان يريد ان يعود الى ربه الاول ففي مكنته ان يفعل ذلك بلا هذه السفارة الارمنية . فالله كما تعلمنا ، طويل الروح شديد العقاب يكفي ان يقول احمد : ايمان بطرس ايماني ليروح احمد ويرجع فارس . وتنتهي القصة ويستقبله ببشاشة صاحب المفاتيح وعلى رضوان السلام .

كان على اخي يوسف ان يطمح هذه القصة لان كذبها بين مثل عين الشمس ، وكيف لا ينكرها والدليل على اختلافها قول صاحبها " وطال الاحتضار وطفق المرحوم (احمد فارس) يتعذب فتذكرت انه يحمل في عنقه ذخيرة عود الصليب ، فنزعت تلك الذخيرة من عنقه فتوفي حالا . "

حيث على التاريخ ان يدون مثل هذه الاخبار ، وان يصدقها كاتب نبيه كالاستاذ يزبك ولا يرميها . ان نزع فولتير لم يسمع بمثله التاريخ فهل كان يحمل فولتير مثل هذه الذخيرة العجيبة ولم يفظنوا لها ؟؟ وصديقي الاباتي بطرس حداد انطفا كالسراج وفي عنقه ذخيرة قدر الرغبة . ان هذه الرواية وحدها تكذب ما رواء هذا السكرتير غفر الله له . ومن عثر بحرف من الناموس عثر الناموس كله ^{١٢} اه .

نرى في هذا الرد ان الاستاذ مارون يعتمد في دفاعه على شيئين : السفارة الارمنية ، وذخيرة عود الصليب . اما السفارة الارمنية ، فمعقولة جدا ، لان المات في حالة ضعفه لا يثق بنفسه وحدها بل يحاول ان يطمئنها بالسفارات وبالوسائط ، ولذلك من المعقول جدا ان يكون الفاريازي ، او من حوله ، قد استدعى هذا الكاهن الارمني ، الذي ربما كان قريبا من بيته انذاك . ومن هذا الاستدعاء بخفية وتستر . اما ذخيرة قصة عود الصليب ، فمن الجائز المعقول ، ان الشدياق طال احتضاره بطريق الصدفة ، فحارى خليل يعقوب الاعتقاد السائد ، وعمد الى ذخيرة عود الصليب ونزعها فمات الشدياق بطريق الصدفة ايضا . اما رد الاستاذ يزبك ففيه لوم للاستاذ مارون على نفيه الخبر بلا مستند ولا برهان . ولا يكفي الاستاذ يزبك بل يحتكم واياه الى مكتبة بكركي ولعلها عاثران بين اوراقها على الرسائل التي قيل ان الشدياق كان قد ارسلها الى ابن خاله بولس مسعد ، يطلب فيها العودة الى لبنان

ليموت فيها على دين ابيه^(١)

ونحن لا نعرف ما تم بين الاديبيين، ولكن لنا رأينا الخاص في المسألة نود ان نقوله، وهو ان الحجج التي دم بها الاستاذ يزبك رأيه ليست كافية لاثبات وفاة الشدياق على دين ابيه، ومجرد الاعتماد على رواية رجل من الشدايقة، الذين كان يهمهم امر رجوع الشدياق الى حظيرة الكنيسة، لا يعد كافيا في نظر العلم . وقد تكون حكاية ذخيرة الصليب، تليقا اراد به الراوى، بطريقة ناعمة لا يحس بها، ان يثبت ان فارسا كان يعلقها على صدره، لانه كان يظهر خلاف ما يبطن، او انه استنجد بها عند وفاته ليموت مطمئنا مرتاحا .

اثباتات الاستاذ يزبك لا تكفي، كما ان رد الاستاذ مارون عبود كان ضعيفا فيه خروج ومداورة . وان كذب الحكاية لا يظهر، كما يقول الاستاذ عبود، مثل الشمس، برودود ضعيفة كذلك الا اصطنعها هو . اما قوله "ومن عثر بحرف من الناموس عثر الناموس كله" فلا نطق في العلم، والذي يجب ان تؤخذ فيه الحقائق مفردة، وان تعامل كل منها على حدة، وتعطى حكما خاصا بها .

نحن لا نشق برواية خليل يعقوب، التي فصها على ظاهر الشدياق قبل ان ينصها على الاستاذ يزبك بما لا يقل عن الثلاثين عاما^(٢) ما لم ترافقها اثباتات اخرى . كما اننا لا نقف في صف الاستاذ عبود لنقول انه مات مسلما وانتهى الامر، بل نقول ان عودته الى دينه الاول، عندما شعر بضعفه امر محتمل القوع . فان الانسان يذكر ربه في حالة الضعف ويذكر الاخرة حين يشعر ان الدنيا تكاد تنفلت من يديه . واخبار التاريخ تحوى امثلة كثيرة على هذا النوع الذي يبديه الانسان، وعندما يكون مستجى على فراش الموت . واذا ثبت لدينا ان الشدياق غير مذهبه اولا ثم دينه ثانيا لغايات دينوية، ولا عن اعتقاد ويقين، هان علينا ان نقول انه غير دينه في ساعة النزاع الاخير . ولعل في اشارة المطران يوسف الدبس^(٣) الى انه اطلع على رسالة كتبها الشدياق الى احد انسيائه يقول فيها انه كان ينوى العودة الى لبنان موطنه

(١) الجمهورية ١٠٤ (٤)، تاريخ آداب اللغة العربية ٢، ص ٨١ (٥)، ابي جع، المنصص ص ٥٢٦

ليموت بين اهله ومواطنيه وانبا ملته اثباتا لما ذهبنا اليه . ولكن حكمنا هذا لا يمكن اثباته الا اذا وضعنا يدينا على رسائل يثبت انها وردت من فارس الى بولس مسعد . تثبت ما ذهب اليه الدبس ويزبك .

وبعد ، فهكذا تفتتح امامنا حياة الشيخ الجبار ، جبارة زاخرة بمعاني الحيوية والعظمة ، مختلفة المذاهب ، متغلية في فضاء الله الواسع ، وبين اديان الله الواسعة . حياة طبعها التطرف في العزم والتأمل والدرس والتفكير والشهوة وفي علاقاته مع الناس . ويسمها القلب السريع ، فقد كان عصبي المزاج سريع الانفعال كثير القلب من طرف الى طرف في المشاعر الانسانية . وتغلب على حياته المادية ، فتغيير الاديان كتغيير الثياب ، وتخصصه شعره بالمدح والمناسبات ، واغفاله الحركات القومية التي كانت تفتتح ببطء في البلاد العربية ، وعمله لمساعدة سياسة الانجليز ، وتحبيب العثمانيين بهم امور تقنعنا بانه كان نهما يحب المادة ويفرط في هذا الحب ، كما كان يحب المرأة ويفرط في حبها . وهو يلخص هذا الميل في قوله محذوا الشعر :

فما الشعر ما امياك في الليل نغده ولكن ما اغناك في الصبح بالنقد^(١)

وصفة اخرى للشدياق هي الصراحة وحرية الضمير والجرأة في القول والعمل . وهذا يتجلى لنا في كتاباته . فالساق بلغ اوج الجرأة والصراحة والميل والتحرر . وميله الصريح الى الخديوى اسماعيل ، بينما كان السلطان ولي نعمة الفارياق يعقته ويخدره اثر من اثار هذه الجرأة .

وهذه الحياة ، المتعددة الجوانب ، البعيدة الاغوار ، الكثيرة النواتج ، صعب على الكاتب ان يلم اعرافها ، وان يجمع شتاتها . وتزداد هذه الصعوبة ، عندما تكون المصادر صامتة اذا استنطقناها لا تحيب ، واذا استحدثناها لا تتحدث . وهذه الالامة على ما فيها من جهد ، ومحاولة للتدقيق والتعمق في البحث ، عجزت عن ان تجمع من حياة الفارياق ابعادها المختلفة .

(١) فارس ، شدياقه ص ٤١

الفاريق المعلم

كما نود ان نفرد لهذا البحث فصلا خاصا به ، لولا انه يقف قزما بين
الفصول الاخرى ، ويتضائل اثره في حياة الشدياق . ونكتفي هنا بالاشارة الى جهوده
التعليمية .

وهل انسلك الشدياق في مهنة التعليم حتى نخصها بهذا البحث ؟ ربما لم
يعان الشدياق هذه المهنة بصورة منظمة ، ولكنه على كل حال عمل فيها وعمل لها .
وان نظرة واحدة الى تاريخ حياته ، ترينا انه حاول ذلك بصورة خاصة ، و اشار
اليه في الساق ، مع انه تنصل منه في مكان اخر . قال في الساق :
" فتقول ان صاحبنا الفاريق بعد اقامته مدة على الحالة التي ذكرناها جرى
بينه وبين جده من النزاع والمناقشات ما اوجب عليه ترك ما كان فيه واقتفاء طريق
اخر من طرق المعاش . فتاح له ان يكون معلما لاحدى بنات الامراء ، وكانت ذات
طلعة بهية الى " (١)

ويقول اخوه طنوس في " اخبار الاجمان " :
" وشرع فارس يدرس النحو والبيان عند احد علماء الازهر ويعلم النحو
اولاد جرمانوس البحري الحمصي الملكي الكاثوليكي " (٢) .

ولكن فارس في سنة ١٨٥٦ ، حين بلغ ما بلغه من العز فصار الملوك والامراء
يخطبون وده ، ويتنصل من ذلك ويقول في رسالة ارسلها الى اخيه هذا ، ينتقد
فيها كتابه المذكور :

" والثاني انكم نسبتم الي شيئا يخجلني عند الخاصة والعامة بقولكم انني كنت
اعلم النحو اولاد جرمانوس البحري ، مع ان ذلك نقيض قولكم اني كنت في خدمة محمد
علي باشا فمن ذا الذي اخبركم بهذا ولم لم تسألوني عن الواقع لعمر الله ان الحرية
تموت ولا تأكل بشدييها (٣) "

(١) الساق ج ١ ص ٤٧ (٢) اخبار الاعيان ص ١٩٨ (٣) المكتوف عند ١٧ ص ٢٠

ويقول زيدان متحدثا عن مجيئه الى مصر :
 "وكان مجيئه اليها بصفة استاذ للمرسلين الاميركان لتعلم اللغة العربية
 وفواعدها وانما اخرى".^(٤)

ويقول في موضع اخر :
 "ولبت في مصر بين تعليم وتعلم".^(٥)

ويقول ايضا متحدثا عن حياته في مالطة :
 "وفي سنة ١٨٣٤ سافر الى جزيرة مالطة واقام فيها زها اربع عشرة سنة
 يدرس في مدارس الاميركان".^(٦)

ويقول الكونت طرازي في ترجمة حياته :
 "ثم دعاه المرسلون الاميركان سنة ١٨٣٤ الى جزيرة مالطة حيث عهدوا اليه
 ادارة مطبعتهم وتصحيح مطبوعاتها . فاقام عندهم ١٤ سنة وعلم في مدارسهم

ويتابعها في ذلك بولس مسعد في ترجمة حياته فيقول :
 "وفي سنة ١٨٣٤ طلبه المرسلون الاميركان في مالطة فغادر مصر اليها
 واقام فيها ١٤ سنة يعلم في مدرستهم".^(٧)

ويقول المستشرق هنري بيريس
 "فالمؤلفات التي نشرها في مالطة بين العام ١٨٣٤ والعام ١٨٤٨ ولا سيما
 اللغيف في كل معنى لطيف (١٨٣٩) تحمل الطابع المدرسي الذي كان يشغل دماغه ،
 وتدل على ان مطامحه كانت محدودة لا تتجاوز حيورته استاذا للغة العربية في
 مدرسة من مدارس المبشرين البروتستانت كزميله البازجي".^(٨)

ونحن نعتقد ان ما ذهب اليه بيريس صحيح الى حد بعيد ، فان مطامح
 الشدياق لم ترتق الا بعد ان اعتنق الاسلام ، واتصل بالعثمانيين . وقبلها لم يكن
 مستقبلة يتعدى مستقبل اديب ليتعين من شق قلمه . واذا رجعنا الى الكتب التي

(١) تراجم مشاهير مشرق ج ١ ص ٧٤ (٢) نفس المصدر ص ٧٥ (٣) نفس المصدر ص ٧٦
 (٤) تاريخ الصحافة ج ١ ص ٩٦ (٥) فائس شدياق ص ١٨ (٦) في مقال نشر في المصنف

اشار اليها بيريس والتي فيها الشدياق في الفترة التي سبقت اتحاله بالسلطان ، نجد انها في الغالب مدرسية . ومن هذه الكتب :

١ . الباكورة الشهية في نحو اللغة الانجليزية ، والمحاورة الانسية في اللغتين

العربية والانجليزية - مالطة ١٨٣٦

٢ . اللفيف في كل معنى ظريف - مالطة ١٨٣٩

٣ . شرح طبائع الحيوان (معرب) - مالطة ١٨٤١

٤ . السند الراوي في الصرف الفرنسي ١٨٥٣

٥ . كتاب قراء للصغار .

كل هذه الكتب يصعبها الصاب المدرسي ، ولعل الشدياق احتاج الى بعضها أثناء قيامه بجمعة التدريس في مالطة عند ما كان استاذاً في مدارس المبشرين . وقد عرضنا لبعضها في هذا الكتاب ، وفي غير هذا الفصل ، ونعرض الان لكتاب آخر .

اللفيف في كل معنى ظريف

وضع الشدياق هذا الكتاب ليدرس في الكتاب الذي انشأته اللجنة المنتدبة

بترقية المصالح وجعلته فيما عليه^(١) . وعنه يقول :

"وقد كنت أكثر من الجمع في هذا الكتاب من حكم مفيدة وكلم سديدة وامثال

ادبية ، وحكايات تهذيبية ونوادر تفكيهية ونكات لهوية ، ينفكه في حدائقها الخاطره

ويترزه في روائعها الناظره ، ثم قسمته الى ثلاثة اقسام (الاول) يشتمل على حرافات

موضوعة (والثاني) على ادبيات من جد وهزل (والثالث) على ذكر بعض المشاهير

من العرب المتقدمين والمتأخرين^(٢)

ومن يتصفح الكتاب يلاحظ انه حوى كل ما يحتاجه المبتدئ في تعلم اللغة

العربية ففيه تعاريف على النطق بالحروف منفردة ثم النطق بها في كلمات ، وفيه صيغ

مختلفة من الافعال ومستقاتها ، وفي تخصيص الحسن وتخصيص الطعام وفي تفصيل الطريق

والرياح والارض وفي انواع الماء والوان الخيل واسماء التراب واسماء المظروف

(١) اللقب ص ٤ (٢) اللفيف ص ٤

صفات الانسان الحميدة وفي صفاته الذميمة وفي خصال المرأة . وفيه قصص طريفة عن الحمقى والمغفلين ومن نوادر حكا وقره قوش وابي العنبر وابي الزنبور . وفيه الكثير من الحكم والاداب واشعار المختارة . وفيه كثير من الخرافات اخذ معظمها عن كتاب "كليلة ودمنة" لابن المقفع .

واعتقد ان الشدياق استطاع ان يصل الغاية التي كتب من اجلها الكتاب ، وهي تعليم اولاد المكاتب اللغة العربية وتدريبهم على النطق بها وتسهيل قراءتها على من يرغب في تعلمها في وقت قريب . وتظهر ذلك في كثرة الامثلة التي جاء بها ، وفي تشكيلة اكثر الكلمات شكلا تاما وفي ايراد القصص والخرافات التي تحوى عظة اخلاقية ومغازى تهديبية . والكتاب يدل على حسن مرهف وذوق انيق في اختيار الامثلة .

انتاج الشدياق :

ليس من المتيقن جمع كل ما انتجه الشدياق في عالم الادب . فهناك كتب كثيرة ضاعت له لاسباب مختلفة اهمها نزعة المتخرفة في انتقاد احدى الطوائف المسيحية ، مما جعل افراد هذه الطائفة ، ورجال الاكليروس فيها يسعون الى حرق اثاره والقضاء عليها . وسنورد هنا ما انتجه الشدياق معتمدين على المصادر مرتبا حسب سني الطبع^(١)

١٠ . خبرية اسعد الشدياق - مالطة ١٨٢٢

٢٠ . الواسطة في معرفة احوال مالطة - الطبعة الاولى : مالطة ١٨٢٤ ، والثانية : الجواب (الاستانة) ١٢١١ هـ .

٣٠ . الباكورة الشهيبة في نحو اللغة الانجليزية ، الطبعة الاولى : مالطة ١٨٢٦

والثانية الجواب (الاستانة) ١٢١١ (طبعت هذه الطبعة مع المحاوراة الانسية في اللغتين الانجليزية والعربية)

٤٠ . اللغيف في كل معنى خريف : في جزئين (طبع الاول فقط) الطبعة الاولى : مالطة ١٨٢٩ والثانية : الجواب (الاستانة) ١٢١١ هـ .

(١) اعتمدنا في تحقيقنا على "الاداب العربية في القرن التاسع عشر" لشيخو ج ، و "تراجم مشاهير العرب" لزياده ج ، و "تاريخ الصحافة العربية" لطري ج ، و "فارس الشبانة بولس مسد" . وجميع المطبوعات العربية والمغربية لبونفايدان سركيس والمطبوعات كتاتيب تاريخ الادب II لبوطلمان ، ولجميعها من المصادر

- ٥٠ . المحاوراة الانسية في اللغتين الانجليزية والعربية : الاولى : مألظة ١٨٤٠
والثانية : الجواب (الاستانة) مع الباكورة الشهية سنة ١٢٩٩ هـ .
- ٦٠ . شرح طبائع الحيوان : في جزئين طبع الاول منها فقط : مألظة سنة ١٨٤١
وهو معرب عن كتاب *Natural History for the use of School B.W.F. Maier*
- ٧٠ . قصيدة في مدح احمد باشا تاي تونس - ١٨٥١ - تجدها مع الترجمة الالمانية
في مجلة الجمعية الاسيوية الالمانية Z.D.M.G. المجلد الخاص ص ٢٥٠
- ٨٠ . سند الراوى في الصرف الفرنساوى بالاشتراك مع غوستاف دوجا . باريس ١٨٥٣
- ٩٠ . الساق على الساق فيما هو الفاريانق او ايام وشهور واعوام في عجم العرب
والاعوام الطبعة الاولى : باريس ١٨٥٥ بنفقة رافائيل كحلل اندمقي والثانية في
مصر (١٩١٩) بنفقة مكتبة العرب لصاحبها يوسف توما البستاني في مطبعة
رعسيس والثالثة في مصر بنفقة المكتبة التجارية عام ١٩٢٠
- ١٠٠ . ترجمة الكتاب المقدس - لندن ١٨٥٢
- ١١٠ . كنز المخيا عن فنون اوروبا - الطبعة الاولى في تونس (١٢٨٣ هـ) والثانية
في الجواب (الاستانة) ١٢٩٩ هـ .
- ١٢٠ . غنية الطالب ومنية الراغب في الصرف والنحو وحروف المعاني - الطبعة الاولى
في الجواب ١٢٨٨ هـ والثانية فيها ١٣٠٦ هـ
- ١٣٠ . كنز الرغائب في منتخبات الجواب - في سبعة اجزاء : الاول : وهو يحتوى على
بعض ما في الجواب من الفصول اللطيفة والمقامات الظرفية والمقالات الادبية
التي لحرر الحوائب . والثاني يحتوى على اخبار حرب السبعين بين فرنسا
وبروسية والثالث يشمل على بعض القصائد التي نظمها صاحب الجواب بالاستانة
والرابع يحتوى على القصائد التي نظمها افاضل العصر من العلماء والادباء في
مدح صاحب الجواب . والخامس والسادس والسابع تشتمل على ما في الجواب
من الحوادث التاريخية والوقائع الدولية من جعلتها الاوامر السلطانية التي صدرت
في الخطوب الشهيرة وغير ذلك من الفوائد التي يحتاج اليها كل اديب اريب
ويحتاج اليها كل مؤلف لبيب (٥)

- ١٤ - كنز اللغات : فارسي و تركي و عربي - بيروت ١٨٢٦
- ١٥ - الجاسوس على القاموس : بدأه أثناء تجوله في أوروبا^(١) وطبعه في الاستانة عام ١٢٩٩ هـ .
- ١٦ - سر الليال في القلب والابدال في جزئين . طبع الاول في الاستانة سنة ١٨٨٤ والثاني لا يزال مخطوطا .
- ١٧ - العقامة البخشيشية او السلطان بخشيش . طبعت مع الترجمة الفرنسية بقلم م . ارتو في الجزائر سنة ١٨٩٣
- ١٨ - فلسفة التربية والادب - وهو جملة اقوال مختارة من جمل الشدياق الادبية التي نشرها في الجوائب^(٢) طبع على نفقة على خطاب بالاسكندرية سنة ١٩٢٤
- الكتب المخطوطة^(٣)

- ١١ - المرأة في عكر التوراة : وهو سفر ضخيم في نحو ٢٠٠ صفحة افرغه في قالب بديع لم ينسج احد على منواله وقد شرع في انشائه على اثر ترجمته للتوراة في لندن وانه في اواخر حياته وكان قد اوهز الى ابنه الا يطبعه الا بعد وفاته .
- ٢٠ - منتهى العجب في خصائص لغة العرب : " وقد قضى في تأليفه اعواما نجاة سفراف نفيسا طويلا بلغ عدة مجلدات بحث في خصائص الحروف الهجائية عند العرب ونسج في وضعه واسلوبه على منوال لم يسبقه اليه احد من ائمة اللغة . ولكنه احترق مع ما احترق من مخطوطاته هذه وسواها من الاوراق التي لم يتصل بنا نبأها^(٤) .
- ٢١ - النفاثر في انشاء احمد فارس
- ٢٢ - الروعر الناصر في ابيات ونوادير
- ٢٣ - التفتيح في علم البديع
- ٢٤ - لا تاويل في الانجيل^(٥)
- ٢٥ - ديوان شعري يحوى ٢٢ الف بيت وقد صححه عام ١٨٨٢

(١) مجلة الجمعية الآسيوية الألمانية J. D. M. G. مجلد ٤٩ ص ٤٩ (٢) مجلد ١ ص ١٦٨ (٣) تاريخ الصحافة ج ١ ص ١٨٧ (٤) فارس استديان ص ٤٥ (٥) فارس استديان ص ٤٦ (٦) تاريخ الصحافة ج ١ ص ١٨٧

- ٢٦ • نبذة شائقة في الرد على مطران مالطة .
٢٧ • فصول ورسائل شتى نشر بعضها في الكتب والصحف والمجلات^(١) ومنها ما هو محفوظ حتى اليوم عند اقاربه .
٢٨ • مناظراته لابراهيم اليازجي نشرت في مجلة الجنان^(٢)
٢٩ • تراجم مشاهير العصر^(٣)

اولاده :

تختلف المصادر في تعداد اولاده كما تختلف في اشياء كثيرة تتعلق به .
ولكننا سنعمد هنا على الروايات الاقرب الى العقل والى القياس التاريخي .

خلف احمد فارس ثلاثة اولاد هم سليم ولد في القاهرة عام ١٨٢٦ وتوفي عام ١٩٠٦ او ١٩٠٧ وفايز ولد في القاهرة عام ١٨٢٨ وتوفي عام ١٨٥٦ في الاستانة واسعد ولد عام ١٨٥٠ وتوفي ١٨٥١ في ضواحي لندرة وقد رثاه والده بقصيدة مطلعها

الدمع بعدك ما ذكرتك جار والذكر من ورارك ترب وار^(٤)

اما سليم فهو بكر ابيه ، ولد في مصر واهله بنت الصولي . وقد اشتهر امره في الاستانة حين صار يساعد ابيه في تحرير الجوائب وحين استقل باصدارها في الاستانة حتى عام ١٨٨٤ وحين تعطلت على اثر احتلال الانجليز لمصر . وفي تونس بعد ذلك وفي جريدته القاهرة الحرة التي اصدرها بالاشتراك مع الاستاذ يوسف آصاف المحامي^(٥) . وكان لهذه الجريدة لم تنجح فاضطر لابقائها^(٦)

وقد لمح سليم في السياسة الداخلية والخارجية حتى اصبح من كبار الساسة العثمانيين ، فدخل جمعية "تركيا الفتاة" واشترك في وضع الدستور الذي اقترحه

(١) نشر بعضها في الملتقى عدد ٣٧ والبقية الآخر في مجلد رسالة اسرار المجلد السادس ص ٦٧
(٢) سنة ١٨٧١ (٣) ذكره زيدان فقط في تراجم مشاهير عصره ج ٢ ص ٨٢ (٤) هذه الاخبار رواها سعد في "فارس الديانة" ص ٤٧ (٥) فارس الديانة ص ٤٤ (٦) *The Arabic Press of Egypt - Litterature*

مدحت باشا في عهد عبد الحميد . وكان من انصار السلطان مراد وخدمى مصر .
وقد ظفر بثقة السلطان عبد الحميد فاخصه بالرتبة الاولى المتمايزة وجال في عواصم
اوروبا واتصل بانظابها وحكامها وورث عن ابيه كنوزه وثروته العظيمة مادية كانت
او ادبية فكانت له عوناً على الاحتفاظ بمقامه ومكانته الادبية العالية^(١)

وقد ترك سليم بنتا اسمها روز وهي مسلمة ولدت له من زوجته الشركسية
التي تزوجها في الاستانة . وقد تلقت العلوم في كلية روبرت في اسطنبول .
وتزوجت من الجنرال ليح وهو ضابط برتبة يوزباشي في الجيش البريطاني . ولكنهما
اختلفا بشأن التصرف بثروتها الخاصة فطلقها . وقد كانت الى عام ١٩٢٤ حية .
وعندها جل آثار جدها الادبية . وقد ايت التخلي عنها بحجة خوفها عليها من
الضياع . ولا سيما انها مخطوطة بقلم جدها .

وتوفي سليم عام ١٩٠٦ في لندرة على رواية بولس مسعد^(٢) . اما شيخو فانه
يقول انه توفي عام ١٩٠٧ في سان ريمو^(٣) ولا ندرى اى الروايتين نعتد . وليس
فيما بين ايدينا من المصادر ما يوضح ذلك .

اما فائز فتروى المصادر ومنها زيدان^(٤) انه توفي في ضواحي لندرة
ورثاه ابوه بقصيدة مطلعها : الدمع بعدك ما ذكرتك جار الح . والبصر الاخره
ومنه لبولس مسعد . يقول انه توفي في الاستانة عام ١٨٥٦^(٥) . واذا تابعنا رواية مسعد
في انه ولد عام ١٨٢٨ في القاهرة . فلا يمكن ان يكون هو الذى توفي في ضواحي
لندرة ورثاه ابوه بالقصيدة الرائية . لان الشدياق روى في الساق ان ابنه هذا
كان عمره حوالى العامين^(٦) . ونحن نعلم ان الشدياق سافر الى اوروبا في سنة ١٨٤٨
ومكث فيها بضع سنوات . فيكون عمر فائز قد جاوز العشرين .

اما هذا الولد الذى رثاه ابوه . فمن المحتمل ان يكون . كما روى بولس مسعد^(٧) .
هو اسعد وقد ولد سنة ١٨٥٠ وتوفي سنة ١٨٥١ او ابنه من زوجته الانجليزية
الذى توفي صغيرا حسب رواية البستاني^(٨) . ونقد ضد هذا التخمين . حتى نعتز على
مصادر جديدة تعقل اقوالنا هذه او تثبتها .

(١) فارس الشدياقه ص ٤٧ (٢) فارس الشدياقه ص ٤٧ (٣) تاريخ الاداب العربية في اربع الاكول سه
لقرن العشرينه ص ٦٤ (٤) تراجم مشاهير اشراف ج ص ٧٥ (٥) فارس الشدياقه ص ٤٧ (٦) اسعد
ج ٤ ص ٤٥ (٧) فارس الشدياقه ص ٤٧ (٨) دائرة المعارف ج ١٠ ص ٤٤٩

الفصل الثالث

الكاتب

ويتناول أدبه النثرى بالمرح والتجليل والدراسته

الفصل الثالث

الشدياق الكاتب

يبرز لنا ادب الشدياق الكاتب في "الساق على الساق" و"الواسطة معرفة احوال مالطة" و"كشف المخيا عن فنون اوروبا" وفي "الجوائب" . هذا عدا عن الرسائل والاخوانيات التي كان يكتبها الى اصدقائه واقربائه وعدا من مقدمات كتبه المختلفة . ولكن اجلى ما يظهر فيه اسلوب الشدياق الفني هو "الساق" ، لانه يقف منفردا بين مؤلفاته ، لا يجمعه وايها جامع الا انها جميعا فينير عبقرية واحدة . وسنتحدث في هذا الفصل عن هذه الآثار الجليلة .

١ . الساق على الساق فيما هو الفارياق :

اذا ذكرنا الشدياق الاديب المبتكر، الذي قدم لنا على مائدة الادب في القرن التاسع عشر طعاما شهيا فيه لذة للكلين حين كانت موائد الادب تزخر بالمجففات ، ذكرنا هذا السفر الجليل ، الذي نعدّه من اغنى الآثار الادبية التي صدرت في هذه النهضة ، وفي الروح التي تستر وراءه ، وفي العبقرية التي فاضت به ، وفي القلم الذي صور لنا تلك الروح ونقل الينا تلافيف تلك العبقرية . وعن هذا الكتاب يقول الاستاذ مارون عبود :

"لم يكتب مثله شرقي كما يقتصر عنه الكثيرون من نواجع الغرب . فايام طه حين وكتاب الفونس دوديه ، مثلا ، الهية بالقياس اليه . وربما كان بينه وبين اعترافات روتسو بعصر القراية الدموية " (١)

وقد يكون هذا الكتاب انفس معطيات الشقاء الذي لازم المؤلف في الجزء الاكبر من حياته : شقاء في الحياة ، وشقاء بمقتل اخيه الذي كان يحبه حبا جما ، وشقاء ينبع من مصدر قل ان ينبع منه شقاء ، وهو حب الجمال ، اذ اولع به وبصاحباته الى بعيد ، فخصصر له ولهن نصيبا كبيرا من ساقه . وهو ينوء بالاسباب التي دعت الى وضع هذا الكتاب فيقول :

١ . الساق على الساق هي الحببة التي يجسك الفاضل الشدياق في حياته . والفارياق اسم شقوة من اسم المؤلف

٢ . المكتوب عدد ١٠٧ ص ٢

كتبت الفارياني وفي نوادي
وزاد الخطب شرا ما شجاني
اذ الاوفي لديهم في كساد
فكنت ملاقيا منهم هذا بسا
حزازات على ذات النطاق
واضنى القلب من اهل النفاق
وذو الفكر المنافق في نفاق
وحبي الله يعلم ما الاقي^(١)

وفي الساق ذكر لهذه الاسباب مفرقة في اماكن مختلفة ومكررة في اكثر الاحيان وبالاجمال يمكننا ان نرجع هذه الاسباب الى ما يلي :

١ . رغبة فنية دعت المؤلف الى وصف حياته واسفاره واحواله الخاصة وبيئته
باسلوب فني جميل واهمل فيه ترتيب الحوادث وذكر السنين . وهو ككل فنان اصيل
يكتب اولا لذاته ولا تهمة ذوات الناس . وهو يكتب ليشبع نهما في نفسه ، وليشفي حكة
في قومه :

وحياة رأيت ان رأسي طرو
كلا ولا افطأ ولا حشفا ولا
لكن بقرني حكة هاجت على
اني به لن استفيد رغيفا
خزا على وقدي ولا كرسوفا
اني اطالع مرة تألسييفا^(٢)

ويشير الى ذلك في عمر الكتاب بقوله :

"ولعمري انه ليس في هذا الكتاب شيء يعاب سوى وجدانك الفارياني فيه
تارة يحشر بين الغواني وتارة يدمر عليهن وهن آفات في حجالهن او في حديقة او
في زاوية او على السرير . ولكن لم يكن لي بد من ذلك . ان الكتاب موضوع على
فراخباره وعلم احواله^(٣) ."

وربما كان من نتيجة هذه الرغبة الملحة انه احب ان يظهر قدرته على
الكتابة قديما وحديثا . واضعا امامه ناصيف البازجي . الذي كان يرأس مدرسة القديم .
خصما له . وفي ذلك قال هنري بيريس :

"وهناك صدفة عجيبة حقا : ففي الوقت الذي كان فيه ناصيف البازجي يصبع
كتابه مجمع البحرين في بيروت كان فارس الشدياق يفكر في مشروع الساق على الساق

١ . كنز الرفع ص ٢ ص ١٤٤

٢ . الساق ص ١ ص ٦

٣ . الساق ص ١ ص ١٤

ويحققه . هل اراد ان ينافس الكاتب اللبناني ويسبقه ؟ اما انا فاميل الى الاعتقاد بانه قصد الى المنافسة والسبق لانه كان مطلعا على حركة النتاج الادبي في بيروت من طريق الجاليات السورية في مرسيليا وباريس ولندن واستطاع ان يلبي دعوة اصدقائه المنفيين الى الكتابة . هؤلاء الاصدقاء اليسوريين الذين كانوا يعرفون احبانا كيف يظهرون بمظهر المنجعين البصيرين للادب ، والذين لم يكونوا يترددون ، بالرغم من بعدهم عن ارض الوطن ، في مساعدة اخوانهم الادباء شأنهم في هذا شأن الكيبريين من زملائهم التجار الانجليز او الفرنسيين . ثم لانه ، على الخصوص ، اختار لكتبه اسلوب المقامات ، مما يترجح لدينا معه ان يكون قد قام بين فارس وناصر وناصر سباق ادبي حمله عليه اصدقاؤه .^{١٠٠}

٠٢ . التعريض برجال الدين الذين اضطهدوا اخاء اسعد وعذبوه وساقوه الى القبر سوقا . وقد خصهم بمختلف انواع الشتائم وفنون الاقذاع ، حتى ظهر الكتاب والطابع الغالب عليه هو شتم رجال الدين وذكر القصر والوقائع التي تسيء الى سمعتهم ، وهو يشير الى ذلك بصراحة اذ يخاطبهم قائلا :

"لقد ثقلت من ناديك وانلص من بين اياديكم وعنجر في وجوهكم جميعا واصبح لا يخاف لكم وعيدا . وبقي الان ان اذكركم ما اضطظتم به من الظلم والطغيان والجور والعدوان على اخي المرحوم اسعد . ان اودعتموه السجن في داركم الوزيرية بقنويين نحو ست سنين . وبعد ان اذقتموه جميع ضروب الذل والهوان ، والبؤس والضنك في صومعة صغيرة لزمها فلم يكن يخرج منها الى موضع يبصر فيه النور او يستنشق الهواء اللذين يمن بهما الخالق على الابرار والفجار من عباده ، قضى نحبه . وما كان سجنكم له الا لمخالفته لكم في اشياء لا تقتضي عذابا ولا عتابا . وما كان لكم عليه من سلطان ديني ولا مدني الخ " الى ان يقول :

"وان اخي رحمه الله وان يكن قد مات فذكره لن يموت . وكلما ذكره ذاكر من اهل الرشد والبصيرة ذكر معه ايضا سوء فعلكم وافحاشكم وغلوكم وجهلكم وشناعتكم " .^{١٠١}

١٠٠ . المحتوى عدد ٢١ ص ٢

١٠١ . السامح ١ ص ١٠٢ ، ١٠٣

٣ . وصف النساء : وقد حاول الفارياق ان يجمع جل ما يتعلق بهن من اوصاف حسنة ورديئة . ولكن الحين عندئذ يغلب الردى . وهو يشير الى هذه الغاية بقوله :

" بل فيه من ذكر الجمال واهله ادام الله غرهن ما يوجب اعظامه وتفريظ مؤلفه حيا ثم تأيينه بعد مفارقتها اياهن برغم انه " .^{١٠}
ويقول في موضع اخر :

" هذا واني قد الفتته وما عندي من الكتب العربية شي . اراجعه واعتمد عليه غير القاموس . فان كتبي كانت قد فركتني فاعتزلتها . غير ان مؤلفه رحمه الله لم يغادر وصفا في النساء الا وذكره . فكانه كان الهم ان سياي بعدد من يعوض في قاموسه على جمع هذه اللالي . في مؤلف واحد منتسق لتكون اهل بالذهن وارسخ في الذكر . ولولا اني خشيت غيظ الحسان علي لكتبت ذكرا كثيرا من مكايدهن وحيلهن ومحالهن . لكتي قصدت بتألفه التقرب اليهن وترضيهن به " .^{١١}

٤ . الاصلاح الاجتماعي : ولعله لم يكن دافعا مباشرا الى تأليف هذا الكتاب . الا اننا نستنتجه ضمنا من مطالعتنا لباحثه . وهذا الاصلاح يتناول معظم وجوه الحياة وقل ان يخلو منه اثر من اثار الشدياق .

٥ . ايراد الالفاظ المترادفة : وقد رتبها في مجاميع حسب المواضيع . وقد ذكر منها الشيء الكثير وجعل لها فهرسا خاصا في اخر الكتاب . وهو يشير الى ذلك بقوله :

" ولعمري لو لم يكن من شافع لقبوله واجرائه عند الادباء وعندكم انتم ايضا مجرى كتب الادب سوى سرد الفاظ كثيرة من المترادف لكفى " .^{١٢}

هذه هي الاسباب التي دفعت الفارياق الى كتابة هذا المؤلف . وقد الفيناها منتشرة في عروس الكتاب . مسفرة احيانا ومشترة اخرى . الا اننا نعتبر السبب الاول هو المباشر . لانه الدافع الاول في انتاج كل اثر فني . والمنتج اول ما ينظر الى

١٠ . الساج ١ ص ١٠

١١ . الساج ١ ص ١٢

١٢ . الساج ٢ ص ١٠

نفسه، واول ما يحاوله هو تحقيق رغباتها وايراز تجاربها واحساساتها في رى
جميل، وتعقبه الراحة والفرار .

عرض الكتاب : قسم الكاتب هذا المؤلف الى اربعة كتب تناول فيها تاريخ حياته منذ
طفولته الى ان زار اوروبا لنساجم في تعريب ترجمة التوراة . وقد صور، في اثنا
ذلك الانطباعات التي تركها البلاد التي زارها في نفسه، تصويرا جميلا رائعا كان
يعتزج في اكثر الاحيان بالتمكك المر والسخرية اللاذعة . والشديان نقادة حساس،
ترسم في نفسه ارق الصور وتنطبع في حسه ادق الخلجات . ولذا جاء كتابه هذا
عمارة فنية عتيقة الاركان سامقة البنيان، قل ان نتعرف الى مثلها في ارب النهضة
الحديثة . واذا ذهبنا نلمس اثار الابداع والطرافة فيه الفيناها كثيرة متنوعة،
واعترفنا للمؤلف انذاك بانه في طبيعة المجددين في الدنيا الحديث، وبان ساقه
هذا تاريخ ثورة .

يستعمل المؤلف الكتاب بقصيدة من الشعر الفكاهي، اراد بها ان تكون مقدمة
للكتاب . وفيها يبين لنا ماهية هذا الاثر الذي تقدم الى قرائه، فيقول :

هذا كتاب للظريف ظريفا	طلق اللسان وللسخيف سخيفا
اودعته كلما والفاظا حلت	وحشوته نقطا زهت وحروفا
وبداهة وفكاهة ونزاهة	وخلاعة وفناعة وعسزونا ١٠

ثم يبين لنا انه انما فصله على عقله بمقصر فته، لا بمقصر فن القارى
فصلته لكن على عقلي فما
مقياس عقلك كان لي معروفا ١١

ثم يمضي معددا فوائد، واصفا مميزات، فيقول :

تبليت لك دون طاهي القوم	بالربلات فهي تريل منك خلوفسا
وتصح ما بك من طلاطلة ومن	ضرس فتلقم بعد ذاك الوفا
يغنيك عن مين الطبيب وسجله	ما من جراه تخازم الحثروفا

روضا وجنات تروق وريفا
دها يفتن حسنهما الفطريفا
والفارصر القرطاس والسرعونا
وغرائق ما ان تزال انوفنا

قد انبتت غصرا ارض سطور
فتشم منه عرف كل ربحسلة
وترى الملعطة السناط بجنيها
ووراها وامامها مرمورة

ثم يقصر علينا كيف حبلى به رأسا لا بطنه طاما كاملا ، خلافا للنساء ، وكان العام كله خريفا . ثم وضعه في ثلاثة اشهر :

حبلى به رأسي خلافا للنساء
لكن تولد في ٣ اشهر
لم ادر هل رجلته او مخظنته او
هانيت فيه من الزحير اجارك المولى غنا لا يكال جسر يفا

حتى اذا وقع الخلاص وتم الوضع (قطع سرته على اهل الحجى وارضعه بفكره)

وقطعت سرته على اهل الحجى
ما كان من ظئر له عندى سوى
قدما عليه توحمت نفسي ولسم
وعلى اسمهم لا يبرحن موقونا
فكرى ومع ذا خلته مسروفا
يك شوقها عن نحوه مسروفا

ثم يذهب في تعداد منافيه ، وما يتخذ من المواقف امام اصدقائه (قرائه) ، على اختلاف مشاربهم . فتارة تراه سلسا لطيفا طيعا ، تسمع له اتنا الفراءة نفعا مطربا ، وطورا تراه شديدا جافيا يقسو على قارئه اذا رمى به جانبا ومال عنه الى كتاب اخر ، يسمعه مزيفا كعزيف الجن ، فكانه روح خفي يسعد من يانس اليه ويشقى من يرمى به ولا يأبى له :

من كان يرغب فيه فهو موفق
في الليل يسمع منه غطغطة يظيب نعاسه
ولرب نور ساطع يغدو اذا
اولا فقد ضل السيل وايفا
بدوامها وجسجيفا
قابله يوما به مكسوفنا

وكبير بطن ضاق عنه وفاتك
كالزئبق الغرار ينظره ولا
يهوى هوى الريح في الوادي اذا
هو خير داع للذي لم يرض من
ان تله يهربك حسن سخامه
فيه ترى البرد منى ثم ان
واذا ثقلت من الطعام وغيره
واذا اتخذت حديقة فاغرس بها
ذي شرة عنه يخيم ضعيفا
يستطيع يمسك من قناه صوفا
ما هيج ثم يسمن الشنعونا
لعب الزمان ولهمو جذروفا
او تلغه يسمعك منه عزيزا
تارت خدوجات السهام مصيفا
تلقى به من ثقله تخفيها
منه كليبات تزدت تطوفنا

وكثيرا ما ينصب نفسه حكما بين الناس . فانه اذا رأى شخصين يتخاصمان في
الشارع فانه لا يكاد يعرف الاشق منهما حتى يسارع الى لحيته ينقش عليها وينتف
شعرها :

واذا تخامم كاذبان فلهجة الاشق يفادر شعرهما منستونا
حتى كان الشعر من لحيتهما
قطن الحشايا ناعما مندوفنا
وهو يقدم اليك هذا الكتاب لوجه الله وغير امل ان يجنى من ورائه جزاء ولا شكورا
وغايته الاولى فنية محضة :

وحياة راسك ان رأسي طرف
كلا ولا اقفا ولا حنفا ولا
لكن بقوني حكة هاجت علي
من كان يوجركي يؤلف خصة
ما راج من قلبي فخذها وما تجد
لا بد ان تجد الصيارف مرة
اني به لن استفيد رغيفا
خزا على وتدى ولا كرسوفا
اني اطلع مرة تسألني
فهو الحليق بان بعد عينا
من زائف فاتركه لي ملفونا
بين الدراهم درهمي مزيونا

وهكذا يقدمه اليك ، طالبا منا ان نقف منه موقف الحاكم العادل لا نميل مع هذا
ولا مع ذاك . وانما نحكم عليه بما يستحقه . يقدمه اليك نظيفا نقياً ، فان قبلناه قبولاً

حسنا فنهينا لنا به والا فلندعه نظيفا لا نعبث به ولا ننقص منه او نزيد عليه شيئا .
ان وجدنا المؤلف محسنا فما علينا الا الشكر والتحييد ، والا فلا داعي لان نشتم ونشتم
اباء وامه وعرضه :

حاشاك ان تقضي علي تهافتا
فتقول قد كفر المؤلف فاحشدوا
فينهج ارباب الكناثر هيجة
بيني وبينك من صلات مودة
لا تبرأ الى القتال ولا الى الشكوى ولا شك بيننا قد _____
ان كنت احسانا اتيت فدونك التحييد لي اولا فلا تقذ _____
لا تشتمن ابي ولا امي ولا
واخيرا يختم هذه الفاتحة . ناصحا القارى ان يكتبني بما قرأه ، والا ينتقدم الى قراءة
حرف مما بقي :

تمت بهذا البيت فاتحتي وقد
لا تقرأن من بعده شيئا ولو
فتكون قد ازلفت ثم تجاوزت
اني ارى كالريح اذنيك حرف نصيحتي راحت سدى وطل _____
صبرته لبنائها تسقيفا
كلفت حرفا واحدا تكليفا
بك رجلك اليسرى له تاريفا

هذه هي مقدمة الكتاب ، فاذا اتينا الى عرضه وجدناه يتحدث فيه عن ابويه ،
وحالتهما الاجتماعية والمادية فيقول انه ولد من ابوين * من ذوي الوجة والنباهة
والصلاح الا ان دينهما كان اوسع من دنياهما ، وصيتهما اكبر من كيسهما ^{مك} . وتعلم
الزبور في كتاب القرية ، وقد كان مليئا باللحن والخطا ، مما جعله ، بتقادم السنين
عليه ، صعب الفهم . * وقد زاده ابهاما وعموضا فساد ترجمته الى اللغة العربية
وركاكة عبارته حتى كاد ان يكون ضربا من الاحاجي والمعنى ^{مك} . وبعد ان ختم هذا
الكتاب اخرجه والداه من الكتاب فامتحن نسخ الكتب في البيت ، ولبت على هذه الحالة

١. الساج ١ ص ٧٦

٢. الساج ١ ص ٧٨

٣. نجد اجازة في لسانه في الساج ١ ص ٨٩ - ٩٠

٤. الساج ١ ص ٨٤

٥. الساج ١ ص ١٠٥

مدة طويلة . جاد فيها خطه . واتسع قاموسه اللغوي . وقد كان له . منذ صغره . ارتياح غريزي لقراءة الكلام الفصيح وامعان النظر فيه . ولالتقاط الالفاظ الغريبة التي كان يجدها في الكتب . فان اباءه كان قد احرز منها الشيء الكثير . في مختلف الفنون . وكان يتهاافت منذ حداثة على النظم دون ان يتعلم شيئا مما يلزمه . فكان يصيب مرة ويخسر مرات .

وفي صغره اتفق ابوه مع بعض مشايخ الدروز على خلع امير الحبل . ولكنهم اخفقوا وفروا الى دمشق يطلبون النجدة من وزيرها . فوعدهم ومضاهم . واصبح الفارياوي يشتغل في النساخة ويعيل امه . ولم يلبث ان جاءه نعي ابيه من دمشق . فاضطر لان يعكف على النساخة . ولما شاعت براعته فيها ارسل اليه الامير حيدر شهاب ليملي عليه بعضا من تاريخه المشهور . وبعد ان فرغ من هذه المهمة عاد الى بيته يشتغل بالنساخة ثانية حتى ملها . وقد دفعه هذا الطل الى ان يفكر عن مرفق جديد من مرافق العيش . فاشترك مع صديق له في تجارة متجولة . ولكن سوء الطالع الذي كان حليفا له . لازمه في هذه المرة ايضا . فبالتجارة بالخسران . فباعا احمار وما تبقى من البضاعة وعادا الى حالتها فاذا بها اسوء من قبل . فانتهجيا صريفا جديدا . واستأجرا خانا مكا في مدة اضطر فارسيها لان يغادره الى بيت امير من امراء العصر . ليعلم ابنته مبادئ العلم . ولبت يعلم سيدته الصغيرة . وجعل من دأبه ان يتودد اليها باغضاء النظر على اصلاح غلطها . بل لم يكن يرى ان صاحبة هذا الجمال يجوز ردها . فتأخرت هي في العلم وتقدم هو في الهوس . فما قال فيها :

بروحي من اعلمه وقلبي اسير هواه لا يستطيع صبرا
اغار عليه وجدا من حروى يقوه بها فنلثم منه نخسرا

وبعد ان انتهت هذه المهمة الحلوة اللذيذة عاد الفارياوي الى عاداته القديمة . من نسب الكتب ومدارستها . الى ان حدث ما حدث لاختيه اسعد . وتيسر له امر الاتصال بالمرسلين الاميركيين . فاعتنق مذهبهم . فارسلوه الى مصر تمهيدا لارساله الى مالطة .

انفاذا له من غضب الطائفة . متعللين بأنه انما ارسل ليعلم في مدارسهم هناك .^{١٥}

وفي مصر مكث في الاسكندرية مدة قصيرة . انتدب بعدها للسفر الى مالطة . ولكنه لم يمك فيها طويلا . اذ انتابته الامراض فاشار عليه الطبيب بان يعود الى مصر . فعاد الى الاسكندرية . ثم الى القاهرة . ليستقر فيها فترة من حياته ليست بالقصيرة . وفي القاهرة تعلم النحو والمنطق والفقه وعلم الكلام والعروض . كما اصاب بالمرام والآفات . تلفة كالديدان والحكاك والرمد والهوا^{١٦} الاصفر وسواها . وتزوج من فتاة من بيت الصولي . وقد كانوا من اعيان السوريين القاطنين في مصر .

ثم غادرها الى مالطة^{١٧} . ليعلم العربية في مدارس المرسلين . ويصحح ما يصدر عن مطبعتهم . ومنها سافر الى لبنان وسوريا . مع رئيس البعثة التبشيرية في مالطة وزوجته . فوافق حضورهم اليها انتقام الناس على والي مصر . ثم عادوا الى مالطة . ومنها سافر الى اوربا بدعوة من جمعية ترجمة التوراة ليساعد في تعريب ترجمتها . ومر في اثناء رحلته هذه ببرسيلية وباريس ولندن الى ان التقى عصا الترحال في قرية من قرى بلاد الانجليز حيث قضى فترة من الزمن كانت اكثر فترات حياته تعاسة وشقاء . لانها كانت . لكل قرى الانجليز . خالية من اسباب اللهو التي توجد في المدن الكبيرة فقط . وقد تنقل في اثناء تلك المدة في مدن انكلترا وفرنسا . وخاصة باريس . التي طبع فيها كتاب " الساك " .

ولما فرغ من عمله في الجمعية عاد الى باريس فمكث فيها مدة قصيرة ثم عاد الى مالطة ومنها الى تونس بدعوة من الباشا الذي اكرم مشاؤه . ثم عاد الى مالطة ثانية ومنها الى اوربا ثم الى تونس ثم الى الاستانة بدعوة من الصدارة العظمى^{١٨} .

هذا هو مجمل حياة الشدياق كما وصفها لنا في كتابه هذا . وقد عرضناه كما رأينا . عرضا ظاهريا جذابا فيه الكثير من الفوائد الاجتماعية والتاريخية والجغرافية والسياسية والادبية . وفيه من ذكر الناس وعاداتهم وتصرفاتهم كل ما لذ واطرب .

١٥ . نجد اجبا - حياته في مصر في السنين ١٨٠١ - ١٨٠٢ . ج ١ ص ١٢٦ - ١٢٦ . ج ٢ ص ١٢٦ - ١٢٦ .
١٦ . نجد اجبا - حياته في مالطة في السنين ١٨٠٢ - ١٨٠٣ . ج ٢ ص ١٢٦ - ١٢٦ . ج ٣ ص ١٢٦ - ١٢٦ .
١٧ . نجد اجبا - حياته في اوربا وفرنسا في السنين ١٨٠٣ - ١٨٠٤ . ج ٢ ص ١٢٦ - ١٢٦ .

واهم ما يلفت النظر في هذا الكتاب، التعريض الشديد برجال الدين والهجاء
المقذع لهم، وذلك راجع في الاكثر الى ما ذكرناه آنفا من الظهادهم لاختيه اسعد
وله . والحق، هو ميدان الفارياب الذي لا يسبقه فيه سابق . وهو مرتب في
طبيعته، مكون من مزيج من المقدرة على النقد والنزعة المجونية والتعمق في معرفة
اللغة واسرار تركيبها واستعمالها . وهو يعترف بذلك، في قصته هجا احد امراء
الدروز، ثم اعتذر له، بعد ان ترضاء باكلة خبيصة، بهذين البيتين :

قد كان طبع أبي دلامة أنه
لكنما هذا الخبير نهاء إذ
يهجو لأن الهجو وفق جناحه
مزجت حللته بمر لسانه

هاجم الفارياق رجال الدين ، فوصف تصرفاتهم الشائنة في المجتمع بين الناس ،
ووصف استغلالهم لمراكزهم الدينية وميلهم عن الصريق الذي يجب ان يسيروا فيه .
وبعدهم عن الغاية التي خلقوا من اجلها . وهو في هذا الهجوم حاقط شديد
الحقد يود لو يتاح له ان يعزق اهاب تلك الطائفة من الناس التي اضطهدت اخاء
دون ما سبب سوى انه اسعمل عقله بحرية . فهو ينسب اليهم تأويل نصوص الكتب
الدينية ، فيقول :

ثم كاني بجوقة عظيمة من الجلادى والنماميين والانهمة والوقفة والوفهة
والوهفة والابيلين والزرارزة والقمامة وامامهم الجاثليق الاكبر وامام هذا العسطورس
اعظم وهم يضجون ويعججون ويجأرون وينعمرون ويلجبون ويصخبون ويأطون
ويلفظون فاقول مهلا مهلا انكم قضيتم عمركم في التأويل فما يضركم لو
أولتم ما تنكرونه في كتابي من اول دهلة، وتحلمتم كما هو دأبكم لان تجعلوا منه
حسنا ما يظهر قبيحا ومستظرفنا ما يلوح من خلال عبارته فاحشاً^(٢٠)

ويلومهم على اهمالهم رعيتهن ، وتركها دون مدارس وكتب ، ولا ينسى ان
يشير الى جهلهم وعجزهم وتواكلهم ، فيقول :

عند المشي . وهل يحدرك فيك هذا الارتجاف من لذة . فقد ورد في بعض الاخبار ان بعض الجلامظة كان يرتاح الى ان يرتاح . حتى كان كثيراً ما يتنفس ان تنزلزل الارض من تحته وتمور انجبال من فوقه . وهل يمثل لك في الحلم ضجيج يكافحك وخليج يصافحك ان لا فرق عند الله بين البيضة والمان . وان اعظم الحقائق انما بني على الاحلام . وهل وسوس اليك الوسواس الخناس فاشتبهت ان تكوني خنثى اي ذكرا وانثى لا ذكر ولا انثى كما تقول العامة . فان هذا القول لم يرتضه المحققون من الربانيين الرائيين وغير ذلك من المسائل التي يغيبو عن تفصيلها هذا الفصل ١٨

وهو يذم الراهبات والرهبان ويعد الرهبانية ملجأ من البطالة . نعم ان الرهبانية هي ملجأ من البطالة فكل من كان عطاشاً عن علم او صنعة يقصدها . ويحول عن الاديرة والرهبان الذين يسكنون فيها :

"انظر كم عندنا في بلادنا من دير وعلى كم تشتمل هذه الاديار من الرهبان . ولم ار احدا منهم نبي في علم ولا من اثرت عنه مكرمة . بل لا تسمع عنهم الا ما يشين الانسان في عقله وعرضه . ويذكر من قصصهم قبائح ومخازر مشينة . وتدفعه الحماسة الى ان يضح سرورا وفوانيس للرهبانية فيقول :

" لا بأس في الرهبانية تصوعا لا بأس انما هي عريقة محمودة . ولكن بشرط مجاوزة الخمسين سنة وان يكون الداخلون فيها من اهل الفضائل والمعارف . يشتغلون بالعلم وبتهذيب املاء احوالهم ومعارفهم . ويحضون على مكارم الاخلاق والاعتدال بالمزايا الحميدة . ويؤلفون الكتب المفيدة وينهجون لغوهم المناهج المؤدية الى الخير والفرح والفوز والنجاح . لا مثل هؤلاء الذين لا يعرفون شيئا من الدنيا سوى التقشف والرثانة ."

وكثيرا ما يهاجم كتب الكنيسة ويرمي لفتها بالركاكة والضعف . كما تقرر في عقولهم من ان من خواص دين النصراني ان تكون كتبه ركيكة فاسدة ما امكن . قال معرضا بلفظ رجال الكنيسة وكتبها وبالطهران اثنا عشر الحليي التتوتنجي (لانه انتقد

١. الساج ١ ص ٢٢

٢. الساج ١ ص ٢٠

٣. نفس المصدر

٤. الساج ١ ص ٢١

٥. الساج ١ ص ٢٢

كتاب علوات ترجمة الشدياق :

وإن لاسفار الكنيسة منهجا	يخالف اسفار الورى ويغير
وإن لفي اللفظ الركبك تبركا	ويمنا لقوم عنهم العار ظاهر
وإن غناء اللحن في القول عندهم	لكا للحن في الايقاع والاصل ظاهر
وإن نسبة المولى الى الله فكر	ومن ولوا الادبار كل يحاذر
وإن تكاة جمع متكى اتسسى	وإن مصونا لا مصانا لنا در
والشعب دون القوم معنى مشهر	وفي ملك لا في ملاك كباثر
وإن عيدا لا عبادا مضسافة	الى الله اولى ما لذا الحكم ناكر
وإن هدايا كالركاكات جمعه	وإن لم يرادف باقي الشئ سائر
وما واعظيها قبل بل موعظيها	ومن قال ادوا دون ودوا مكابر
ومن رد قل ان شئت صوغ اسم فاعل	مرد كذا قال النصارى الاواخر

اما المرأة فقد خصها الفارياق في كتابه هذا بجزء كبير ربما قارب الثلث . وهو يتعمق في وصف اخلاقها وتصرفاتها وعلاقاتها بالرجل ومعجزاتها وبدعها ، وهو يلم بكل ذلك الما واسعا دقيقا حتى لتخاله عالما نفسيا يكشف لك عن عوالم المرأة الداخلية ، ببيان رائع وتهكم لاذع وفكاهة وظرف . كما انه يحلل علمها الخارجي ودقائق جسمها ، دقيقة دقيقة ، مفتنا في ذلك الافتتان كله ، اسمعه يحلل صفات المرأة مبينا اوجه افضليتها على الرجل :

" قال بعض الفحول من العلماء ان المرأة اشرف من الرجل وافخم وانبل واحلم وافضل واكرم . اما وجه كونها اشرف فلان شاهدي ثابتيها واقنان في محل مرفوع . بحيث يمكن لها ان تراها او تريها ايان شاءت من دون تعاطي رأس وانحناء . وفي ذلك من العز والشرف ما لا يخفى . الا ترى ان بعض الادباء قال ان من عز لا ان يقولها وهو رافع رأسه . ومن ذل نعم ان يقولها وهو خافضه . اما شاهدا الرجل

فهما منكوسان في محل منحرف بحيث لا يقدر ان يراها الا اذا تصادف وانحنى .
 واما كونها اقضم فلأن ساقها اللتين هما عمودان لهيكل الجسم ، وبطنها الذي هو
 منبت لتكوين النسمة ، وعجزها الذي هو مورد للاعجاز ، تكون اقضم من ساق الرجل
 وبطنه وعجزه . واما وجه كونها ابل فلأنها تنبل بما يلقي اليها مدة تسعة اشهر .
 واما وجه كونها احلم فلأن سمة الحلم تترك في شأدهى ثانیتهما . واما وجه كونها
 افضل فلأنها خلف من الرجل وعقبه وهو خلق من تراب . لكنها اذا ماتت (معاد
 الله من ذلك) تستحيل الى تراب كالرجل لا الى اصلها الذي اخذت منه ارجلا لا تصير
 رجلا ولا ضلعا . واما وجه كونها اكرم فلأنها ارض موأدا وارحم قلبا والين طبعا
 فاذا رأت احدا محتاحا شي من عندها لم تضرب به عليه . ثم يضي في كلامه متحدثا
 عن صفاتها الخارجية والداخلية ، محذرا انفعالاتها واختراجاتها وعبائتها وعاداتها .
 كأنه الجراح الماهر يحمل مضغعة الحاد ، وقد يثرت دقيقة الا وشرحها .

ولو ذهبنا نستقصي الاسباب التي جعلته يكتب عن المرأة بتوسع واحاطة ، ويعبر
 في وصف دقائق خلفها وخلفها ، لما اخطأناها . فهو لا يضرب علينا بها " لكي انما
 قدمت بتأليفه التقرب اليهن وترضيهم به " وهو مرضاهما بذكر ما حسن من صفاتها
 احيانا ، وبتفذيها على الرجل اخرى ، كما اشرفنا سابقا .

ولكنه قد يشرح احيانا عن هذه الخطة ، فلا يعمل على ترضيهم ، بل نراه يصف
 من حيلهن وفنون مكرهن ودهائن النبي . الكثير . وهو في كل مواقفه منه ، محلل
 متعمق بارع ، يصدر عن خبرة واسعة ، ومعرفة دقيقة . وهو يعترف لنفسه بذلك فيقول
 (متحدثا عن نفسه) :

"ولكن لا بد لي قبل رحيله من هذه المدينة الشريفة ان ارفع رافقه واعسره حتى
 يصف لنا محاسن نسائها ، اذ هو لا يحسن شيئا غيره " ويقول في موضع اخر :
 "قلب في نفسي من لنا اليوم بالفارياز ، فيفتينا في هذا الامر الربان ، فانه
 اعلم بالنساء من الريبة واعرف باحوالهن من ذر شيبه وسببية . فلقد دأى منهن
 الحلو والمر ، ولقي من حبهن النفع والضر ."

١. الساج ٢ ص ١٦٦ وما بعدها

٢. الساج ١ ص ١٤

٣. الساج الفصل "خزينة الخضر بعينه" ص ١٠٦ - ١٠٧

٤. الساج ٢ ص ٤٥٤

٥. الساج ٢ ص ٤٤٧

ويبلغ من حبه لها وايثاره لراحتهما ان يطلب لها النصفه من الرجل فيقول على لسان زوجته :

"ولكن هيهات فالرجال من اثرتهم استبدوا بجميع الامور المعاشية .
والمعادية ويمرات العز والجاه وحرمو النساء من ان يشاركنهم فيها . فما كان ابهج
الكون واعمره لو كانت النساء تتولى هذه الرتب ."

وكثيرا ما ينادى بتعليمها . مبينا وجوب ذلك . وما يجنيه الرجل والمجتمع طمة
من ذلك من الفوائد :

"ولا يخفى ان البنات اذا كن جاهلات بالقراءة والكتابة وحسن المحاضرة
وباداب المجلس والمائدة وغيرها . فلا بد وان يتموضن من هذا الجهل بمعرفة الحيل
والمكايد التي يتخذنها وسيلة لما يرمن . فان البنت اذا اشتغلت بقراءة فن من
الفنون او بمخالعة الكتب المفيدة . صرعا ذلك عن استنباط الحيل . فاما اذا لم يكن
لهن شغل غير ملازمة البيت وليس فيه غير الخادمة . فان افكارهن واحواهن كلها
تتجمع الى مركز واحد وهو اتخاذ الخادمة وسيلة لهن وسندا . فكلامها عندهن اصدق
من كلام امهاتهن . فالاولى عندي . انا العبد الحقير . ان تشغل البنت باحدى الفنون
والعلوم النافعة سواء كان ذلك عقليا او يدويا . الا ترى الانثى مفصورة على حب
الذكر والذكر على الانثى . فجهل البنات بالدنيا غير مانع لهن من معرفة الرجال واستطلاع
احوالهن . بل ربما افنى بهن هذا الجهل الى التهافت عليهم والانقياد اعليهم من
دون نظر في المواقب بخلاف ما اذا كن تأدين بالمحامد والعلم اللائق بهن .
فانهن ح يعرفن ما يعرفن من الرجال عن تبصر وتدبير . ثم يمضي مبينا الفوائد
الاخرى تجنيها الفتاة من التعليم .

وحديثه عن المرأة يجره الى الحديث عن الحب . فنراه يتحدث عنه احاديث
عملية ونفسية متنوعة طريقة . منها ظرف وفكاهة ودقة حس . وفيها الى جانب كل ذلك
براعة في الفهم وعمق في التحليل والتعليل . اسمعه يتحدث عن الحب وانواع المحبة :

١٨٠٠ السامح ص ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣٦ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٨ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ ، ١٤٤١ ، ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥٠ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٣ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٧ ، ١٤٥٨ ، ١٤٥٩ ، ١٤٦٠ ، ١٤٦١ ، ١٤٦٢ ، ١٤٦٣ ، ١٤٦٤ ، ١٤٦٥ ، ١٤٦٦ ، ١٤٦٧ ، ١٤٦٨ ، ١٤٦٩ ، ١٤٧٠ ، ١٤٧١ ، ١٤٧٢ ، ١٤٧٣ ، ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ ، ١٤٧٦ ، ١٤٧٧ ، ١٤٧٨ ، ١٤٧٩ ، ١٤٨٠ ، ١٤٨١ ، ١٤٨٢ ، ١٤٨٣ ، ١٤٨٤ ، ١٤٨٥ ، ١٤٨٦ ، ١٤٨٧ ، ١٤٨٨ ، ١٤٨٩ ، ١٤٩٠ ، ١٤٩١ ، ١٤٩٢ ، ١٤٩٣ ، ١٤٩٤ ، ١٤٩٥ ، ١٤٩٦ ، ١٤٩٧ ، ١٤٩٨ ، ١٤٩٩ ، ١٥٠٠ ، ١٥٠١ ، ١٥٠٢ ، ١٥٠٣ ، ١٥٠٤ ، ١٥٠٥ ، ١٥٠٦ ، ١٥٠٧ ، ١٥٠٨ ، ١٥٠٩ ، ١٥١٠ ، ١٥١١ ، ١٥١٢ ، ١٥١٣ ، ١٥١٤ ، ١٥١٥ ، ١٥١٦ ، ١٥١٧ ، ١٥١٨ ، ١٥١٩ ، ١٥٢٠ ، ١٥٢١ ، ١٥٢٢ ، ١٥٢٣ ، ١٥٢٤ ، ١٥٢٥ ، ١٥٢٦ ، ١٥٢٧ ، ١٥٢٨ ، ١٥٢٩ ، ١٥٣٠ ، ١٥٣١ ، ١٥٣٢ ، ١٥٣٣ ، ١٥٣٤ ، ١٥٣٥ ، ١٥٣٦ ، ١٥٣٧ ، ١٥٣٨ ، ١٥٣٩ ، ١٥٤٠ ، ١٥٤١ ، ١٥٤٢ ، ١٥٤٣ ، ١٥٤٤ ، ١٥٤٥ ، ١٥٤٦ ، ١٥٤٧ ، ١٥٤٨ ، ١٥٤٩ ، ١٥٥٠ ، ١٥٥١ ، ١٥٥٢ ، ١٥٥٣ ، ١٥٥٤ ، ١٥٥٥ ، ١٥٥٦ ، ١٥٥٧ ، ١٥٥٨ ، ١٥٥٩ ، ١٥٦٠ ، ١٥٦١ ، ١٥٦٢ ، ١٥٦٣ ، ١٥٦٤ ، ١٥٦٥ ، ١٥٦٦ ، ١٥٦٧ ، ١٥٦٨ ، ١٥٦٩ ، ١٥٧٠ ، ١٥٧١ ، ١٥٧٢ ، ١٥٧٣ ، ١٥٧٤ ، ١٥٧٥ ، ١٥٧٦ ، ١٥٧٧ ، ١٥٧٨ ، ١٥٧٩ ، ١٥٨٠ ، ١٥٨١ ، ١٥٨٢ ، ١٥٨٣ ، ١٥٨٤ ، ١٥٨٥ ، ١٥٨٦ ، ١٥٨٧ ، ١٥٨٨ ، ١٥٨٩ ، ١٥٩٠ ، ١٥٩١ ، ١٥٩٢ ، ١٥٩٣ ، ١٥٩٤ ، ١٥٩٥ ، ١٥٩٦ ، ١٥٩٧ ، ١٥٩٨ ، ١٥٩٩ ، ١٦٠٠ ، ١٦٠١ ، ١٦٠٢ ، ١٦٠٣ ، ١٦٠٤ ، ١٦٠٥ ، ١٦٠٦ ، ١٦٠٧ ، ١٦٠٨ ، ١٦٠٩ ، ١٦١٠ ، ١٦١١ ، ١٦١٢ ، ١٦١٣ ، ١٦١٤ ، ١٦١٥ ، ١٦١٦ ، ١٦١٧ ، ١٦١٨ ، ١٦١٩ ، ١٦٢٠ ، ١٦٢١ ، ١٦٢٢ ، ١٦٢٣ ، ١٦٢٤ ، ١٦٢٥ ، ١٦٢٦ ، ١٦٢٧ ، ١٦٢٨ ، ١٦٢٩ ، ١٦٣٠ ، ١٦٣١ ، ١٦٣٢ ، ١٦٣٣ ، ١٦٣٤ ، ١٦٣٥ ، ١٦٣٦ ، ١٦٣٧ ، ١٦٣٨ ، ١٦٣٩ ، ١٦٤٠ ، ١٦٤١ ، ١٦٤٢ ، ١٦٤٣ ، ١٦٤٤ ، ١٦٤٥ ، ١٦٤٦ ، ١٦٤٧ ، ١٦٤٨ ، ١٦٤٩ ، ١٦٥٠ ، ١٦٥١ ، ١٦٥٢ ، ١٦٥٣ ، ١٦٥٤ ، ١٦٥٥ ، ١٦٥٦ ، ١٦٥٧ ، ١٦٥٨ ، ١٦٥٩ ، ١٦٦٠ ، ١٦٦١ ، ١٦٦٢ ، ١٦٦٣ ، ١٦٦٤ ، ١٦٦٥ ، ١٦٦٦ ، ١٦٦٧ ، ١٦٦٨ ، ١٦٦٩ ، ١٦٧٠ ، ١٦٧١ ، ١٦٧٢ ، ١٦٧٣ ، ١٦٧٤ ، ١٦٧٥ ، ١٦٧٦ ، ١٦٧٧ ، ١٦٧٨ ، ١٦٧

"وقول ان المحبة هي مما غرس في الطبيعة البشرية من يوم الوضع في المهد الى يوم الوضع على النعش . فلا بد لهذا المخلوق الادمي من ان يحب ذاتا من الدوات او شيئا من الاشياء او معنى من المعاني . وكلما زاد حبه في قسم منها نقر في قسيمة الاخر . وقد يكون احدها سببا في زيادة حبه للاخر . مثال ذلك من كلف بالشعر او الغناء او التصوير فكلفه هذا يكون باعنا له على حب الذات الجميلة . ومن كلف بالعلم والقتال والفخر والسيادة فلا بد وان تقل رغبته في النساء بل ربما لهي جنهن بالكلية . ومن كلف بالخيل المظلمة والسلاح النفير فقد يكون كلفه هذا شائقا له الى حب الذات اولا . وعد بعضهم من هذا النوع السرابانية وهم المنصفون لمراحبهم واسقطه غيرهم بدليل انها حرفة يحتاج اليها الانسان لتحصيل معاشه لا كلف من هوى النفس ."

وهكذا يضي في الحديث عن حالات الحب باعتبار القلة والكثرة وباعتبار المكان والزمان وباعتبار الاستطاعة وعدمها . ثم يتكلم عن بواعب المحبة وعن انواع العشاق . وعن هبائع النساء . ومواقفهن المختلفة من العشق والعشاق .^(١٤)

وكثيرا ما كان يضع الحوار على لسان زوجته . تصف انواع المحبة والحبين . فتقول مثلا :

"فاعلم ان الكاعب من النساء تحب الغلمان والاحداث بشرط كونهم حسنا . والمعسر تحب اشبان بالشرط المذكور . وقد تأسر بالكهيل اعتقاد ان يكون بها ارفق واعشوق . ولكن ذلك لا يسمى محبة لانه يؤول الى نفع نفسها . ومن شرط المحبة ان تكون مجردة عن الاستنفاع . ولكن هيبات فان كل محب اذا تحقق دوام حرمانه من محبوبه وعدم الانتفاع به مله بل ربما كرهه . فعلى هذا فالمحبة عندى لفظ يرادفه الفائدة . فقول اني انا احب فلانة حقيقة معناه انا استفيد منها . فاما العانس فتحب الصنفين المذكورين ومن جاوزهما في السن قليلا بالشرط المذكور . واما النصف فتحب الثلثة والكهيل ايضا بذلك الشرط . واما العجوز فتحب الجميع .

١٤. السامه ج ٢ ص ١٧١
١٥. تجدكذين نفعك في الفضل الموسوم ب (المسحبه من زواج ...) ج ٢ ص ١٦٧ - ١٨٨

على زوجتي بان تطلعي على جميع ما يخطر بباليها ويخرج صدرها من الافكار والهواجس .
وبما تحلمه ايضا في الليل من الاحلام التي تنشأ عن امتلاء الدماغ من بخار الطعام
او من دخان الغرام قبل النيام . وقلت لها ان لم تخبريني باليقين اضربت بك
ابانا القيس فيكفرك ويخطر عليك ثم يستخرج منك كل ما تكتمين وتضمرين ويطلع
على كل ما تشترين وتخفين وتصونين . وعلى ما تحدرين منه وتحرصين عليه وترتاحين
له وتميلين اليه وتكلفين به . وقد خرجت من داري غضبان متنمرا وجزمت بان لا
احالها الا اذا كانت تقص علي احلامها . وبعضهم قال ان مصيبي في بنتي اعظم
وذلك انها بعد ان تمسحت اليوم وتعصبت وتعظرت وتطيبت وتلوست وتبرمشت
جلست بالشباك لتنظر الواردين والصادرين . فنهيتها عن ذلك فانصرفت ثم خالفتني
فرجعت الى موضعها . واوهمني انها تخطط هناك بعمر ملبوس لها . فكانت كلما
غرزت بالابرة غرزة تنظر نظرتين . فقامت اليها مستثيطة غيظا وجذبتها بشعرها
الذي مشطته وضفرته وعقصته فطلع بيدي منه خصلة وها هي معي . وهيئات ان
تنهي عن غيها ولو نتفت شعرها كله فانها كالمهرة الجامحة بعمر عان . لا يردها
لكم بالاكف ولا ضرب بعيدان .

ويقول في موضع اخر . منددا بالناس . مشيرا الى انهم انما يهتمون بالظاهر
دون الباطن . وبالقشر دون اللب وبالعرف دون الجوهر :

• وكان له صديق صدوق يراقب احواله . فاجتمع به مرة وحاضا في حديث
افضي الى ذكر المعاص والتظاهر بين الناس باحسن الرياس . ففر رأى كل منهما على
ان الانسان في عصرهما لا يعد انسانا بفضله ومزيتة بل ببزته وزينته . وان الناس
المولودين من الخبز والحريز والقطن والتان المعلقين في اوتاد حوانيت التجار
اعظم قدرا من الناس الماشين العاربن عنها . وان المرء اذا كان غيق الصدر والرأس
بحيث يكون واسع السراويلات واللباس . كان هو النبه الافق المشار اليه بالبنان المحمود
بكل لسان

وكثيرا ما نراه ينادى بوجوب منح الحرية لكل من الرجل والمرأة في اختيار شريك حياته فيقول :

"انه اذا كان المراد من الزواج ان كلا من الزوجين يزواج صاحبه لنفسه لا لاهل البلد وللمعارف والاصحاب كما كان عليان يأكل فخذ الدجاجة لام علي .
لم يكن من المعقول ان يدمع عليهما ذرفعة فيقول للمرأة لا تتزوجي هذا لكونه لم يسم بصره ثم يقول للرجل لا تتزوج هذه لانها لم تسم مريم ."

وقد تظهر عنده في بعض الاحيان نزعة اشتراكية فيباحم الاقطاعية والجور في توزيع الثروة ويحاول ان ينتصف للفلاح ، فيقول :

"فان رأيت الصانع كدأب الفلاح من جهة انه يشقى ويكد النهار كله ولا حظ له في الليل سوى اغمار عينيه . فكيف يزين هذا الصنف من الناس الدنيا ويبهجونها ويعمرونها وهم عطل عنها ومحدودون منها . والمتترفون فيها لا يحسنون عمل شي . وربما لم يكونوا ايضا يحسنون الكلام . واذا كان الناس عباد الله في ارضه على اختلاف احوالهم ومراتبهم هم كالجسم الواحد باختلاف ما فيه من الاعضاء الجليلة والحقيرة فلم لا يجرى العدل بينهم كما يجرى بين الاعضاء . فان الانسان اذا اكل شيئا او لبس شيئا فانما يفعل ذلك لاصلاح الجسم كله . ام يزعم المشرون اذا وسعوا على هؤلاء الثقات الصعاليك ونفسوا عنهم الكرب الذي يكابدونه من جهد المعيشة ومن عدم قدرتهم على تربية اولادهم انهم يحملونهم على اهمال شغلهم وعلى تركهم الارض بورا فتتعضل وتمحل فيهلكون جوعا . مما بال ذى الدولة اذا يولي المبالغ الجسيمة والجوائز الجزيلة لمن يقلده عملا ويرقيه مرتبة ولا يخاف ان يفسد عليه بكثرته ما يعطيه . لا بل ان الفقير اذا كناه واليه او سيده المونة وهو الشئ بالنسبة اليه هين فانه يؤدي ما يجب عليه من الخدمة والعمل عن طيب نفس . ويدعوا له بزيادة الخيرات والبركات بدل ما انه يببب اللبالي شابحا يديه بالدعا عليه لتيقنه ان حقه ضائع عنده وان هزاله وضواء ذاهب في تسمين غيره . وفي حمله على البطر والعنو واقننا ما لا تلزم قنيتة من الخيول المظهمة وامراكب النفيسة والاثاث المنضد .

فيأكل الغني لقمته ، والحالة هذه ، مغموسة بدعاء الفقير عليه . أم يحسبون الله تعالى
أنما خلق الفقراء لخدمتهم فقط . لعمري أن حاجة الغني الى الفقير اسد من حاجة
الفقير الى الغني ، أم يأنفون من النظر من مقامهم الرفيع السامي الى ذوى الصنعة
والخول خشية أن يسرى اليهم من بؤسهم ما يسوئهم ، كمن ارتقى شرفا باذخا وتحت
هوة عظيمة فهو يأبى من أن يتطأطأ وينظر اليها لكلا يلحقه من ذلك دوار او غشيان
فيهبط من شرفه . ليت شعري هل جرب الاغنيا حينما من الدهر ان يسعدوا الشقي
بمالهم وينعشوه برفدهم ، ثم وجدوه مقابلا نعمتهم بالكفران والباطلة وباهمال
ما فرس عليه من قبل الله والطيعة . وانما هو محروم دخل في رؤسهم مع الرحيق
فخرج هذا ولم يخرج ذاك . الا قليلكوه من ان يذوق لذة العير ويرى الدنيا
كما هي عليه شهرا واحدا في عمره في الاقل او يوما في العام حتى يموت راضيا
قویر العين . واذا كانوا يخشون منه الفساد لكسبه وتعطله فخوفهم من فساد نيته
لفقره ومن كراهته اياهم اولى . لان الشقاوة ادعى الى الفساد من السعادة ١٠٠

وله في الاصلاح طريقة مفيدة ، وهي عرض الحالة المثالية او القرينة منها ، حتى
تكون امام عين القارئ يقتدى بها ، فانه يتحدث عن الحضارة الاوروبية ويبرز لبها
ناظرا القشر ، ويرينا محاسنها ، ومحاسن عادات اهلها واخلاقهم ، بينما لا يتوانى عن
ذكر مساوئها ومساوئهم ، ونقائصها ونقائصهم كلما رأى مجال ذلك مفتوحا امامه . (١٠٠)

كل هذه الاخلاق والعادات والصفات يعرضها الفارياق علينا عرض معمق دقيق
الملاحظة ، وكثيرا ما يدم اراءه بالملاحظات النفسية التي تجعلنا نعدده ، الى حد بعيد
نفسيا يحاول ان يتعمق الى دقائق نفسيات الافراد ونفسيات الجماعات ، ويعطينا في
كل ذلك ملاحظات طريقة دقيقة . وابحاث الشدياق في المرأة وفي الاصلاح الاجتماعي
طريقة بالنسبة الى العصر الذي طر فيه ، مما يدعونا الى ان نعتبره عالما اجتماعيا
نفسيا ، يستقرى الاحوال المختلفة التي تتغلب فيها حيوات الافراد والجماعات ، ويعرضها
على ميزان التمدن الصحيح وعلى ميزان النقد الاجتماعي والنفسى الدقيق . ويخرج

من كل ذلك بأسس ومبادئ يقرر لها ليئة لكي تدير عليها اذا ارادت الفلاح ، واذا ايت التخلف من ركب الحضارة العالمية .

اما الالفاظ المترادفة والمتجانسة ، فقد عرر لنا منها مجموعات طريفة في موضوعات مختلفة تتعلق بالفرد والكون والمجتمع كمرادف الاصوات والعشق والناسك ، وتشائم ، واسماء الات الحرب والنجوم والعمائم والسراويل والفرنس والانية والطعام والشرب وسواها . واهم ما يلفت النظر فيها احتفاله الشديد بالمرأة وما يتعلق بها وقد جعل الفاريان لهذه المترادفات والمتجانسات فهرسا خاصا بهذا اثبتته في اخر الكتاب ، ليسر للقارئ امر تناولها واستعمالها . ولا نرى من الضرورة التمثيل عليها هنا فقد مر بنا بعضها في الامثلة التي اقتبسناها في هذا الكتاب .

وهكذا ينتهي كتاب الساز ، وهو عالم بحاله ، فيه ما في العالم من خوف احياة وانواع الناس ، وهو كتاب اليفظة العريية الجديدة ، بدون شك ، لانه يجمع اكثر ما في هذه اليفظة من العوالم الادبية . ولو جاز لنا ان نتنبأ ، لقلنا ان الشديان ، لو لم تلهه السياسة التي ما دخلت شيئا الا افسدته ، ولو لم تشغله حياة المناصب والترف في الاستانة ، ولو لازمه الالم طوال حياته كما لازمه في اولها ، لانتج لنا قصصا عربيا يضع به اساسا متينا لهذا الفن في ادبنا ، ولكانت قصتنا اليوم ، بحكم التطور ، تعد بحق في صف القصة العالمية ، فالعبرية الفارياية ، التي جادت علينا بهذا الانر النفيس ، والتي ارتشفت من مناهل الادب الغربي العافية حتى رويت ، كان من السهل عليها ان تشق الطريق لهذا الفن ، وان تضع حجر الزاوية في عمارته ، لولا تلك العوائق ، التي زلت به عن الطريق الممهدة الذي يسر له والتي وقفت حائلا بين عبقريته وبين هذا النوع من البناء .

وبعد ، فهل تأثر الفاريان في ساقه بمثل من امثلة الادب ؟ هذه نقطة جديدة بالبحث التفت اليها المستشرق الفرنسي هنري بيريس ، فادعى ان الفاريان تتلمذ على الادب الاوروبي وخاصة على الكاتب الفرنسي فرنسوا رابليه . وهو يثبت ذلك بقوله :

" ان سرد حياة بطل من الابطال منذ ولادته حتى وفاته لم يكن شيئاً مألوفاً في الادب العربي ، فيرجع لدينا ان يكون فارس الشدياق قد اكتسب هذه الطريقة من مطالعته الروايات الانكليزية او الفرنسية . الا انه يمكننا ان نوكد انه قرأ لامرتين^١ وشاتوبريان^٢ لانه استشهد باقوالهما . ولم يحجم عن الاستعانة بفولتير بدليل نقله فقرات كثيرة من " محاولة على الاخلاق " الى كتابه في كشف المخبات^٣ وقد لا نكون مغالين اذا اكدنا ان " القاموس الفلسفي " اوحى بعض الاراء لناقد المجتمعين الشرقي والاوروبي . واما المؤلفون الانكليز فقد عرف فارس الشدياق منهم سويغت وسترن وج . كليفلاند^٤ على ان " رابله " كان له اكبر الاثر في توجيه نبوغه^٥ .

ثم يتقدم بيريس الى اظهار اثر رابله في مؤلف الساق فيقدم الدلائل والاثباتات قائلا :

" اذا قرأنا نثر الساق على الساق وهذا النثر العتيق المتدفق كنهج عجاج احيانا ولا حظنا هذا الاقدام على الكلام الجري ، وتتبعنا هذه الانتقادات للمجتمع ، تسترها سذاجة ظاهرة او جنون مصطنع ، ذكرنا حتما من اعتبر بحق اول عامل من عمال اللغة الفرنسية واكبر مفكر لانح الهجاء في عصر النهضة الاوروبية .

من المرجح ان يكون فارس الشدياق قد قرأ رابله اثناء اقامته في باريس . واذا جاز لنا ان نشك في شيء ففي انه لم يقرأ هذا النثر الكبير في طبعة كاملة من مؤلفه وفي نصه الاصلي . الا ان المشابهات الكثيرة التي نلاحظها بين الكتب الثلاثة الاولى من " غرغنتوا و بانطافرويل " وبين الساق على الساق تسمح لنا بان نستنتج ان اتصاله برابله لم يكن اتصالاً سطحياً . قال فارس الشدياق " واول من نهج طريقة المجون فيما اظن كان " رابله " الفرنسي المشهور وهو ايضا من اهل الكنيسة^٦ (كما كان الروائيون الانكليز سويغت وسترن وكليفلاند) .

ويصعب علينا ان ننكر ان فارس الشدياق بعد ان قرأ مقاطع من رواية " رابله " فكر في وضع كتابه الذي لم يقصد فيه الى التحرش بالقساوسة في لبنان وحسب .

١. الساحة هو ترجمة حياة مؤلفه حتى قدمه الى الاستانة فقط . الساحة ١ ، فصل ٥ ص ٥٠ وهو استلزام اقتبس من المجلد الثاني لمصنفنا (راجع التامرات الثورية العلية الثانية لدنوبه باريس ١٩٤٠ ص ٢٩٠ . ٢. ١٩٤٠ الساحة ١ فصل ٥ ص ٥٠ وهو استلزام اقتبس من رحلة الماشرة (راجع طبعة لريبير ١٨٨٧ الدولى ص ٢) . ٣. كشف المحجاس ٤٨٧ ، ١١٨٧ ، ١٩٠ ، ٩٠٤ ، ٩١٨ ، ٩١٧ ، ٩٤٢ ، ٩٤٠ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، الساحة ص ٥٩ . ٤. المكتون عند ٢١٦ ص ٤٠ . ٥. الساحة ص ٩٠ (استلزمات بيريس مأخوذة من الساحة طبعة باريس ١٩٤٠)

بل قصد الى نقد المجتمع في الشرق الادنى وفي اوروبا باسلوب يجمع بين الجد والهزل وبين الروح الانسانية العميقة والحقيقة العارية الجريئة .

ولعل درسنا مفرداته يعطينا الدليل الاول على ما نذهب اليه في هذا الصدد لو ان فارس الشدياق عمل في اثناء مسدود شأن ناصيف اليازجي ، فيغلب على الظن انه كان اكتفى لمنافسة مجمع البحرين بوضع كتاب شبيه به عن اللغة العربية في ستين امثلة ، او كان جعلها سبعين امثلة ليتفوق على منافسه . ولكن الساق على الساق خرج بتأثير رابله عن كونه كتاب مفردات وتجاوزت قيمته هذا الحد . وانما المفردات ساعدت على اظهار فكرة المؤلف ، ثم لم تلبث ان اصبحت وسيلة للتعبير عن آرائه . وفارس اشبه برابله من حيث انه يمرر المفردات تارة في قالب بسيط تجر الكلمة اختها او يجر معناها معنى اخر ، وطورا في شكل جداول يتألف السطر الواحد منها من لفظة او لفظتين . واذا كان وصف الالفاظ بمجلة مستعملا في اللغة العربية كما في اللغة الفرنسية ، فان وضعها في جداول من اختراع رابله واحد ، بحيث لا تخطئ اذا قلنا ان فارس الشدياق مدين لصاحب غرغنتوا وبانطاغرويل بهذه الطريقة الادبية التي لاقت ولا ريب ، صدى للمنازع العميقة في فكر فارس .

واذا كان رابله قد صرف الى حد ما ، الشدياق عن الطريقة اللغوية المتوارثة التي وضعها الناثرون العرب في العصر الكلاسيكي ، وفي مقدمتهم اكثرهم حذقة ، حيث بهم اصحاب المقامات ، فانه قد وجهه الى ما هو اهم من هذا فاوحى اليه بمواضيع واراها كان يصعب على عبقريه حديثة كعبقرية الشدياق ان تتخيلها او تفكر فيها .

صرح فارس في مقدمة كتابه انه لم يقصد الى عمل لغوي وحسب ، بل قصد الى "ذكر محامد النساء" ومذامهن . فاین وجد هذه الفكرة ؟ مما لا شك فيه ان الادب العربي لا يخلو من مؤلفات تعتبر المرأة تارة شر الحيوانات وتارة اخرى اسمى المخلوقات . ولكن يجب الا ننسى ان الكتب العربية التي تمجد المرأة وتتغنى بمحامدها كانت لا تزال مخصصة ، اي انه لم يكن يقدر لای كان الاطلاع عليها حتى

لو كان مثل فارس الشدياق شديد الرغبة في معرفة كل شيء . ففي العام ١٨٥٥ (وهو تاريخ ظهور الساق على الساق) لم يكن قد صدر بعد ديوان الشبابة لداود الانطاكي . ولا طوق الحامة لابن حزم الاندلسي ولا كتاب الزهرة لابن داود الاصفهاني ولا الرووس المعطير للنفزاوى ولا رسائل الجاحظ في الحب والنساء . ولا نعتقد ان فارس لما كان في باريس اطلع على الفصول الثلاثة الاولى من تحفة العروس للتيجاني التي نشرتها بالحجر مكتبة هاشيت العام ١٨٤٨ .

ربما استوحى فارس الشدياق لحة كتابه العامة من الف ليلة وليلة الشهير في العالم كله . فان هذا الكتاب العربي المجهول المؤلف . على الرغم من التشويس الظاهر في حكاياته والذي يقال ان مصدره تعدد المؤلفين والراوين . وعلى الرغم من نزعاته المختلفة على بضعة نرون . هو افصح محاولة للدفاع عن المرأة واعادة حقوقها اليها . ولكن كتاب شهرزاد يخلو من هذه اللهجة الجدلية . بين الجد والهزل . التي تستدعي الانظار في الساق على الساق . الفارياق . بطل الكتاب . تصحبه زوجته الفاريافية في جميع اسفاره في الشرق وفي اوروبا . وفي المحاورات التي تقع بين الزوجين لمناسبة او لغير مناسبة . يعتمد المؤلف الى بث ارائه في حالة المرأة في الشرق والغرب . ان اللهجة المتحمسة او الهزلية التي تطبع هذه المناقشات عن اتحاد الرجل بالمرأة وهذا المجال الذي افسحه الكاتب لدرس نواحي الزواج هذه التي هي مادة خرافات العصور الوسطى . وتحملنا حملا على التفكير بالكتاب الثالث الذي اشترك به رابله - كما اثبتة السيولوفران منذ ثلاثين سنة - بلهجة خاصة في "نزاع النساء" الذي شغل القرن الخامس عشر كله . ثم لم يلبث ان بعث مرة اخرى حوالى منتصف القرن السادس عشر .

ونجد في الساق على الساق بعضا من الاستشارات الخمس عشرة او تجارب بانورج . ولكن المؤلف لا يقدمها الى قرائه على شكل منظم . وهي من اجل هذا لا تحمل طابع المناقشة العملية المنظمة . بل هي مفرغة في سيرة الفارياق المتزوج

١. نحن نوثق ان الشدياق اطلع على لبنايه على كثير من المخطوطات . وقد كلفه والده يمتلك طائفة من
٢. مجلة المراسلات ارجلية ١٩١٤ . كتاب النزعة الغزنوية - باريس - ساريسيه ١٩١٤ ص ٢٠٥ .

الذى لا يتسأل ايتزوج ام لا ، وانما يتسأل هل احسن في زواجه . والاحلام التي يحلمها او يفسرها ليست تحذيرا للرجل من الزواج وانما هي نصائح مفيدة للزوج تظهر له ان المرأة ليست وحدها مسؤولة عن جميع ما يقع من اخطاء . ولئن كنا لا نجد عندها " رنات هوميرية وفرجيلية " ولا عرافات ، الا اننا نلاحظ مع ذلك ان الفارياقية الامية لا تلبث ان تكتسب المعرفة من امثولات زوجها وتصبح كقاموس الفيروزابادى ، بل هي تستعمل ، في بعض المواقف لهجة العرافة الموحى اليها . والاستشارات التي نشرها رابله في مادبة دمجها فارس الشدياق في مشهد واحد على شاطئ البحر . واذا لم نفع في هذا المشهد على شاعر (رامينا غروبيس) بل على مجمع علماء شعراء ككل الذين يتكلمون اللغة العربية ، الا انهم اناس يخدمون ربات الشمر . وليس من العسير ان نجد في المتساجلين في اللوحة الشدياقية بعض الصفات التي يتميز بها اللاهوتي ايبوداته والطبيب رونديلبس والمسترع بربدوا والفيلسوف تردبوغان .

ان هذه التذكرات تستدعي الانتباه على قدر ما يستدعيه بعض التشابه في الانشاء الخطابي . وكيف لا يلفتنا عند فارس الشدياق هذا المشهد الذى نرى فيه الفارياق وهو على اهبه مغادرة زوجته في سفرة لبضعة شهور ، يقطع محادثته الاخيرة معها عن الغيرة وخيانة النساء وتراخي الاخلاق في مالطة ، وانواع اللذات الجسدية . الخ بهذه العبارة : " فلنعد الى وداعنا " . هذه العبارة التي تذكرنا في قوة عبارة بانورج : " لنعد الى اغنامنا " .

مما لا شك فيه انه من الطرافة على جانب كبير ان نبحث بالتفصيل عن تشابه الابطال والمواقف والحوادث والانشاء والمفردات في كتابي الساق على الساق وبنطافرويل على اننا نعتقد اننا اظهرنا بقدر كاف القرابة بين هذين الاثرين بحيث لم يبق ثمة حاجة الى الاسهاب في البحث عنها في هذا المقال المتواضع .

١. الساق ح ٢ ، ص ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١

هذا ما ذهب اليه بيريس، وقبل ان نقدم رأينا في المسألة نود ان نورد بعضا من رد الاستاذ فؤاد افرايم البستاني عليه، قال :

"ناصر اليازجي لم يخرج من بلاده وهو امر واقع . واحمد فارس سافر الى فرنسة وانكلترا وهو امر واقع كذلك . ثم ناصر اليازجي منسى مقلد وهو امر مسلم به . وكذلك كون احمد فارس كاتباً مبتكراً .

واذا فان ابتكار احمد فارس وطرافته وقربحه الفياضة واخذه بأساليب الادب الحي كلها نتيجة رحلاته العديدة ، واحتكاكه بالنسوب المتباينة ، واطلاعه على الادب الغربي فلم يبق . . . والحالة هذه ، الا التفتيش عن الكاتب او عن الكتاب الذين اثروا في احمد فارس فجعلوا في شخصيته هذه الطرافة ويسير الشبح بيريس بين المؤلفين ، من انكليز وفرنسيين ممن قد يرد شيئا من النبه بين بعض اثارهم وبعض اثار احمد فارس حتى يقع على رابليه واذا بالساق على الساق " مدين لكاركانتوا وتياكرديل .

يقول المصالح هذا البحث المتناسك الاجزاء ، والمتسلسل النتائج ، فيعجب باكثر نظرات المؤلف ، ويوافقه في البصر منها ، ولكنه لا يتمالك الا السؤال : اولا يعجب الناقد كثيرا بحق "الشخصية" في درسه الكاتب ، ورده كل ما اتصف به من طرافة وابتكار الى اطلاعه على ادب الغرب عامة او على ادب رابليه خاصة ؟ اوليس هناك من عنصر حيوى فوق العنصر التأثيرى المكتسب بالاسفار والمطالعات ؟ او ليس من فرق بين شخصيتين اليازجي والشدياق غير سعة اسفار الثاني وانكناز الاول في محيطه اللبناني ؟

هذه وامثالها من التحفظات كان خليقا بالاستاذ بيريس ان ينتبه لها ، فلا يندفع في نسبة كل ما يراه من جمال في "الساق على الساق" الى الامثلة الغربية ، حتى قول الفارياني لامرأته قبل سفره " فلنعد الى الوداع " لا يكاد يراه الباحث حتى يتذكر قول Panurge المشهور *Retournons à nos moutons*

وبين الموقنين والقولين فرقاً وكان خليقاً به ان يخفف بعمر الشيء من حماسه في قدر " الساق على الساق " وهو على ما فيه من فيض عجيب وملاحظة دقيقة واسلوب مبتكر لا يزال مفتقراً الى كثير من شروط الفن ، كما لا يخفى على الناقد البصير .^{١٥}

هذا ما ذهب اليه الاديبان ، اما نحن فاننا نقف موقف الحذر مما كتبه الاول ، ومن رد الثاني . اما بيريس ، فاننا لا نوافق على طريقته الاستشراقية في نقد النص الادبي ، جاعلاً من الخلجات الفنية والحضرات الروحية مجرد ملموسات تدخل في دائرة الاحصاءات والارقام والمقارنات ، متناسياً ان الفكر الانساني متنوع كثير الظلال والالوان . وتأخذ عليه ايضاً ، موافقنا البستاني على ما ذهب اليه ، تجاهله شخصية الفنان وطابعه الانساني . وهذا لا يعني اننا نجحد فضل الادب الاوروبي والحياة الاوروبية في تغذية عبقرية الشدياق ، ولكننا من ناحية اخرى نشبه ان الحضارة الانسانية ، وعلى رأسها الفن ، مجرى عظيم تنهل منه جميع الامم ، وتساهم في تأثيل مياهه .

ونحن اذا عدنا الى الكتابين ، الساق وغرغنتوار ، الفينا بينهما تشابهاً وتماثراً ، اما التشابه فانه يبرز لنا في المجارى العامة الاتية :

٢ . ان في كل منهما نقداً للمجتمع والبيئة . فرابليه في كتابه ينقد مناهج الدراسة في السربون ، وينقد اساتذتها انتقاداً لاذعاً بذكرنا بنقد الشدياق لاساليب التعليم وللمعلمين في عصره .

٢ . ان كلا منهما يتحدث عن المرأة وعن الزواج والزوجة . ولكن في موقفهما منها اختلافاً بيننا ، فبينما نرى رابليه يقف موقفاً عدائياً من المرأة ويبين انها قاصرة العقل ، سيئة التدبير ، ويبرهن على ان الزواج مصيبة من مصائب الانسانية ، نرى ابا العباس^{١٦} يقدرها على حقيقتها ويضعها في ميزان الحق ، فيبين محاسنها ومساوئها ، ولكنه في اكثر الاحيان يقف منها موقف المعجب بل موقف المحب المدلل .

٣ . ان في كل منهما قصصاً واخباراً غريبة . فغرغنتوار فيه قصص بطولة واخبار شجاعة هي اقرب لان تكون اساطير من نسج الخيال ، من ان تكون حقائق واقعة ، بينما نرى الساق يورد اخبار رجال الدين وقصص النساء ، وهذه تنسم بميسم

١٥ . المخطوط عدد ٧٦ ص ٥ .

١٦ . لقب الشرايكة

الحقيقة والواقع اللذين خلت منهما قصص رابليه .

٤ . ان كلا منهما يهجو رجال الدين ويذمهم ويتحدث عن مسقيم وبحيث على تزويجهم .

٥ . ان في كل منهما خروجاً عن طريقة العصر في الكتابة . عند رابليه خروج عن الفن الاصولي (الكلاسيكي) وثورة على قواعده . وعند الفارياق ثورة على الطريقة العربية التقليدية . التي ظهرت في مقامات اليازجي . وخروج عنها .
٦ . كل منهما يميل الى حشد المترادفات والمتجانسات من الالفاظ في كتابه حرصاً على اتمام الفائدة اللغوية .

اما اوجه الخلاف بينهما فاهما :

١ . ان " الساق " هو قصة حياة مؤلفة . موصوعة في قالب فني وباسلوب مبتكر . والكاتب يخرج منها الى نقد المجتمعين الشرقي والغربي ونقد احوال عصره . بينما قصة رابليه هي قصة لعب الخيال في نسجها دوراً رئيسياً . وابتكر لها الحوادث والتفاصيل . ونرى الكاتب فيها . كما رأينا الشدياق . متأثراً على الكثير من تقاليد المجتمع . ينتقدها . ويخسر منها بالنقد الصريح الذي يبلع مبلغ الهداء . احياناً . رجال الدين ورجال التعليم والنساء . فقصة الساق اذن مبنية على اساس الواقع بينما قصة غرغنتوار خيالية موضوعة .

٢ . ان مناحي النقد والهجاء في الساق اوسع . فالساق يتناول حل مظاهر الحياة في المجتمعين الشرقي والغربي . بينما يتناول غرغنتوار بعض نواحي بيئته . كاساليب التربية والتعليم . وخاصة في السربون . والمرأة . ورجال الدين .

وخلاصة رأينا . ان الفارياق متأثر بالادب الاوروبي الى حد بعيد . ظهر في كتبه المختلفة . في انتحاء المنحى العلمي احياناً وفي تبسيط اللغة وتجنب الاستطراد ما امكن . وفي الفن الادبي عموماً . وليس عجيباً ان يتأثر الفارياق برابليه . الذي بلغ من

الشهرة بلغها عظيما . ولكن تأثره هذا لم يقيد عبقريته ولم يملك عليه ناحية ابتكاره الفني ولم يخلق ابواب شخصيته ، فانه سيّد للفن عمارة هائلة ، متنوعة النوافذ ملونة الابواب بهيئة المقاصير . احاطها بالمنازة والحدائق . الا انه استعارها بعصر وسائل الفن الاوروبي وبعصر خطه ، فجاءت جميلة رائقة الحسن تسر الناظرين .

اسلوبه في الساز :

قبل ان نتحدث عن اسلوب الفارياب في عمارته هذه ، لا مندوحة لنا من ان نتحدث ، ولو بايجاز ، عن الاسلوب الذي كان متحكما في الادب العربي . حين قدم له الشدياق هذه التحفة النفيسة .

كان الانشاء في القرن الماضي . لا يزال متعثرا في اذيال القديم ، يشبّ على طاعته ويلبس اسماؤه ويدرج في دروبه . ان كان اللفظ منه هو المقدم ، واللفظ عند هؤلاء الكتاب فنون ، يحكمها السجع وانواع البديع من استمارة وتورية وجناس وحباز بحيث يشق على القارئ ان يشو ستار اللفظ السميك . ليتقدم الى وراءه من معان تكون في اكثر الاحايين هزيلة غثة معادة . وفي ذلك يقول الاستاذ محمد كرد علي :

" كان الادب العربي قبل دور النهضة الاخيرة عبارة عن سجع كسجع الكهان طول بلا طول ولا ظائل وجعل باردة سمجة " . ويقول الاستاذ احمد ضيف :
" وكان اكثر اساليب الكتابة البليغة الادبية كالرسائل والمقامات مسجعة جارية على اسلوب الهمداني والحريري . وانتشر السجع حتى لم يكد يخلو منه كتاب او تأليف وحتى تمنى هذا الاسلوب في الكتابة العامة . ولا شك في ان هذا اثر عنابة العصر العباسي الاخير بالصناعة اللفظية والحسنات البديعية . وشاع هذا الاسلوب في الكتابة الادبية حتى تخطى القرن التاسع عشر " .^١ وعنه يقول الشدياق :
" وان الطالب منكم اذا اراد ان ينمو كتابا او خطبة فانما يستعمل بعصر اسجاع مبتذلة ساكنة الروى وخفية ان يلتبس عليه المرفوع بالمنصوب . ويتطال الى

١. المقتبس جلد ٢ ص ٥٦.

٢. المختطف جلد ٦٨ ص ٩٠.

بعض استعارات باردة وتشبيهات حادة حشوها الالفاظ الركيكة والمعاني المتقلقة .
من دون معرفة ما يستعمل من الفعل ثلاثيا او رباعيا ، وما يتعدى به من حروف
الجر .^{١٥}

جاء الشدياق والاسلوب العربي على ما وصفنا من الهلولة والضعف والتراخي
والانهيار . نثار على هذه القوالب المتداعية ، وسخر بها ايما سخرية فقال عن
المحسنات البديعية * ان هذه المحسنات البديعية التي يتهوّر فيها المؤلفون كثيرا
ما تشغل القارئ بظاهر اللفظ عن النظر من باطن المعنى^{١٦} . وهو ينتهم بمؤلفي
النحو ومعلميه وبالاغراب وبتمسك النحاة بحركاته ويسخر بالمجاز والاستعارة وانواع
البديع^{١٧} . كما انه يسخر بالمؤلفين واساليبهم فيقول :

"اذ المؤلف منهم بينا هو يذكر مصيبة احد من العباد في عقله او امراته
او ماله اذا به تكلف لايراد الفقر المسجعة والعبارات المرصعة وحنى قصته بجميع
ضروب الاستعارات والكنايات . وتناغل عن هم صاحبه بما انه غير مكترث به . فتري
المصاب ينتحب ويولول ويشكو ويتظلم ، والمؤلف يسجع ويجتس ويرقع ويورى ويستنظرد
ويلتف ويتناول المعاني البعيدة . فيمد يده تارة الى النسر وتارة الى النحوم
ويحاول انزالها من اوج سمائها الى اسفل قوله . ومرة يفتحم البحار واخرى
يقتطف الازهار ويحضر في الحداث والغياص من اصل الى فرع ومن غوطة الى ربوة^{١٨}
وكثيرا ما نراه يسخر من السجع فيقول مثلا :

"السجع للمؤلف كالرجل من خشب للماشي ، فينبغي لي ان لا اتوكل عليه في
جميع طرق التعبير لئلا تضيق بي مذاهبه او يرميني في ورسة لا مناصر لي منها .
ولقد رأيت ان كلفة السجع اشق من كلفة النظم ، فانه لا يشترط في ابيات القصيدة
من الارتباط والمناسبة ما يشترط في الفقر المسجعة . وكثيرا ما ترى الساجع قد
دارت به القافية عن طريقته التي سلك فيها حتى تبلغه الى ما لم يكن يرتضيه لو كان
غير متفيد بها . والغرض هنا ان نغزل قصتنا على وجه سائح لاي قارئ كان . ومن

١٥. الساجع ٢ ص ٤٠

١٦. الساجع ١ ص ١٤

١٧. الساجع ١ ص ٤٠

١٨. الساجع ١ ص ٧٠

احب ان يسمع الكلام كله مسجعا مقفى ومرشحا بالاستعارات ومحسنا بالكنايات فعليه بمقامات الحريرى او بالنواجع للزمخشري^١ :

وهكذا لمس الشدياق في اساليب عصره هيويا ونقائص فلم ير بدا . وهو الاديب الطرح . من ان يبتكر للناس ادبا جديدا ويخرج لهم من البديع ما لم تألفه اذانهم . وما لم يسبقه احد اليه ، وفي ذلك يقول :

"اذ كنت احزن لتعقبي معنو من المعاني علي واحاول اختراع شيء من البديع لم يكن احد سبقني اليه . ظانا انه يقوم للناس مقام هذه المخترعات التي يزهى بها الكون عصرنا هذا . فلم ينتهيا لي فكنت ابيت الليل في يأس وكرب^٢ ."

وهذا المعجز الذى الفاء في اساليب عصره الواهية الخالية من كل انواع وطرافة . جعله يفاخر بهذا النمط العالي من الكلام الذى جاء به في أسلوبه . قال :

"وكذلك كلامي ههنا . فانه مما فيه من الاستطراد والحسر والالفاظ المضغوطة بين المعاني ومن المغازى المعقودة بالتلميح والتلويح . والتحويل والتلميح فقد يروق لخاطر من لم يكن قد الف هذا التخليط . بل ربما يحمله الاعجاب به على تحديه ومحاكاته . ولكن هيهات فان الباب قد اغلق في وجوه المتحدين . على اني لست ازمع اني اول كاتب في الدنيا نهج هذه الطريقة واسعظها المتناعسين . الا اني رأيت جميع المؤلفين في سهوة كتيب قد قيدوا انفسهم بسلسلة نفر من التأليف واحدة . لكنني لا اعلم الان هل غيروا أسلوبهم او لا . اذ قد مضى علي بعد فرائهم اكثر من خصر سنين . فكان العارف بحلقة واحدة من تلك السلسلة قد حرف سائر الحلق حتى ان كل واحد منهم يصدق عليه ان يستقى حلقي . بنا . على انه مشى وراء القوم وحذا حذوهم . فاذا قد تقرر ذلك فاعلم اني قد خرجت من السلسلة فما انا بحلقي ولا بستيهمي ولا اكون امام القوم فان الثانية انحسر من الاولى . وانما انا مستقبل لما استحسننت . واخذ بناحية ما استظرفت . رافض مكلف العادة .^٣"

١. السامع ١ ص ٢٧

٢. السامع ١ ص ١٥

٣. السامع ١ ص ٨٢

هكذا كان موقف الشدياق من ادب اليقظة • ونعتقد ان موهبة الابداع التي تأصلت في نفسه وحققت في اوروبا بما طالعه من ادب الغرب فكان هذا الميل العظيم الى الثورة والتجديد • والادب الشدياقي في نظرنا هو تاريخ ثورة سبقتها ما يسبق الثورات عادة من اسباب • وننتج عنها ما ينتج عن الثورات من هدم وبناء •

وبعد فما هي الصفات العامة التي تتراءى لنا في اسلوب الساق ؟ وللإجابة على هذا السؤال يجب الا نتقيد بما وضعه السابقون لنا من صفات الاساليب التي يكاد الباحثون يطلقونها على مختلف الاساليب • وانما يجب ان نقسم هذه الصفات الى اللون عامة تجتاح هذا الادب وتستأثر بمعظم ما فيه • وقد رأينا ان نقسم هذه الالوان الى اربعة :

١ • الافتنان العقلي

٢ • الافتنان الایقاعي

٣ • الواقعية

٤ • الفكاهة ويدخل تحتها التهكم والدعابة والمجون •

وسنتحدث عن كل منها ببعمر التفصيل •

الافتنان الفكري :

ونقصد به التحاسين المنطقية والفلسفية والنفسية والاجتماعية التي يحدد اشدياق بها افكاره في الفرد والمجتمع والكون • وهو لا يعرضها علينا مقطعة جافة بل يكاد يسمو بها سموا فنيا لم نعهده في ادب اليقظة • وطبيعي ان يظهر هذا الافتنان في ادب الشدياق • والذي كان مخزنا عظيما للمعلومات اللغوية والادبية والفقهية والفلسفية • والذي درس المنطق وتوسع في درسه حين كان في مصر • ولعل الشدياق يمتاز عن معاصريه بانه استعمل المنطق في كتابه هذا استعمالا واسعا • فكان يعرض آراءه في المجتمع والفرد والحب وما سواها بشكل حجاج يقوم على البراهين والادلة والمقدمات والاقيصم والاستنتاجات • وهناك عناصر اخرى ربما

ساعدته على هذا الافتنان . منها ميله الى تشويق القارئ حتى لا يعثر به ، مما يقرأ .
الطل . والشدياق يحب القارئ ، ويقدر ظروفه ويعمل على ارضائه على حساب نفسه
على حساب الفن . والا لما قدم له هذا الكتاب ، بالمقدمة الشعرية التي يحبه بها اليه ،
ويقدمه تقديمًا يقر به الى القلوب ويدينه من الرغبة والارتياح .

ومن هذه العناصر دقة الملاحظة ، فقد كان حس الشدياق كما المعنا سابقا ،
مرآة صادقة تتمثل فيها دقائق الوجود ، كما ان ذوقه كان رقيقا يكاد يصل به الى
ادراك بواطن الامور ، ويكاد يتأثر اثرا صادقا بما يلامسه . وهذا كله الى سلامة
الصبح وصدق الفكرة .

وثالث هذه العناصر ، هو نزعة الى البحث والتعميم وهو لغوى ضليع درس
مبادىء اللغة على اخيه اسعد ، وقد كان طالما بها ، ثم اتم دراسته في مصر على
استاذية الطرابلسي ومحمود شهاب الدين ، وامتد كل ذلك بغذا ، خصب وجدده في
الكتب الفنية التي وفعت بين يديه والتمهها . والابحاث اللغوية ، والمطالعات الواسعة
في اسرار اللغة ومعجزات البيان تشجع على ظهور مثل هذه النزعة ، وعلى خلق
صفة اخرى ترافقها وهي القدرة على التقصي والاستقراء . وقد ساعده على كل
ذلك خيال خصب مجتج ، يربط ما تناثر ويوثق ما انفص ويبتكر البراهين والاقبسة
والمحاجات .

ونحن ، في هذا الافتنان ، لا نلمس اثار الهليلة او التهافت او الاحياء بل نرى
الكاتب عنيقا في حدله قويا في حجمه مبهتا في براهينه . واليك مثلا من امثال ،
وفطرة من معين ، نقدمها على سبيل التشيل ، من حديثه الى رجال الدين الذين
اضطهدوا اخاه اسعد ، وفيها يدافع عن حرية التذهب وحرية التفكير ، قال ليعد
لومهم وتقريعهم على اضطهاد اخيه :

” وما كان لكم عليه من سلطان ديني ولا مدني . اما الدين فان المسيح
ورسله لم يأمرؤا بسجن من كان يخالف كلامهم ، وانما كانوا يعتزلونهم فقط ولو كان

دين النصرى نشأ على هذه المساواة الوحشية التي اتصفتم بها الان انتم رعاة
التائبين وهداة الضالين لما آمن به احد . ان لا احد من الناس يصبو الا اذا
كان يرى الدين الذى خرج اليه خيرا من الذى خرج منه . وكل انسان في
الدنيا يعلم ان السجن والتجويع والاذلال والتوقد والتأويق والتشنيع ليس من
الخير في شيء . وناهيك ان المسيح ورسله اقرؤا ذوى السيادة على سيادتهم وامرتهم .
ولم يكن دأبهم الا الحر على مكارم الاخلاق والامر بالبر والدعة والسلم والامانة
والحلم . فانها هي المراد من كل دين عرف بين الناس . واما المدني فلان اخي
اسعد لم يأت منكرا ولا ارتكب خيانة في حق جاره او اميره او في حق الدولة .
ولو فعل ذلك لوجب محاكمته لدى حاكم شرعي . فمساة البطرك اليه انما هي اساءة
الى ذات مولانا السلطان . لاننا جميعا عبيد له يستأمنون في امانته وحكمه . وكلنا في
الحقوق سواء . ان البطرك ليس له حق في ان يخطف من بيتي درهما واحدا لو
شئنا فاني له ان يخطف الارواح وهب ان اخي جادل في الدين وناظر وقال انكم
على ضلال فليس لكم ان تمينوه بسبب هذا . وانما كان يجب عليكم ان تنفضوا ادلته
وتدحضوا حجته بالكلام او الكتابة اذا انزلتموه منزلة عالم تحشون تبعته . والا فكان
الاولى لكم ان تنفوه من البلاد كما كان هو يطلب ذلك .^(١)

الافتتان الايقاعي :

ونقص به نعم النفس الفنية الذي يحتل بخلجاتها ويمتز بلمساتها ويواكب
حركاتها ويتغنى سكاها . واسلوب الشدياق في هذا الكتاب . او ايقاعه الموسيقي .
هو جماع الاساليب العربية المعروفة . فيه البساطة والايجاز ودقة الحك في بعض
الاحيان وفيه اطناب وتبسط وتوازن وترادف في البعض الاخر . وفيها عدا ذلك .
الوان للسجع والبديع في بعض المواضع . اظهارا للبراعة او تحديا للمنشئين او
سخريه بهم . وهذا الايقاع . لا نعدده صنعة او شكلا . بل هو تدقيق شعور وانغماس
نفسى او كما وصفه هو . تبعث على ميزاب العلم في وجوه هذه الصحائف . وقد

(١) السامه ج ١ ص ١٠٠ و ١٠٢ وللاستزاده راجع ج ١ ص ١٠٤ - ١١٩ و ج ٢ ص ١٩٤ و ج ٣ ص ٢٤٤ و ٢٤٦
(٢) السامه ج ٢ ص ٩

كان قلمه مطواعا لحسه يسير امامه ، وحسه صافيا يكاد ، كما قلنا ، يكون مرآة صادقة
تتمثل فيها دقائق الوجود . ونحن نعتقد ان الخاصة الاولى التي تميز الادب
الفارياقي هي التلام الشديد بين الالفاظ والمعاني حتى تخرج الالفاظ كسا مناسبا
لها ، وهذا ناتج عن البصر بمواقع الكلام . فالشدياق عالم لغوي ضليع ، لا تعجزه
اللفظة ولا تعثر بقلمه الكلمة . وهو ، ان صح التعبير ، وثني يعبد الحرف عبادة لا
شرك فيها . وهذه العبادة تقتضيه الجهد والتعمل والتحبير ، فتراه ينقب عن اللفظة
الامنة المطمئنة ، يضمنها في موضعها من القول آمنة مطمئنة ، لا يعترىها انقلب ولا
تنتابها الحيرة . وعمل كهذا يتطلب حلق اسمال القديم وفك قيود التقليد ، وهذه
جراحة لا تعدلها جراحة في تلك الاونة ، وبالتالي جراحة في تاريخ الفكر لا تجدها
الا عند الروموش الشامخة في تاريخ الفكر الانساني . وبهذا العمل ، وضع الشدياق ،
وقلة ممن حاولوا التجديد في اللفظة ، اسر مدرسة ادبية فكرية عظيمة . ونحن
لا يخامرنا شك في ان النهضة اللغوية التي دأب اليها محمد عبده ومدرسته
وزيدان واديب اسحق وسواهم ، كانت متأثرة الى حد بعيد بكتاب الساق ، وانا
شخصيا ان الساق على الساق هو السثار الذي اسدلته نهضتنا الحديثة على جزء غير
صغير من البيان العربي البالي .

ومن الوان هذا الافتنان الايقاعي الحوار ، فالشدياق يشمر اثنا كتابته بالملل ،
فسرطان ما يتحول قلمه الى حوار خفيف جذاب يخير به السياق بمهارة ومقدرة
ظاهرة ، ورحم الله الجاحظ ، فانهما صنوان في ذلك .

وحواره في الأكثر جميل هذب يسمه ميسم الفكاهة ، ويكثر فيه التلاعب بالالفاظ .
وهناك قطع جميلة من الحوار العذب المستساغ اوقعها الشدياق بينه وبين زوجته ،
ولولا ضيق المقام لتمثلت بها كلها ، ولكن الضرورة تقضي علينا ان نتمثل بهذا
الحوار القصير الذي اجراه مع زوجته قبل سفره الى اوروبا ، قال :
" لما حان سفر الفارياق اخذ يودع زوجته بعد ان اوى القاموس والاشموني
في صندوقه ويقول : اذكرى يا زوجتي انا عننا معا برهة طويلة من الدهر .

قالت ما اذكر الا هذا . قال فقلت اذكر ناكرا ام شاكر قالت نعم من هذا ونصف من ذلك قلت يرجعنا النحت الى الاول قالت او يرجع الاول الى النحت . قلت اي اول اضمرت . قالت مالك ولتأويل الضمر . قلت حسبي ان نبيتي لي حقيقة ذلك . قالت اذا فكرت في اند لي ولغيره كنت من الناكريين والا فمن الشاكريين . قلت انك كنت تهيبني على المعاملة بالقسم وها انت الان تأتينه . قالت بل هو يأتيني . قلت اما في نيك لفظة لا . قالت ان لفظها كانت نعم . قلت ان لا من المرأة الى . قالت وان نعم نعم . قلت اجعل هذا دأب . قالت ودأبت في هذا العمل . قلت هذا لا يليق بذات ولد . قالت ولا تلد من تليف . قلت من مادة واحدة . قالت ان كانت المادة غير زيادة متصلة احوجت الى اختلاف الصور . قلت وكيف تبقى متصلة على اختلاف الاشكال . قالت لا اشكال في كيفية الاشكال فان واحدا منها يغني عن الجميع . وانما الكرم على رسم الكمية . قلت ما الجد . قالت في الجد الهزل وفي الهزل الجد . قلت ارايتك لو انمت نائبا عني في ذاك مدة غيابي . مضحكت وقالت على ما احب انا ام على ما تحب انت . قلت بل على ما تحب انت . الخ (١)

وقد بلغ حوارهم منزلة سامية من الحيوية والفن العقلي في هذه القطعة التي يتحدث فيها عن الرقص قال :

" وكان للحاكم عادة ان يدعو جميع المعروفين خدمته الى ليلة عيد يرفق فيها الرجال بحضرته . وكان من جملة المدعوين الفاريان وزوجته فلما رأت هذه الرجال يرفضون وهم محاصرون للنساء قالت لزوجها : هل هؤلاء النساء ازواج هؤلاء الرجال ؟ قال منهن هكذا ومنهن بخلاف ذلك . قالت : وكيف يخاصرونهن اذا ؟ قال : هذه عادة القوم هنا وفي سائر بلاد الافرنج . قالت : وبعد المخاصرة ما يكون منهم ؟ قال : لا ادرى . ولكن بعد انقضاء الناس يذهب كل الى منزله . قالت : اشهد بالله انه ما خاصر رجل امرأة الا باطنها . قال : لا تسيئي الظن . انها عادة مشوا عليها . قالت : نعم هي عادة ونعمت العادة . ولكن كيف يكون احساس المرأة حين يلمسها رجل جميل في خصرها ؟ قال : فقلت لا ادرى . انما انا رجل لا امرأة .

قالت : ولكن انا ادرى ان الخصر انما جعله الله في الوسط مركزا للاحساس الفوقي والتحتي ، ولذلك كانت النساء عند الرقص والقرص في اى موضع كان من اجسامهن . يبدى الحركة في الخصر . ثم تنفست الصعداء وقالت : يا لىب اهلي علموني الرقص فما ارى فيه لاش نقص ، فقلت : لو فتحت الصاد في كل من المصراعين لكان بيتنا مطلقا . فقالت : يا للفضيحة بين الانام ، اتقول هذا الكلام في هذا المقام ؟ فقلت " هبت الى البيت فقد كفاني الليلة ما سمعت وما رأيت . قالت : لا بد ان ارى ختام الرقص . قال ملبثا الى الصباح ثم انصرفت بها فكانت تقول وهي سائرة نساء مع رجال راقصات . رجال مع نساء راقصون . راقصات راقصون ، راقصون راقصات . فقلت فاعلات فاعلون ، فاعلون فاعلات . قالت : الرجال والنساء والبنون والبنات .^(١)

هذان الحواران اللذان يوهماننا بانهما واقعا حقيقة . لا شك في ان اكثر ما -ا- فيهما كان من نسج الخيال اذ ان فيهما من الافتئان اللفظي والعقلي ما تعجز عنه القاريقية . واكثر هذا الحوار الذي يجريه القاريق في الساق . يصوره كانه حدث بينه وبين زوجه .

ولا يخطئ القارئ في هذا الكتاب آثار الكتاب المقدس والقرآن الكريم . ومن امثلة تأثره بالاول واعتماده عليه في التمثيل والفصص قوله : " وذلك على منوال الياس النبي حين صلى لانزال المطر بعد ان قتل انبياء يعزل . وكان عددهم اربعمائة وخمسين نبيا على ما اذكر في الفصل الثامن عشر من سفر الملوك . الا ان بين الداعيين فرقا ، وهو ان النبي صلى هكذا بعد القتل وصاحبنا هذا قبل الاحياء^(٢) . وقوله : " ويشهد لذلك قول صاحب الزهور ان يد الرب على قلب الملك بمعنى ان الملك لا يفكر في شيء الا ويد الله عاصمة له فيه^(٣) .

اما تأثره بالقرآن فلم يظهر في التمثيل فحسب . بل جاوزه الى التأثر والاقتباس ايضا . ولا عجب في ذلك فالقرآن هو اوج ما وصل اليه البيان العربي ولا يستغني

(١) الساحة ج. ١ ص ٤٤٤ (٢) ج. ٢ ص ١٤٨ (٣) ج. ٤ ص ٢٩٤

الكاتب البليغ عن مدارسته والنأثر به . وقد ظهر ذلك في اكثر آثار الشدياق ومنها في هذا الكتاب قوله :

"بل لو سقيته من الفحاح والكوثر ومن رحيق مختوم ومزاجه من تسنيم وجعلته في جملة من يطوف عليهم ولسدان مخلدون باكواب واباريق وكأس من معين وفاكهة ما يتخيرون ولحم طير ما يشتهون في سدر مخضور وطلح منضود ، وظل ممدود ، وما مسكوب ، وفاكهة كثيرة ، لا مقصوفة ولا ممنوعة ، وفرش مرفوعة ، وعنده جنتان ذواتا افنان ، فيهما عينان تجريان ، فيهما من كل فاكهة زوجان ، من دونهما جنتان مدهامتان ، فيهما عينان نضاحتان ، فيهما فاكهة ونخل ورمان ، فيهن خيرات حسان ، فيهما فاكهة والنخل ذات الاكام ، والحب ذو العصف والريحان ، بين متكئين على رفرف خضر وعفري حسان ، بين متكئين على فرش بطائنها من استبرق وعلى فرش موضونة ، يسقون فيها كاسا كان مزاجها زنجبيلا ، عينا فيها تسمى سلسبيلا ، ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم لولوا منثورا ، عليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا اساور من فضة الخ (١)"

والشدياق الذي يذم السجع ويظهر مقتنه له في اكثر من موضع ، لا يتحاشى استعماله في بعض الاحيان وخصوصا عند ذكر النساء . وكأنه يريد ان يدلل على انه انما ترك السجع عن استئفال وكره لا عن عجز . وهو في اكثر الاحيان ، ان استعماله ينسبه الى غيره . من ذلك قوله على لسان قيس :

"فشاع فضلي بينهم حتى ان بعض التجار ممن كان حرمه الله من لذة البنين دعاني الى منزله لاقيم عنده رجاء ان يفتح الله رحم امرأته بسببي ، كما تقول التوراة ، فتلد له البنين . وكانت جميلة رشيفة القد ، قاعدة النهد ، تحب الخلاعة واللهو ، والقصف والزهو (سبحان الله ما احد يذكر النساء الا ويهيج خاضره للسجع) فاقمت عنده مدة في انعم عيش وجدة . ثم عن لي ان اغازل زوجته واناغبها ، واطشرها واراضها ، فاجابت الى مراودتي ، ولم تبال بارنبتي ، فان من طبع النساء الميل الى الولي والاستغناء عنه بالقصي وما ادراك ما اعتذرت به احدى النساء بقولها قرب الوساد

وطول السواد الخ^(١) الى ان يقول (انتهى سجع القيسر)^(٢)

والساق على فضله لا يخلو من بعض اخطاء لغوية وكتائية اثار اليها
اليازجي في مجلة الجنان اثنا المناظرة التي قامت بينهما ، واليك امثلة منها :
"ومن زياداته المخلّة قوله في الساق على الساق صفحة ٤٠ تنبيه الغافلين
ان وراءها لقولا شديدا فافحام اللام على اسم ان هنا خطأ شنيع لانها واقعة في
موضع الجر بالاداة المحذوفة بعد تنبيه كما لا يخفى وذلك يوجب فتح همزتها على
انها مفتوحة هناك بالرسم ايضا . واللام تفصي بتعليق العامل عنها لانها من ذوات
الصدر فالتبش الامر واختلط . وعلى حدّ قوله في صفحة ٢١٤ منه : والذي يظهر
لي ان في الهنات والجليدات لضررا عظيما . وهي واقعة في خبر المبتدأ وامثالها
كثيرة"^(٣)

الواقعية :

للشدياق في هذا الكتاب ولح شديد بحكاية الواقع ، لا يستتر في ذلك ولا
يداور حتى انه ليتماجن دون مبالاة . فيذكر السوءات والعورات مصرحا او ملحا .
واى صراحة تفوق صراحته في مهاجمة رجال الدين وذكر قصصهم ، وان كانت مكشوفة
طارئة . واى واقعية اوضح من تصوير حركات الجنس والوانه وانواعه دون ما تستر
او تقبه . وهو لا يكتفي بتطبيق هذا المبدأ في ادبه بل يتمادى الى اكثر من ذلك
فيدعو الناس الى التماجن والصراحة ، ويدافع عن ذلك فيقول :

ما زارني الا خليع ماجن فدع الحياء اذا حضرت حصيرى
ان الحياء اخو النفاق وما صفت دون المجون سريرة لعشيرى^(٤)

واذا ذهبنا نستقصي اسباب هذا المجون وجدناه في الاكثر يعود الى ميل
فطرى مركب في طبع الشدياق ، اقله حب جارف للجنس ، فالغريزة الجنسية عنده هي
كعبة المظان ومحط الامال . ولو اردنا ان نمثل على ما في الساق من المجون

(١) السام ١٢ ص ٧٥ (٢) السام ١٢ ص ٧٦ (٣) الجنان ١٨٦ ص ٨٥ (٤) السام ٢٠ ص ٤١١

سجل مفتوح يقرأ منه دون ان يستمعين بتأريخ او بذاكرة ، وانما يهمه ما يراه بعينه وما تقع عليه يده . ومن اثار هذه الواقعية ايضا التدقيق في استعمال الالفاظ المناسبة للاحوال التي يريد تصويرها . وكأنه كان يؤمن بان البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال . وقد ساعده على ذلك اطلاعه الواسع على اللغة العربية . وكان في بعض الاحيان يروى الكلام كما قيل او يقال ، ولو كان عاميا . وهو يشير الى ذلك بقوله :

"وما ذلك رأيي فاني اذا اوردت كلاما من احمق انتفيت فيه له جميع الالفاظ المخيفة . واذا نقلت عن امير تأديت معه في النقل ما امكن . فكانني جالس بمجلسه . او عن فليس مثلا او عن مطران اتحفته بجميع اللفظ الركيك والكلام المختل . لئلا يصعب عليه المعنى فيفوت الغرض من تأليف هذا الكتاب" (١)

ونحن نذهب الى ابعد من ذلك فنقول ان بساطة اسلوبه وعدم احتفاله بانواع البديع والسجع ان هي الى نتيجة من نتائج هذه الواقعية التي لا تحتل الصنعة ولا تفر الكلفة الا في مواضعها المناسبة .

وكان الشدياق يستمعين على هذه الواقعية باجرا الحوار ، كما المعنا سابقا ، وبايراد الكلام كأنه حديث يقصه صديق على صديق ، وذلك ما يهيء الجو لحوكاية الواقع ، ويقرب بين نفسي الكاتب والقارى . ومن ذلك اقواله :

"فان شئت اذعنت والا فعاند" (٢)

"فان شئت فاذعن والا فليس هذا الوقت وقت العناد والخلاف" (٣)

"وها انا منطلق لقضاء حاجة لا بد منها فاسمحوا لي ان استريح قليلا" (٤)

"طيب الله انفاسك يا حديثة عهد بالزواج وعتيقة نقد للاعلاج ليست النساء كلهن مثلك وليتني اشم شفتيك" (٥)

ويقول مخاطبا القارى :

"واقبل على الطنبور يعزف به ويغني فدعه الان على هذه الحالة ولا تنغصص عليه هيشته . وشتر اذياك معي لنظفر فوق هذا الاجيج المتأجج امامنا فيما يلي هذا" (٦)

(١) السام ١٢ ص ٥٧ (٢) السام ١٢ ص ٤٠ (٣) السام ١٢ ص ٤٠ (٤) السام ١٢ ص ٤٠ (٥) السام ١٢ ص ٤٠ (٦) السام ١٢ ص ٤٠

الفكاهة : ويندرج تحتها التهكم والدعابة والمجون .

والتهكم ، الذي يذل على ميل فطري الى المرح والدعابة ممتزجين بالنقد اللاذع ، يوقعه الشدياق في كل مناسبة يرى له منها مجال الظهور . والشدياق المصلح لا يرى من الخير للرسالة التي يحملها ، ان تعرض صريحة واضحة الخطوط والالوان ، بينة المعالم والظلال . بل نراه يمزجها بالمحليات التي تسهل استساغتها وتيسر تقبلها ، فهو كالطبيب الذي يمزج مر الدواء بالشراب الحلو ليستقل على المريض امر تجرعه وارتشافه . وهذه الطريقة التي اتبعها ، توصل الموعظة الى الاسماع عن طريق سائغ مستعذب ، تمتزج فيها الحلاوة بالمرارة ، والجفاء بالركة والخشونة بالنعومة والقساوة باللين . وقد افنن الشدياق في هذا التهكم حتى لنحسبه ميدانه الوحيد الذي لا يسبقه فيه سباق . وهو يلون هجاء المر اللاذع بهذه الالوان الزاهية الطرية ، فيخرج للناس فنا جديدا في روحه ، جديدا في لغته جديدا في غاياته .

وقد يعترض معترض فيقول ان الهجاء والتهكم من اثار الادب الغربي القديم ، فالشدياق منه سلفي " ستيهي " ، لاحظ له من الابداع والابتكار . ونحن ، على اعترافنا بهذا ، نجيب بان الشدياق توسع في هذا الفن الذي وصله من السلف ، حتى لنشعر في الكثير من الاحيان انه يسوق التهكم رخيا رضى لا لشيء الا ليظفي غلة في نفسه تنزى الى المرح والدعابة .

هذا التهكم هو ملح الساق ، قل ان يخلو منه فصل . يتهمك على نفسه وعلى زوجه وعلى رؤسائه وعلى رجال الدين وعلى اهل العصر وعاداتهم واخلاقهم ومذاهبهم في الحياة ومذاهب الحياة فيهم .

وهذا التهكم يسوقه الى الدعابة والنكتة سوفا ، حتى انه ليخترع المواقف المضحكة ، والفصص المسلية ، ويضع الالقاب والرموز . وهو في اكثر ذلك موقف قدير . اسلمت له اللغة قيادها واسلمت له عنانها وصافحها يدا بتنتين . فكان " الفارس " .

الذى لا يشق له غبار في المواقف والقصر والدعابات والالفاظ . واليك مثلاً من تهكمهم على طادات اهل بلاده في الملابس والزينة وسواها :

" وطن ان اتخذ العمام الكبيرة عند اهل بلاده انما هي لوقاية رؤوسهم فقط لا لتحسين وجوههم . فان العمامة الضخمة تخفي محاسن الوجه وتشوه الوجه الصغير فضلاً عن كونها توجع الرأس وتمنع صعود الابخرة من مسامه كما نقر عليه الساعور الاكبر . فان قيل اذا كان سبب اتخاذ العمام الكبيرة انما هو لوقاية الرؤوس لا للزينة او التحسين فما بال الذين يرقدون ليلاً يتعممون . فهل يخافون ان تتدحرج رؤوسهم عن مصادغهم فيسقطوا في مهواة في بيتهم ومع ان فرشهم تكون على الارض . قلت ان منشأ هذه العادة هو ان نساء تلك البلاد يتخذن في رؤوسهن هذه القرون التي يقال لها هناك طئاطير . وهي تكون من فضة او ذهب في طول الذراع وغلط الرسع ، فاذا بات الرجل مع امرأته حاسر الرأس او كان على رأسه غطاء رقيق لم يأمن ان تنطحه بقرنها على قرنه فتمنيه باحدى الشجاج المذكورة . فان ابيت الا اللجاجة وقلت ما سبب هذه القرون الحسية ، هل هي دليل على التذكير بالقرون المعنوية عند مخالقة الرجل لامرأته ، او عند تقديره عليها او اجفاره عنها . او هي من قبيل الزينة او من بطر النساء وشرهن بحيث اذا شممن رائحة الايسار من ازواجهن رأين ان كل مجس من اجسامهن قمين بالحلى والزينة ، اذ كن يعتقدن ان المستور منها عن عيون الناس غير مستور عن عيونهن وعيون بعولهن . وان كان في المسألة خلاف عظيم وتحليل وتحريم ، وان في التزيين بحلي غير ظاهر للذة عظيمة الخ . (١) "

وهو لا يعجز عن ان يخترع القصر المضحكة التي تجمع الى الدعابة الحلوة مرّ التهكم . واليك هذه الخطبة التي وضعها على لسان احد رجال الدين ، يتهجم فيها على المبشرين :

" وقد سمعت ان بعير قسيسهم الذين لبثوا في بلادنا سنين رام مرة ان يخطب في القوم فلما صعد المنبر ارتج عليه ساعة الى ان قال . " ايها الكوم كد

فات الوقت الان ولكني اكتب فيكم نهار الاهد الكابل ان شاء الله . ثم سار الى
 بعصر معارفه من اهل الدراية والعلم والتصر منه ان يكتب له خطبة يحفظها عن
 ظهر قلبه او يتلوها تلاوة . وحشد الناس اليه فلما غصت بهم الكنيسة صعد المنبر
 فقال " بسم الله الرحمن " ثم كانه انتبه من غفلته وعرف ان ذلك لا يرضى النصارى
 وان الكاتب انما كتب ذلك على طريقته . فاستدرك كلامه وقال . لا لا ما بديش اقول
 مسلما بيكول " الاسلام بسم الله الرحمن الرحيم بل كما تكول النصارى بسم الاب والابن
 والروح القدس . يا اولادى المباركين الهادين هنا لسماء هتبني . وكبول نسيهتي
 وموهزتي . ان كنتم هدرتم وكلبكم مشكول بلزات الالم . اهبروني هتي اكسر من
 هتابكم فلا يتدجر اهد من توله ولا يتألم . والا فهزى فرسة سنهت لي اليوم .
 اذكر فيها النساء والرجال تزكير من لا يكفى اللوم . وانزروهم يوم العشر والحساب .
 يوم لا ينفع مال ولا اسباب . ولا سهال ولا جواب . ايلموا رهمكم الله ان الدنيا
 زايه . ومتامها باتله . وهالاتها هايه . ومهايلها سافله فكونوا منها على هزر .
 ولا يدلکم ما آجب منها وما ستر . اسرفوا انها نزرکم . ولا تالکوا بها وترکم .
 افهسوا فيها کلکم کبل ان تسندوا روسکم الى المهدة . وازبوا الى السلوات في
 الديك والشددة . كدموا للكنائس نزورکم ولو كليله واستهينوا بالكديسين هال الفتيله .
 لتنکروا من العهن والمسايب وتتفقوا من الكرب والنوايب . اهترموا كتيسيم
 واساكتكم ودگروهم واكتدوا بهم . وارکبوهم ولا هزوهم ترشدوا بسايهم وركسهم
 ودابهم يا ايها النصارى ان ديننا هو الهك . وواده هو الاسدك . وكبيره هو
 الاكدك وسوکه هو الانفك . لا تکالتوا هؤلاء الکرجيين . الذين اندسوا فيکم مزهين
 يتزيبون في ادالکم عن الزرات المستکيم . بما يزهررون لکم من الورا والکلک الهليم .
 الا انهم الزياب الکاتفة المتردية بلباس الهملان الجايلون في کل کتروسک ينسبون
 الينا الزيك والبهتان . وهم ازيك من سلك تريکا . واكرب من کتر سديکا . وكان
 رفيکا . الى ان قال ايها الکارکون في بهار الهتاي . تجنبوا ما يفدى بکم اليها
 فان اکبتها اليکم بلایا ورزایا . الا فاسرموا ازبايها سرما . وکاوموا ارکابها

ازما • واستاسلوا جزرها رهزا • واكلاوا مكوياتها تناولوا ركزا • الازياب الازياب •
فاكتاوا الازياب حتى تهلسوا في يوم الحساب • من الكسار والازياب (ا) اقطموا
الاسباب حتى تخلصوا في يوم الحساب من القصاص والعقاب • ومع ذلك فلم يصفعه
احد من السامعين بل استمر الى آخر الخطبة على هذا المط • (ب)

ولم تسلم مصر التي احبها ولاقى فيها الكثير من اسباب الخير والنعمة من نقده
وتهكمه واليك بعضا مما قاله عنها :

• ومن خصائصها ايضا ان البغات بها يستنسر والذباب يستصقر • والناقة تستبعر •
والجحر يستمهر • والهري يستنمر • بشرط ان تكون هذه الحيوانات محلوبة اليها من
بلاد بعيدة • ومن ذلك ان كثيرا من اهلها يرون ان كثرة الافكار في الرأس • يكثر
عنها الهموم والاكدار او بالعكس • وان العقل الطويل يتناول البعيد من الامور •
كما ان الرجل الطويل يتناول البعيد من الثمر وغيره • وان تلك الكثرة سبب في
الافلال • وهذا الصول موجب لقصر الاجال • واوردوا على ذلك براهين سديدة
قالوا ان العقل في الرأس كالنور في الفتيلة • فما دام النور موقدا فلا بد وان تنفذ
الفتيلة ولا يمكن ابقاؤها الا باطفاء النور • او كالماء في الوادي • فاذا دام الماء
جاريا فلا بد وان ينضب او ينصب في البحر فتسحق بقى • او كالفلوس في الكيس •
فما دام الفلوس في الكيس يمد يده الى كيسه وينفق منه فني ما عنده • الا ان
تربط يده عن الكيس او يربط الكيس عن يده • او كالتيس النازي • فانه اذا دام نزوه
نزفت مادة حياته فهلك فلا بد من نجفه • فمن ثم اصطالحوا على طريقة لتوقيف جريان
العقل في ميدان الدماغ حينئذ من الاحيان ليتوفر لهم في غيره • وذلك بشرب شى من
الحشيش او بعضفة او بالنظر اليه او بذكر اسمه • فحين يتعاطونه تغيب عنهم الهموم
ويحضر السرور • وتولى الاحزان • ويرقص المكان • فمن يرهم على هذه الحالة وقد
لو يكتب في زميرهم ويدخل في دائرتهم وان يكن قاضى القضاة • (ج)

وكثيرا ما يسخر باللقاب، ومن الذين يمنحونها والذين يتلقبون بها .
وهذه حلقة من سلسلة الاصلاح الاجتماعي الذي كرس الشدياق له جزءا كبيرا من
اثار قلمه . واليك هذه القطعة التي يسخر فيها باللقاب واصحابها ، وقد بلغ فيها
حدا بعيدا من الدعاية والتهمك :

• حد اللقب عند المشرقين انه هنة نائثة او زنة او علاوة زائدة متدللة
تناط بكونية الانسان . وعليه قول صاحب القاموس العلاقي اللقب لانها تعلق على
الناس . وعند المغربيين اي الافرنج انه جليلة تكوّر في الجسم . وشرح ذلك
ان الهنة يمكن قطعها واستئصالها مع السهولة وكذا الزنة وكذا العلاوة يمكن
ركسها وقلبها . فاما الجليلة فلا يمكن فصلها عن الجسم الا بايصال الضرر الى
صاحبه . وحاشية ذلك ان الشرح لا يد له من حاشية ولولاها لم يفهم له معنى .
ان الزنة عند اهل الشرق غير موروثة الا ما ندر . فان لكل قاعدة شذوذا .
والجليلة عند العرب متوارثة كابرا من صاغر مثال ذلك لقب الباشا واليك والافندي
والاقايل الملك انما هو محصور في ذات الملقب به فلا ينطق منه الى ولده . فقد
يمكن ان يكون ابن الوزير او الملك كاتباً او نوتياً . فاما عند الافرنج فلا يصح ان
يقال لابن الميركيز ميركيزا او ميركيزي . وقد يجتمع مطلق الزنة والجليلة في جهة
بقطع النظر عن كون الاولى متناهية والثانية غير متناهية . وذلك ان اصل كلّ منهما
في الغالب اكال يحدث في ابدان ذوي الامر والنهي لهيجان الدم عليهم . فلا يمكن
تسكين هذا الهيجان وحك هذا الاكال الا باحداث الهنة او الجليلة وبيانه ان
الملك اذا غضب مثلا على زيد من الزيديين لذنّب اقترفه . ثم بعث اليه ذلك الزيد
بشفيع مريان ليرصاه سگن هذا الاستنفاع ثورة ذلك الغضب . واختلطت الكيفية
الهيجانية بالمهنية العريية فانتجتا جليلة لمن كان يخاف سلج جلده . فتحلى بها
بين اقاربه حلية موبدة ولم يخف من تداول القرون عليه . والغالب في الجليلة
ان تحتاج الى حسمين . جسم مضروب عليه وجسم شافع فيه . والغالب في الهنة
ان تحتاج الى جسم واحد فقط ومن الهنات هنات كنائسية وهي على نوعين ترايية

مدينة ما، الا انهم قد افراطوا في ذلك فان اكثر هؤلاء يذهب الى بلادنا مستوفزا ويرقد في الخانات فلا تمكن له مشاهدة ما فيها من الديار الرحبية والمنازل الفسيحة النظيرة فيتأذى مما عانى ويحمل ذلك على مناكب البلاد جزافا ويغض النظر عن سيئات بلاده. (١)

ويقول في موضع اخر يدافع عن الغناء العربي :

" وجميع الافرنج يقولون ان غناء العرب من خياشيمهم وعلى فرع تسليم ذلك مما يكون منافيا للاستحباب والتطريب فان اللغة الفرنسية لا يتكلم بها الا مع الغنى، وهي مع ذلك اشجى لغات الافرنج جميعا . وربما طرب لها من سمعها اول مرة من عمره . وقد رأيت من الافرنج من كان يصرب للانغام المصرية ولكن غب طول مكث بمصر وكان في اول امره يأنف منها ويقول انها محزنة . ولا يخفى ان للعادة تأثيرا في جميع الاحوال خصوصا في المنطق والالحان. (٢)

وهو كثير الاعتزاز بلغة الغناء، كثير الافتخار بانارها وصفاتها :

" ثم ان بقاء اللغة العربية في جزيرة مالطة ولا محرفة مع عدم تقييدها في الكتب دليل على مالها من القوة والتمكن عند من تصل اليهم من الاجيال . الا ترى ان مالطة قد تعاقبت عليها دول متعددة ودوا لو يحملون اهلها على التكلم بلغاتهم فلم يتهنيا لهم وبقوا محافظين على ما عندهم منهم (٣) خلفا بعد خلف. (٤)

والشدياق يعتمد الاسلوب العلمي في هذا الكتاب ويتجلى ذلك في ترتيب الفصول وجمع المعلومات وتنسيقها ونقدها . وهو لا يكتفى باخذ الرواية كما هي بل يحاول اذا بدا له اى شك فيها ان ينقدها كقوله :

ومن ذكر حكومة مالطة من الشعراء الاقدمين اميروس واوقيديوس ويفهم من كلام الاول ان القبيلة التي يقال لها الفياكس هم اول من استوطنوا هذه الجزيرة وكانوا ذوي قوة وبأس ثم خلفهم الفينيقيون وهم من جهات صور وصيدا وذلك سنة ١٥١٩ قبل الميلاد وكانوا اهل سعى وكسب وتجارة فلبشوا فيها نحو اربعمائة وخمسين سنة حتى تغلب عليهم الاغريقيون ثم سلموها للقرطاجنيين وذلك نحو سنة ٥٢٨

(١) ص ١٠٠ (٢) ص ١٠١ (٣) هكذا في الأصل درجاء صوابا "منز" إشارة الى لفظة لمصرية (٤) ص ١٠٢

قبل الميلاد ثم جاء من بعدهم الرومانيون في سنة ٢٨٣ من التاريخ المذكور فانقروا فيها احكامهم وسننهم واعظم ما حدث في دولة الرومانيين مما لا ينبغي ان يهمل ذكره قدوم مار بولس وانكسار السفينة به وبمن كان معه وذلك سنة ٥٨ للميلاد في عهد القيصر طيباريوس في موضع يقال له الان خليج مار بولس ومنذ ذلك الوقت تنصر اهل الجزيرة ثم بعد انقراض دولة الرومانيين منها استولت عليها قبيلة الفندلس ثم القوت ثم تغلب على هؤلاء البلياريون وطردهم منها والحقوها بحكومة البلاد الشرقية وبقيت كذلك الى سنة ٧٨٠ فاخذوا في هضم الرعية فقاموا عليهم وسلموا الجزيرة للمسلمين . قلت ذكر في كتاب الجمع والبيان في اخبار القيروان ان مالطة فتحت في ايام ابي الغرائيق محمد بن احمد بن محمد بن الاغلب توفي سنة احدى وستين ومائتين وانما لقب بالغرائيق لانه كان مشغوقا بالصيد روى انه بنى قصرا في السهلين لصيد الغرائيق انفق فيه ثلاثين الف دينار فكفى بهذه الكنية وكان في غاية الجود الا انه غلب عليه اللهو والطرب والاكل والشرب ولم يزل مقيما على لذاته طول عمره انتهى فعلى هذا فلا معنى لقول المؤلف وسلموا الجزيرة للمسلمين . .^{١٥}

وهو ينتقد رأى مؤلف الكتاب الذي نقل عنه في لغة مالطة ويحاول ان ينقذ آراءه ويجرحها تجريحا علميا :

" قال اما لغة مالطة فذهب بعضهم الى انها عربية فاسدة وذهب اخرون الى انها فينيقية لان اليونانيين بعد ان فتحوا الجزيرة لم يخرجوا منها الفينيقيين بل ظلوا فيها آمنين محافظين على لغتهم وما برحت مستعملة حتى بعد استيلاء الرومانيين عليها وانما لم تتغير في مدة القراطاجنيين لان لغة هؤلاء ايضا كانت فينيقية ومع ان داب الرومانيين كان حمل الناس على التخلق باخلاقهم والسلوك بسننهم اينما ملكوا فلم يجبروا الرعية هنا على التكلم بلغتهم والدليل على ذلك ان الرومانيين الذين كانوا مع مار بولس سموا العالطيين بربرا ولم يكن يطلق هذا الاسم الا على من جهل اللاتينية واليونانية قال ثم بقيت في دولة المسلمين ايضا ولم

تتغير وانما دخل فيها بعض الفاظ اجنبية ويؤيد كونها فينيقية مشابهة بعض الفاظ
 منها للغتنا نحو بير وصيد فانهما في الفينيقية بروضد وغير هذا كثير ما له لفظ
 واحد ومعنى واحد في كلتا اللغتين والحاصل ان مأخذ اللغة المالطية من الفينيقية
 ارجح من ان يكون من العربية وان كانت قريبة من هذه ايضا . قلت دليله هذا
 اوهى من بيت العنكبوت فان البير والصيد ينطق بهما في لغتهم كما في لغتنا سواء
 ما عدا موافقتهم في تصريف الافعال والاسماء وفي الضمائر وغير ذلك من اساليب
 الكلام كما سيأتي بيان ذلك . ومن الغريب ان المؤلف لا يعرف الفينيقية ولا العربية
 ولا المالطية وان كانت لغته ويتعذر للحكم والاستدلال فكيف يحكم على شيء وهو
 يجهله وكيف يقول اولا ان لغة المسلمين بقيت في اهل مالطة لمدة الالتحام الذي
 كان بين الفريقين ثم يقول الان انها فينيقية لمجرد وجود كلمتين فيها وانما حملها
 على هذا بغضفه وبغضة اهل بلاده للعرب وتبرئة انفسهم انهم ليسوا منهم بل من
 الفينيقيين اذ كان هؤلاء كما ذكر ارباب جد وتجارة والعرب عند اهل مالطة كناية
 عن الهمج وذلك لجهلهم التواريخ ولانهم لا يرون الان الا صعاليك المغاربة
 والظاهر ان المسلمين الذين فتحوا مالطة لم يكونوا من اهل العلم والتمدن كالذين
 كانوا في صقلية وغيرها (١٠)

وفي بعض الاحيان نراه يقارن بين الاخبار والروايات كقوله :
 "واذا ضحيت الى الخلا" وجدت بين كل حقلين جدارا عاليا لحجز رؤية ما
 دونه فابن هذا من سهول فرنسا وانكلترا البادية للعين على نضرتها وريعها
 وعلى كثرة ما فيها من اكادير الغلال والعنب من دون ناصور يحفظها او حائط
 يسترها (١١)

ومن قبيل ذلك قوله :

"ومن استأجر دارا فلا بد وان يدخلها مبيضة مصبوغة المنجور . وصبح الخشب
 عادة حميدة فانه ابهى للنظر وابقى للخشب وقد تظهر به الدار بهية في الخارج
 وربما كان داخلها بخلاف ذلك وهي عكس العادة عندنا فان خارج ديار مصر والشام

مظنة للحمية مع ان داخلها منقور مزخرف وسبب ذلك ان الحكام في السابق كانت ايديهم ممتدة لاحد اموال الناس فلم يكن احد من الرعية يتظاهر بالغنى لا في بناء ولا في لباس. (١٤)

وهو يذكر الارقام والتواريخ ويورد الاحصاءات الدقيقة ويتتبع الاخبار في ابحاثه حتى تكون محيطة وافية . ولكن رغم هذا كله ، ورغم محارلته ان يقلد اساليب التأليف الحديثة ، لا يخلو كتابه من الغوضى والتشوير في بعض المواضع والفصول فمثلا نراه لا يقسم البحث الى اجزاء صغيرة ، فيتكلم عن الجغرافيا والمناخ والتاريخ في فصل واحد دون تقسيم او ترتيب . كما اننا نراه يكرر بعض المعلومات والاخبار . ويذكر بعض معلومات الفصل الاول في الفصل الثاني . كما انه يستطرد في بعض احيان فيترك البحث لفائدة لغوية او ادبية او تاريخية ثم يعود اليه وهكذا . (١٥)

واسلوبه في هذا الكتاب عموما سهل يشبه الى حد كبير اسلوبه الصحفي الذي تحدثنا عنه في الفصل السادس من هذا الكتاب ، وهو الاسلوب شبه العلمي الذي تكون الالفاظ فيه على قدر المعاني والذي يؤدي الافكار والحقائق بدقة وتحديد واستقصاء وسهولة ووضوح . وهذا لا يعني انه كان جافا لا حياة فيه ، بل اننا نلحظ فيه الكثير من الحيوية مما لا نجده في الكتب التي تشبهه .

٣ . كشف المخبا عن فنون اوروبا :

وهو تقرير مفصل عن سياحته في اوروبا تحدث فيه عن جغرافية البلاد وتاريخها ووصف تمدن اوروبا عموما وخصم البحث بانكلترا وفرنسا ، وكان ينقد تمدنهم ويميز الحسن من السيء والجيد من الرديء .

وربما كانت غايته الاولى من تأليف هذا الكتاب هي ان يقدم لبني حنسه ملاما من التمدن الحديث ، محبذا الطيب ليقتردى منددا بالرديء ليتجنب . وهو يشير الى ذلك بقوله في مقدمة الطبعة الثانية :

"فان تبهية الامصار الاسلامية اشهى اليّ والله من كل امنية كيف لا وعن المسلمين كان اخذ التمدن والفنون في العصر الفواهر، وكانوا قدوة في جميع المناقب والمفاخر والمحامد والمآثر . وهذا التفكر والاسف والتفكير المستأنف، كثيرا ما حملني على الاضراب من التأليف لعلمي ان كلامي فيه لا يكون الا دون التأديف والتعريف . واني لعلمي ان يدرك جميع ما عند اولئك الناس من الاختراع والاحداث والابداع . الا ان رغبتني في حث اخواني على الاقتداء بتلك المفاخرة هي التي سهلت عليّ هذا الخطب واصالت باي القاصر ."^(١)

وهذه ايضا حلقة جديدة من حلقات سلسلة الاصلاح التي يكثر حديثنا عنها في هذا الكتاب .

وهذا المؤلف كسابقه مليء بالفوائد التاريخية والجغرافية والادبية واللمعية مما اختبره المؤلف بنفسه وما قرأه في الكتب والصحف والمجلات ومن هذه المصادر كتاب جيون^(٢) في قيام الامبراطورية الرومانية وسقوطها وكتب فلتير^(٣) وماكولي^(٤) وكولدسميث^(٥) والفيومي^(٦) . ومن الصحف التايمز^(٧) واخبار العالم^(٨) وسواهما^(٩) .

وينتهي الشدياق في هذا الكتاب، كما فعل في سابقه، الاسلوب العلمي . وهو لا يميل في اخباره الى طرف دون طرف، بل يقول الحق ولو على نفسه . وقد اشار الى ذلك بقوله :

"وليكن معلوما عند القارئ والسامع والداري اني في كل ما وصفت به الانكليز والفرنسيين وغيرهم من اهل اوروبا لم يمل بي هوى ولا غرور بغضا او حبا . ان ليس لي حذل مع احد منهم ولا ضلع، ولا انحراف ولا ميل ولا ضر ولا نفع . وانما رويت عنهم ما رويت، وحكيت ما حكيت بحسب ما ظهر لي انه الصواب . فلا ينبغي ان يحمل قولي على ضعف او اعصاب . واعوذ بالله من ان انجر الناس اشياءهم، فاتعمد القول فيما شانهم وساءهم . الا انه لا ينكر ان الانسان محل النقص

(١) مقدمة الطبعة الثانية ص ٤ (٢) ص ٧٤ (٣) ص ٧٤ (٤) ص ٧٤ (٥) ص ٧٤ (٦) ص ٧٤ (٧) ص ٧٤ (٨) ص ٧٤ (٩) ص ٧٤
(١) ص ٧٤ (٢) ص ٧٤ (٣) ص ٧٤ (٤) ص ٧٤ (٥) ص ٧٤ (٦) ص ٧٤ (٧) ص ٧٤ (٨) ص ٧٤ (٩) ص ٧٤

ولم يتفقد الشد باز في هذا الكتاب بأساليب التنسيق العلمي ، فاننا نرى فيه

الكثير من التشويز والاضطراب والاستطراء^(١) وإهمال وضع المواضيع في أماكنها المعينة

وهنا اودع القارئ وعبراتي منحدرة وزفراي متصاعدة واعده وعد من

بمراعي قديم الصحبة وبحفظ اكيد الثربة بالي اصول له باريس عند استقرارى فيها

اتم وصف . من دون اسباب ولا حذف . فاني جعلت هذه الرحلة مرتبة على الاوقات

واخليتها في الحملة من الانتظارات. (٤)

وربما لواد الشدياق بهذا الاستطراد ان يرفه عن القارىء فلا يجعله يشعر

بالسامة والملل ، كما فعل الجاحظ في حيوانه ، وقد اعتذر عن ذلك بقوله :

”قد عرفت - والله الموفق - اني اوشح هذا الكتاب وافضل ابوابه بنوادر

من ضروب الشعر وضروب الاحاديث ليخرج قارىء هذا الكتاب من باب الى باب

ومن شكل الى شكل . فاني رأيت الاسماع تمل الاصوات المطربة والاغاني الحسنة

والاوتار الفصيحة اذا طال ذلك عليها ، وما ذلك الا في طريق الراحة التي اذا

طالت اورثت الغفلة . واذا كانت الاوائل قد سارت في صغار الثب هذه السيرة

كان هذا التدبير لما طال وكثر اصرح . (٤)

عرف الشديا و ذلك ، فاقدم على الاستطراد غير هيباب ولا وجل ، يوشى بها

الابحاث المملة ، وفي اكثر الاحايين ، بطرف لغوية ^(٤) وادبية ^(٥) وقصص جميلة ملذذة ^(٦) يساعد ،

على ذلك علم غزير واطنوع واسع^(١)

اما أسلوبه في الكتاب فانه يرتفع فنيا على أسلوبه في الوساطة ، وفيه الكثير

من الطلاقة والمرح والندعية . ولكنه مع هذا يحتفظ بصفات الاسلوب العلمي من

الدقة والسلاسة والوضوح ولا يسمو الى منزلة "الساو على الساق" .

1096 1076 1006 976 946 916 886 856 826 796 766 736 706 676 646 616 586 556 526 496 466 436 406 376 346 316 286 256 226 196 166 136 106 76 46 16 10 6 3 1 0 (1)

[illegible]

$\frac{d}{dt} \left(\frac{1}{2} m v^2 + U(r) \right) = -\nabla U(r) \cdot \vec{v}$

الفصل الرابع

الناظم

ويتناول انتاجه في النظم بالعرض والتحليل والدراسته

ليس بين يدينا من شعر الشدياق سوى ديوان شعري واحد هو الجزء الثالث من "كنز الرغائب" وهو يحتوي على بعض القصائد التي نظمها صاحب الجوائد بالاستانة وهي التي ادرجت بالجوائد^(١) وفيما عدا الديوان نجد له اشعارا مفرقة في "الساق على الساق" و "الواسطة" و "كشف المخبا" والجزئين الاول والثاني من "كنز الرغائب" وفي بعض الكتب التي ترجمت له .

ويذكر زيدان^(٢) بين كتبه التي لم تطبع ديوانا من الشعر يشتمل على اثنين وعشرين الف بيت ويتألفه في ذلك الكونت طرازي^(٣) ويضيف بولس مسعد على ذلك انه راجعه سنة ١٨٨٢^(٤) . وبين يدينا مقدمة مطبوعة لديوانه هي "مقدمة ديوان احمد فارس افندي صاحب الجوائد" ويقول عنها انها مقدمة لديوانه "المغنى في كل معنى"^(٥) وقد ورد عنها في دائرة معارف البستاني :

"وله ديوان شعر كبير صدره بمقدمة على اسلوب جديد شائق طبعها في آخر حياته وقد اهدى اليها نسخة منها فالفيناها فريدة في بابها تتضمن نقدا للشعر لم يجز عليه احد من كتاب العرب ولم يشاء ان يذيعها قبل الفراغ من طبع الديوان ولكن المنية حالت دون مراده"^(٦) .

هذا ما عثرنا عليه بشأن هذا الديوان والذي ربما ضاع او احترق او سقط في يدي احد ورثته . وقبل ان نتقدم الى عرض شعره نود ان نشير الى ان دراستنا هذه له لن تكون رافية شاملة لانها تقتصر على جزء صغير من شعره واكثره من الشعر الرسمي شعر المناسبات والذي قلما تظهر فيه الشاعرية الحقة والذي يتقيد في الاكثر بما تواضع عليه اهل العصر من الصاليب النظم .

ثم الدنيا وشكوى الزمان :

لا نعرف شاعرا في ادبنا كالشدياق خسر الدنيا وما فيها من ضروب البؤس والشقاء وما هي علي من تقلب اودوران ، يشعر عذب ضاف في رباعيات بلغت ما يقرب من الاربعائة والخمسين بيتا ،

(١) الصفحة الاولى من كنز الرغائب ج ٢ (٢) تراجم مشاهير الشرحه ج ٢ ص ١٤٠ (٣) تاريخ الصفاة ج ٢ ص ٩٦ (٤) فندس الشدياق "بولس مسعد ص ٥٥ (٥) عثرنا عليها في المكتبة الشرقية في بيروت وهي مطبوعة في المطبعة الجوائد وفيها بعضه آراء منقولة في النقد اللغوي للشعر (٦) مقدمة لديوان ص ٢٩ (٧) دائرة المعارف ج ١٠ ص ١٠٠

ضعفها خلاصة تجاربه في الحياة وتمسكاته بالافراد والجماعات^(١) . ولا بناه اذا قلنا ان
ان هذه الاشعار التي عبر فيها الشدياق عن تالمه في الدنيا وشكواه من الزمان وتضييقه
هي احسن ما قرأناه له من الشعر . امامها تصغر هجاؤه ، وان كان ملكة من ملكاته
التي خصه اليه الفن بها ، وكذلك يتخالف وصفه للنساء وتشبيهه بهن ، مع انه كان يرى
العالم كله في امرأة ، ورغم انه خسر هذا الجنس باكثر ما كتبه من الشعر .

شكا الشدياق من الدنيا ، وما اكثر ما شكا منها شعراء العرب قبله وبعده .
وشعراء العالم - مع فالدنيا اذا نظر اليها ذوو النجوم الحساسة لا يبرز لهم فيها الى
كل ما يسي . وما يحزن . " ولقد تبلغ الشكوى في شعر الشاعر مبلغها فيقتهم الزمان
بملاأة الاسافل ومحاربة الافاضل والعمل على نشر الفساد بين العباد . ولا غربة
فالشاعر بطبيعته حاد الشعور شديد التأثر بالسيئات ، وهو كاهل الفن عموماً لا يرى
من انصاف في معاملته الناس له وفي تقديرهم اعماله . وذلك اما ان يدقعه في سبيل
التشائم فيندم الحياة وما فيها ، واما في سبيل الاعتزاز فيدل بنفسه ومآتيها ، ويصور لك
من محامده ما يحجب اليك صفات الامجد ويظهر لك بتغنيه بالمكارم والمحامد^(٢) .

ولقد رأى الشدياق في الدنيا ما رآه فيها عنقرة من محاربة الافاضل والتشجيعان
وما رآه المتنبي من وقوفها في سبيل طموحه الى المجد والرياسة ، ومن وضعها الاسافل
في مواضع الامجد ، وما رآه المعري من انها خداعة مأكرة متقلبة لا يطمئن اليها الا
الجاهل الخائض ، الذي لا يشعر بجورها ، او المتقلب الذي يتصف بصفاتهما . وما رآه
الطغرائي وابن سناء الملك والبارودي وحافظ ابراهيم ورشيد سليم الخوري وابو ماضي
والزهرراوى والرصافي والنحفي وسواهم . ولا يخلو ذمة لها من التقليد والتأثر في بعض
المعاني والقوالب ، الا انه صبغها بصبغة روحه فجاءت كأنها نغفات دم من فؤاده او
قطع نار من كبده .

ثم الشدياق الدنيا لانها ضيقت عليه الخناق ، كما ضيقته على سواء :

كقابي القوم	قطر	دنياي	ضيقت	وقصرا
فليس غرو اذا	ما	اصبحت	كالمهم ضمراً ^(٣)	

(١) قد يكون بين هذه الرباعيات ورباعيات الزهاوي شبهة عظيمة وذلك لظهور في الواح البؤس والشقاء
ص ٢٤ (الرباعيات) وفي (الكون والحياة) ص ١٠٠ ، الدائم يصرف في تصريف الشدياق (٢) الخنارات
الائرة للقدسي ص ١٦٦ (١٩٦٦) (٣) الديوان صفحة (٨) كنز الرغائب

ومن هذا الضيق ما هو مادي :

زعموا الدنيا مدورة تشبه الدينار والدرهم
قلت اذ فانت ثلاثها ناظري ولم ادر ما يزعم^(١)

ومنه ما هو معنوي ويظهر في اعتراضها بينه وبين ما يستحقه من درجات المجد والرئاسة؛
وهذه الدنيا لا تثبت على حال ، فلذا يجب الا يطمئن اليها العاقل :

لا يغررك من دنياك حـــــــــال ذو ثبوت
انما اثبت حليها كـــــــــــــــــيـــــــــــــــــت العنكبوت^(٢)

وهذا التقلب الظاهر في تصرفاتها يتجاذبه بين طمع في اقبالها وبأس منه .

اذا فكرت في دنياى يوما ذهلت عن الكلام وصرت عبا
تقنطني فالفي الحيت ميتا وتطمعني فاهجو الميت حيا^(٣)

وبنو الدنيا ليسوا احسن من امهم . انهم صورة عنها :

ومن محسن الدنيا عداوة جاهل تفتح بالدعوى وفي فيه ريح
اصم عن البرهان اعى عن الهوى فهل مثله تبغي له الخير او ترجو^(٤)

وهم لجهلهم ، غافلون عنها ، ساهون عن تقلبها ، مطمئنون اليها :

بنوا الدنيا اتوا امرا قبيحا بان كلفوا بامهم غراما
لذلك قابلتهم بالرزايا فكانت ما حيوا لهم لزاما^(٥)

وهم كذلك يسوون بعاجلها ، ولا عجب في ذلك فقد خلق الانسان عجولا :

من سره عاجل الدنيا فسوف يرى ما فيه مشجبة في ساعة الاجل
لا غرو ان كان منهوما بعاجلها فانما خلق الانسان من عجل^(٦)

والجوائب التي كانت خير دعاية لعلم الشدياق واكبه ، والتي كانت ينبها للبركة

والخير ، لم تعد حسادا كانوا يقفون لها بالمرصاد ، ويترقبون تربيها في خطأ سياسي

(١) الديوان ص ١١ (كنز الغائب ج ٢ ص ٨٠) (٢) كنز الغائب ج ٢ ص ٨٠ (٣) ص ٨٥ (٤) ص ٥٧ (٥) ص ٥٥

او لغوى ، لتقوم قائمتهم عليها وتثور ثائرتهم على صاحبها . وقد اشرنا الى ذلك في الفصل الخامس من هذا الكتاب .

وقد دفعه ذلك الى نظم كثير من الشعر الهجائي في اعدائه واعدائها كصاحب برجيس بارس ، سليمان الحريري ، واليازجي الابن وسواهما . كما انه بث تدمره مما تجره عليه من الويلات في شعر كثير . فقد كان عندما اصدرها متخوفا من النتيجة ، خاف ان لا يهادنه الدهر ، كما امل عندما قصد السلطان ، وخاف ان تتحطم آماله المعراض التي بناها على زيارته للاستانة على صخرة الحسد والخصومات فيظل نجم سعدة في هبوط :

لقد طفت في الدنيا على غير طائل فلما بدا عجزى انبت جوابي
فيا ليت شعري ، والنوائب جملة ، ايفق كل من منيب ونائب^(١)

ولكنه اصدرها وكان شجاعا ، فلقبت بادي الامر عقبات واشواكا ككل مشروع ضخم عظيم :

تجوب جوابي الدنيا ولكن تروى ولم ترد عنها جواب
فهل خفا حنين عائقها . والا صار مغنمها الا ياب^(٢)

ولبعض لها النجاح ، كان عليه ان يكرس لها نصيبا كبيرا من وقته وجهده ، فكانت بذلك نبض حيويته :

بي شكا * من الجوائب لكن من شقا الدنيا شكائي امز
من يرم ان يجسر نبضي ليدري ما اعانيه فالجوائب نبسفر^(٣)

اما مصائب الدنيا التي اصطلحت عليه لا نهاده ، فكانها لما رات انتشار جوائبه خافت على نفسها منها ، وخشيت ان تفشي اسرارها للناس فيعرفوها على حقيقتها .

قد زادت الدنيا على عداوة لما رات في الارض جوب جوابي
فكانها جاءت عليها ضرة تفشي معايبها لعين العائب^(٤)

(١) كثر الرنائب ج ٢ ص ١١ (٢) ص ١٢ (٣) ص ١٥ (٤) ص ١٩

وقد تغلبت عليه وعلى جوائبه ظروف مختلفة ، بعضها ضيق عسر :

على سطح ذى الدنيا اراني نقطة
وقد اعجب المنقاد - جمع جوائبي
وبعضها يتراجع بين العسر واليسر :

ومن عجب الدنيا اختلاف جوائبي
ففي البرد كانت ذات ريع وكنت ذا
وشأني اذا ما عفا البرد والحر
فحول خواني الحر فانعكس الامر^(٤)

وقد يمتزج هذا البكاء المر بالدعابة الحلوة تصدر عن روح الشاعر التي فطرت على
حب الفكاهة والمرح ، واكثر ما قاله من هذا القبيل كان يدور حول معشيقه البيتية وما كان
فيها من عسر وشدة . قال يصف البعوض ومضايقته له في نومه :

يدندن لي البعوض اذا رأي
فتبتدر الكلاب مجاوبــــــــــــــــات
وقال في البراغيث :

يا ليلة ما اسفرت عن صباح
بت بها اغزى ولغزى وما
من البراغيث الصراع الكفاح
لدى الا حد ظفري سلاح^(٥)
وقال في البق :

يا ليلة لم تذوق عيني بها سنة
مثل القصور على جسمي مرصعة
اجاهد البق افرادا وازواجا
حتى الى خاتمي الفين منسهاجا^(٦)
وقال يصف اثاث بيته :

غدا بيتي كثير الغرر لما
فلا عجب اذا ما قلت يهو ما
تهلhel فيه نسج العنكبوت
لكيد الناس اني ذو بيوت^(٧)

(١) لئلا الرغائب ٢٤٠ ص ٤٤ (٢) ص ٢٢ (٣) ص ١٥ (٤) ص ٢٠٧ (٥) ص ١٦٦ وخصرتنا
في هذه المطاوعة ابيات لا عهد الصافي النجفي نلحق منها الردح السهياضية التي ظهرت في شكوى
الدهر وذم الدنيا (راجع فخرقة الشاعر - الاسوانج ص ١٤)

الا انه رغم هذا كله واثق من نفسه مؤمن في خلوده :

كأنني غلطة الدنيا فدهرى يحاول كل يوم محو رسي
وهبه محاء اعنائنا وضيقا فهل في وسعه ان يحواسمي^(١)
وقد استفاد الشاعر من تروسه بالدنيا وباحوالها المختلفة وبتدريقاتها المتباينة ، تجارب
واختبارات عرضها لنا في ابيات تدل على تعمق واحاطة في معرفة الحياة والناس ، وهو
يعترف بذلك قائلاً :

من لم تعلمه دنياه فما هو من دراسة الصحف الاولى بمعتبر
فمن صروف الليالي منتهى عبر وفي التجارب ما ينمي عن الخبر^(٢)
ومن امثلة حكمه قوله :

كأنني بالدنيا تقول لجاهل تبجح على امن بما بك من جهل
فمن اجل هذا اصبح الجهل عدة لكل لئيم رام حرب اولي الفضل^(٣)
وقوله يشكو الناس :

شكوت من بالدنيا لقالت ظلمتني فقلت ومن اشكو فقلت من الناس
فقلت فهم يشكونني ان شكوتهم فقلت اذا قالصت للمبتلي آسي^(٤)
وقوله يذم الجاهل الذين تصفو لهم الحياة ، واصفا نفس التجربة التي مر بها المتعب^(٥) :

ما عاشر في الدنيا سوى جاهل عن غامض من كيدها غافل
ينظرها قد اعجلت خيرا له فلا ينظر في الآجل^(٦)
وقوله :

من لم تخدره دنياه بغبرتها فلن يكون اذا خدرته يقظا
ليس الذي وعظ الاقوام ذا رشد بل الذي سمع الانذار فانتعظا^(٧)
وقوله مناديا بوجوب الجراة والاقدام في الحياة لنيل الاوطار :

(١) كنز الغائب ج ٢ ص ٨ (٢) ص ١٠٥ (٣) ص ٤٤٤ ايضا (٤) وذلك في بيته
تضمنوا الحياة لجاهل ادغاض فما مضى منها وما يتوقع
(٥) ص ٤٧ (٦) ص ٥٧

لا ينال المجد من رهبا وعن النار يلي الحجا
غالب الاوطار تظهر بها انما الدنيا لمن غلبها^(١)

وقوله في قلب الدنيا :

في مخبر الدنيا لذى حـجـر لسان قائل
كل نعيم زائل وكل حال حائل^(٩)

وقوله يصف تقلب الناس في الحياة :

الناس في الدنيا على
لكنما اهواؤهم

رای اذا هم
شتی اذا هم

اعصروا
ایسروا (۷)

وقوله فبيننا اثر المصائب في تكوين شخصية الانسان :

فلا تحسبن التاج وهو مرصع ترفع قدرا قبل ان ادخل النار
 ولا تحسبن الدر وهو منظم غلا قبل ان خاض الفتى ابصارا^(٤)
 الى غير ذلك من الاقوال الحكيمة التي يجرى اكتيها مجرى الامثال .

وكانت هذه الشكوى تفتن أحيانا بهجاء خصومه ومن ذلك قوله في هجاء سلمان
الحريري صاحب " برجيس باريس "

سألت دنيائى متى	يبتغي	فعلك هذا العائل	العائل
قالت متى اقلع عن	غيمه	برجيس باريس او	الخابلي ^(٥)

وقوله :

اقول لدنياي كفي الاحسن وهذا البلاء وهذي المحن
فقلت كفاني اني بها تخبطت برجيس لما مجن^(٦)

وقوله :

ایا قوم انظروا ماذا یسلّیون
ولو حرّ بلیت به ولكن

به جور الزمان وما
تعالوا وانظروا بمن

دھاتی
ابتلائی^(۷)

(١) كنز الغائب ج ٢ ص ١٥٥ (٢) ص ١١٠ (٣) ص ١١١ ونيلسوه معنى هذا البيت على حياه

تمام الانطباع (٢) ص ٢٠٦ (٣) ص ٩٠ (٤) ص ٧٠

ومن هذا القبيل ما قاله في هجاء المعلم بطرس البستاني . ومجلته الجنان . اذى كان
بناصر ابراهيم اليازجي في خصوصته له .

كأبدت من زمني كوارث جمّة وأمرها في مرها شتان
لغة الجنان اذا هذت في مدح قارى لغوها وسياجة البستاني^(١)
كما انها كانت تفتن احيانا بالمدح . نحو قوله في مدح الخديو اسماعيل :
اذا ما ساد في الدنيا امير فاسماعيل اعلى منه قدرا
به مصر ازدهت وزكت فارخ بميلاد الخديو بر مصرا^(٢)
وقوله في مدح السلطان :

زعموا الدنيا عنا سا ينجلي
قلت كلا انما مرآتها
فيه ما في الكون من شيء حسين
هي مرضاة امير المؤمنين^(٣)

هذا عرض سريع لشعر الشدياق في ذم الدنيا . ونحن على مثل اليقين من ان هذا
التخصص في ذم الدنيا لا يضاهيه شاعر بين الاقدمين والحديثين . وقد كانت احاديثه
عنها . كما لاحظنا من الامثلة القليلة الماضية . احاديث من تجرع زعامها ولذع بنارها .
الا ان هذا التالم من الدنيا مر في ظورين . او تحلى في مظهرين :
الاول كان فيه يشكو من البؤس . ومن مرارة العيش وديق ذات يده . اما في الثاني فقد
كان يشكو من النعمة ز يشكو من الحساد الذين كانوا يظهرون له البغضاء ويهاجمونه
وجوائبه وادبه .

الهجاء :

الهجاء هو فن البغز والازدراء . ولكنه كان عند احمد . كما كان عند معظم
الشعراء العرب . فن وسباب بينه وبين الفن الحقيقي . القائم على السخرية والتعريض
بون شاسع . وقد كان عنده ذاتيا . يتعمد فيه . في الاكثر الى صفات الشخص الظاهرة .

(١) كنز الغائب ج ٢ ص ٢٠٦ (٢) ص ٩٢ (٣) ص ٦١٥

في حين يهمل المكونات الأساسية لشخصية المهجور . والمعارك المجائية في ميدان الشدياق خاطفة وفاضلة . وشعره في الهجاء من احسن ما قال . فهو يخلو من اكثر معييات شعره ، من الحشو والتكرار وانتقليد . وهجاؤه يبرز لنا في طورين : الاول : قبل اتصاله بالسلطان في الاستانة منذ طفولته في لبنان الى حياته في مصر ومالطة واوروبا . وقد لقب مرة بابي دلالة ، لمشابهته للشاعر العاجن زند بن الجون المتوفي سنة ١٦١ هـ ، الذي اشتهر بظرفه ولطف هجائه . وكان ذلك على اثر هجائه لقوم من الدروز في قصيدة وصف فيها شراحتهم في الاكل ومنها :

في كثر كل منهم سكينسه وسلاحه الماضي فاين المطعم^(١)
وكانت مواضع هجائه تسير احواله في تلك الفترة . وكانت على قلتها ، متنوعة . فقد هجا رجال الدين وكتبهم وما فيها من اخطأ وركاكه^(٢) ، واتخذ الهجاء وسيلة للدعابة والمفاكهة كقوله في هجاء اهل مالطة :

لثام اذا ما زرتهم في بيوتهم كرام اذا زاروك ما امكن اللحس
ولو وسعت افواههم غير ما بها لكان لكل لين بانيه^(٣) فاس^(٤)
وقوله في هجاء جاره فيها :

لجاري يغفر اللهم وذن التوى منتهى حد
فلا شي اسهل من ولا شي اصعب من سد^(٥)
فتحه

وقوله في هجاء الانكليز في مالطة :

اذا زرت ارحبهم دارة
يخلق ابوابه ان نوى
ومن كان فيهم له خادم
اذا تنبوا كرسبه
يرى انه محسن مفضل
توهم غولا قد اغتالها
فطورا ويحكم اقفالها
يظن المعالي قد طالها
وثبك من زجه حالها
وان المآثر قد نالها^(٦)

(١) ذكر في مقدمة الديوان ص ١٢ انه اكثر شجوه في هذه الفترة صناع (٢) السام ص ١٢ ص ٢٦ (٣) (٤) (٥) (٦) الواسطة في احوال مالطة ص ٢٥ (٧) الواسطة في احوال مالطة ص ٤٩

وقوله في لغة اهل مالطة :

وتكابة عين بلا	انسان	قراءة	تبا لها لغة بغير
ويكل عنها كل حد لسان		تركيبها	تتبلبل الالباب في
فسدت واسطها من الطليان ^(١)		عريسة	اذنابها ورووسها

وقد هجا بارس في نظيدة طويلة تقع في سبعة وستين بيتا فيها من الدعاية وخفة الروح الشيء الكثير . وقد قالها في معارضة قصيدة له في مدحها . ومن هذه المهجاة قوله :

زبانسة سكانها ام فرنسيس	اذى عبقر في الارض ام هي بارس
والا لكل حين تخطر جاموس	وهل ذى نساء في مواحلها ترى
الى البال ان تبصر به ام بارس	وهل ذا شرار يجلب الهم في الدجى
تركعير ظالع ام مطافيس	وهل زلوة الدنيا ترى في هواج
شقيون في ساحاتها ومناحيس	نعم انها ماوى الجحيم وشاهدى
على سرر مرصوفة وتناجيس	وفسق وعلبون فيها فواجر
وشرب من الغسلين يسقيه ابليس	واكل من الزقوم يخبث طعمه
كان لها فوق الخبائث تاسيس	واعمدة تلقى الشياطين عند ما
وتعسا لمن فيها له تاج تعميس	شقاء لمن منها تبوا منزلا
بها فانما عنها فهو للكوكب تنفيس	اذا شدة او كربة بك برحت
فيين المقامين اتحاد وتجنيس	وبرز عليها ان يفتك مبرز
فرويتها ياس لما هو محدودس	وان تك يوما طامعا في لبانة
وما تجتوى نفس وما نكره التسوس	بها ما يسوء العين من كل اربة
تفوق على ما خلفه وهو محسوس	وفي ذكر ما فيها يسوء اساءة
وللنوائرها الشر اجمع مبعوس	هي المنهل المسموم حتف لظامى
عبر بها الا المخاطر والبيوس	هي الخوف من كل الخطوب لما على
اناها امرؤ الا ومنها غدا في سوس ^(٢)	نعم هي في عين الزمان قذى فما

(١) الواسطة في مصرفة احوال مالطة ص ٥٧ (٢) الساحة على الساحة ٢٠ ص ٩٥

اما في الدور الثاني ، فان هجاءه ينحصر في دفع اذى خصومه وخصوم الجواب .
فقد كانت جوابه ، كما ذكرنا سابقا ، مصدر شر مستطير له ، اذ اثارت عليه نفرا من الحساد
تالبوا وجعلوا يتصيدون اخطاءه فيها ، فاضطر هو لان ينافع عن نفسه . وقد اتخذت
هذه المناقحة مظهرين : الاول وفيه يدافع عن نفسه بما عرف عنه من سلاطة لسان ومقدرة
على التصرف بلفظ القول ومعرفة محيطه باسرار الكلام . والثاني وفيه ترى نفة من كتاب
العصر تظاهره وتشد ازره وتحى ذماره لاسباب ذكرناها في مواضعها^(١) .

واكثر هذا الهجاء كان منصبا على صاحب برجيس باريس^(٢) وقد هجاء بقصائد بلغت
من القوة مبلغا عظيما ، نفتبس منها على سبيل التمثيل قوله :

في الناس من يتجنب التدنيسا	طبعما وآخر يشتهيه عطوسا
من شاقه استنشاق انتن جيفة	فليس البرجيس في باريسا
يا لوعة فتحت فانعم نتنها	كل الانوف وسامها تعطيسا
ابدا ترى الاقدار من فوهاتنا	مثل السحاب تراكما وعموسا
ناديت اذا عابنت مبعث خبثها	اين الانوف الانفات ديسا
اين الذي تعنيه صحة جسمه	فيجانب التدنيس والتجنيسا
اين الذي يبني سلامة عقله	فيباعد الفسافس والمالوسا
ما كان لي من بعد هذا الرزان	ارضى بقطر بثها تعريسا
اذ ما يقوم مقام انفى غيره	لو كان عندي الف جالينوسا
يا اهل باريس اذعوا ظريانكم عن	ذى الروائح واحذروا التدنيسا
لا تقربوها انها رجس لكم	تنفى الكرى او ثورت الكابوسا
عارعلى من شاع عنه الفضل ان	يرضى النقيصة او يرود خسيسا
يا معشر الافرنج ان انكرتم	خلق السعالي فانظروا العبريسا
يا معشر الادباء ذودوا العث عن	شمع الصحاح واخفروا القاموسا
غاروا على لغة لكم قد شانها	الحوشى ممن ينكر المانوسا ^(٣)

(١) راجع الفصل الخامس من هذا الكتاب ص ٢٧٤ (٢) راجع الديوان ص ٢٤٢ / ٢٨٢ / ٢٨٤ / ٢٨٧

(٣) كثر ج ٧ فضيه المزمع هجاء صاحب البرجيس (٧) كثر الى غائب ٢٠ ص ٤٨

ومن قوله يشير الى غلبة انصاره عليه :

وافاك سمع الفصح الحيدرى	قولوا لبرجيس الابل الحيدرى
وكذا من الحدباء بأس غضنصر	وافاك من بغداد ليث صائل
يذرون شأنك في المآب الاخسر	وافاك من كل البلاد ائمة
وتلاه سهم صائب مذ اشهر	وافاك نجم ثاقب من مصرها
يفتى بانك في ضلال اشهر	وافاك من بيروت حكم فاصل
ويتونس اسمك سدة في المنخر	في اللاذقية عرض لؤمك ظاهر
لك حرفة اذ كنت اسفه مفتر	علم الائمة كلهم ان الخــــنى
وعلاك بعضهم بسيف ابتر	فاناك بعضهم بسهم صائب
مستاجر عند الابل مسخر	انى الفخار لصارق مستهتر
لباء وهو يقول عبدك لأمير	ايان يركضه لشن عضيصة
نبش القبور فكان شر مبشر	نبش الخبائث طبعه اذ فاته
فاليوم ما للمسك من مستجير	لقى بها من كل جارحة لعة
ومغبرا او عرضة لمغبر	ما ان تراه الدهر الا خاتلا
او مركبا لموسوس ومغشمر	او مغويا وموسوسا ومغشمر
الحائر المنسكع المنصر ^(١)	ويلي على المرتد عن سبل الهدى

وقد هجا زميله المعلم بطرس البستاني لانه كان ينصر ابراهيم اليازجي في مناظرته للشدياق ، ولانه فتح له صفحات مجلته "الجنان" يرد فيها على خصمه ز ولاسباب أخرى ربما كان من الحسد الذى كان يبعثه التنافس بينهما على امارة القلم في القرن الماضي وما قاله فيه :

يحيث تعست افاك شر جان	الا قولوا لعائ في الجنان
وبدهون لسانك بالدهان	لانت هو المنافق والمراشي
ابعت القطر بشر الخصلتان	وزدت على التفاق الغبن لما

(١) لتز الرغائب ٢٩ ص ٨٧

فكيف يجوز بيع او شـبـهـا
وكيف اخذت درهمه حراما
ولولا الفخر لم تلبس قميصا
ولو كانت لك التقوى شعارا
لقد علم الطهارة بكل قطر
وانك ان سكعت غداة يوم
توى مرحا وتركز مقذ حرا
كانك ضفدع نقت بليـل
فلما بان ضوء الصبح شاخت
وهـر صائح في حال صحو
عهدتك قبل نهاقا ولكن
نبحت على من بعد وترجو
انطمع ان تبادهني بشر
فلا والله اني راسق في
فيخرج من فؤادك كل غش
واني جالب خيلا ورجلا
ستمضى كاس ذل واحـتـقار
وتدري ما اكتسبت من المخازي

على سفر تضمن كل دان
فيالك من خبيث مرقمان
ولم تقدر على طع الخوان
لما بعث الخنى بيع الجمان
بانك شر من لحر الاواني
لاكل السحت او بزل الدنان
وتكرف عند رؤيتك القفاني
وظنت صوتها نغم المناني
وخلت تننـها ملء المكان
بسـنو دائم في كل آن
اراك اليوم نباح الزمان
نجاتك من يدى على اسان
وتسلم من يرامى او لسان
حشاك بسهم هجو ذى سنان
ومكر واقتراء للعيان
عليك من الابعاد والاداني
وتلبس صاغرا ثوب الهوان
وتعلم ان شأنك غير شاني^(١)

الغزل

ليس فيما قرأناه من اخبار الشدياق ما يشير الى انه اختبر في حياته الحب
الصادق الذى يرفع النفس ويهذبها ، ويترك المحب هائما على وجهه ، يعاني من الحب
ما يعانيه المريض من السقام والمجنون من الخبل والصوفي من التنزه والسمو والاتصال
بالذات الالهية . اللهم الا اذا اعتبرنا بعض تجاربه الفجة الساذجة ، حين كان صبيا ،
من هذا القبيل رغم انها كانت تقصد للتلهي والعبث والاستطلاع . اما والامر كذلك^(٢)

(١) لنثر الغائب ج ٢ ص ٥٠٠ ، قصة غرامه في السابق ج ٢ ص ٤٠٠ وما بعدها

فليس لنا ان نبحث عن غزله بين طيات الحب الذى يسوو بالنفس او الهيام الذى هو تيار من الحرارة التي لا تخدم ، يتدفق من قلب ليصب في قلب ، او من عين ليصب في عين ، او من اختلاجة ليعانق اختلاجة ، فان ادبنا كان يحب الجمال عموما وواقره به الى قلبه ما كان اقرب الى الجنس ، ولهذا نرى الفارياق يحب حنف النساء عموما ويؤثرهن بشهوته دون ان يفكر في العاطفة ، ويحبهن للذة والمتعة ولا للتأثر والتدله . يحبهن بالجسد دون ان يكون منهن الى القلب سبيل . وهذا ما تختبره بانفسنا على صفحات الساق وفي ديوان الشعر . وقد يكون في شعره الضائع ما يخطي . هذا الظن ويرد هذا القول ، الا اننا نتقيد بما راينا ، ولا نرجم بالغيب . ونستطيع ان نقسم شعره الغزلي الذى قرأناه الى قسمين .

١ . الشعر التقليدى : وهو الذى لا ينظم نتيجة لاختبار عرامي مر فيه الشاعر ولكن لا اختبار فني عرقي ، وهو شائع كثيرا في مقدمات قصائد الشعراء الذين كانوا يمهدون بها لاغراضهم الشعرية . وقد شاع هذا النوع من الغزل في القرن الماضي حين كان الشعر يتكى على القديم .

٢ . الوصف الغزلي : وفيه يصف الشاعر النساء واحوالهن ويشكو في بعض الاحيان من صدهن عنه وهجرهن له ، تلك الشكوى التقليدية التي انت بها خناجر الشعراء منذ الجاهلية الاولى حتى عصر الانبياء . ونحن لا نلصق تارقا كبيرا بين هذين النوعين من الغزل وان اختلفت اغراضها وتباينت مآربهما .

والشدياق الذى عرفناه طبيا باحوال النساء خيرا بعاداتهن واخلاقهن ، متعمقا الى قرار نفسياتهن ، لم يستطع ان يفتل المرأة في شعره رنة وحي او الهمة الهام .
وانثر التقليد ظاهرا في غزله ، فهو يقف على الطلول وآثار الديار كما فعل القدماء ومن هذا القبيل قوله مدح الخورى غبرائيل جبارة .

قف بالطلول ان استطعت قليلا
ساروا وابقوا وحشة لعدوك دونها
طلل عهديت به الخلاعة والصبي
وجررت اذيالي ونهت على المني
وخلعت من نعم ولذات على
واحسرتاه متى يعود العيش في
لم يبق الا ذكر افراحي به
ان غيرت آثاره الايام ار
فيخاطري تذكاري متجسس
من بعض مشادي عليه الريح قد
تبدى الحنين به وانه ثاكل
تسفي تراب فناءه وكانما
عجبا وقد بلته منى عبدة
ام قدلات نكب الرياح بانه
ام مثل ميني اعين الجوزاء بانه
ما كدت ادرى رسمه لولا شذا
نوى الحبايب للمحب اغز من
وسوعة مع من تحب اجل من
قلبي السندل يصطلي نار الهوى
لله كم منه يعذب عاشق
لو رق من عشق كلام رتلا
او لو تداوى الناس منه بالبكاء
حاولت قلب القلب من علل الهوى
مني متى ابتداء الشوق كان وخته

واسال من الركب المغذ رحبلا
غصم النون وحسرة ونحوها
وشريت فيه سلسلا مضمولا
واقدت منها ما استعز ذبلا
اهل الهوى ما كنت منه ملولا
عرصاته والذ فيه مقيلا
ومضى كاس نعيمه مسبتولا
ان عطلت اعلامه تعطبلا
ولقد يظل بانسهم مأهولا
حات لديه بكرة واصبلا
فازيد فيه زفرة وعويلا
تهفو له لتحله الاكسبلا
ان صار فوق عنانها محمولا
اولى بان يشوى السما مقيلا
زهدت فتستفي به تكسبلا
عرف اليه كان منه دليلا
صرح لديه لا يصيب خبلا
دهر به تلقى اخاك عذولا
وسلوه العنقا عز وصولا
ولكم به يسى البرى قتيلا
الشقراء قولى في الدجى ترتبلا
لشفيت كل شج يبيت عبيلا
فاجاب انك قد ضللت سبيلا
بي لست عن دابي احول حولا^(١)

(١) السابق ج ٤ ص ٢٠٦ و ٢٠٧ ومنه هذا القصبي من حديث السماعين ص ١٩٩ (الريوان)
واللوز برؤا در با مشا ص ١٩

كما انه في بعض الاحيان يستهل القصيدة بالغزل متابعا الشعراء الامويين
وسواهم ، كقوله في رسالة ارسلها الى الشيخ ابراهيم الاحدب .

سروا والوجد في الاحشا باق	لما طرفي لغيرهم يهباق
والقنوي على مقلاة يابر	الاتي من اساء ما الاقي
فيا قلبي المعين على شوقي	ويا دمعي المعين من اشتياقي
الام تخا زمان على شفقاي	وبينكما سباج الصبر شاق
وحتام التعلل با لامياني	وما تشفى العليل من الفراق
نحبت من البعاد فما اساني	وطول اساء لم ينف اثرا في
وما رقا الدمايع طيب رجسو	وما ارجى الفواجع طب راق
ومن بك هره منه فاني	يرجى النفع من فرق السرفاق
ومالي اكتب الشكوى هلسوعا	ولي من فضل ابراهيم واق ^(١)

وشاعر هذا دابة يستهل مدحها وتهانيه بالغزل لا يمكن ان يكون غزله مما
يعبر عن عاطفة صادقة تغلغل في قرارة النفس، ولها في القلب تمكن واستقرار . وهذا
ما لمسناه في الامثلة السابقة .

اما عاطفته في قصائده التي افردتها للعصف الغزلي ، فقد كانت اعنى واقوى ، الا
انها لا تسمو كثيرا عن سابقتها . وعاطفته هذه تتجلى في شعره في الطور الاول حين
كان جائعا عطشا يأكل من فئات قلبه ويشرب من فيض دموعه والجوع والعطش للفنان
هي معين الوحي وربة الالهام . ولكنه ، حين شبع وارتوى في الاستانة ، قذف اليها
بهذا الشعر الذي اتخذ مطية للكسب والانتفاع . ونحن كما قلنا سابقا ، لا نؤمن
في وجود غاية للشعر تخرج عن العالم الداخلي للشاعر ، ومتى تنزعت هذه من الداخل
الى الخارج ، تردى الشاعر في هوة الفناء المحقق ، ومتى دخلت مادة الناس مادة الفنان
فقل على فنه السلام ، وقل على خلوده الف رحمة وسلام .

(١) أكثر الغائب ج ٧ ص ٦٧ ، ٦٨ ، وهذا القليل مدحه للوزير الحيدري ص ٩٩ ومدحه لمحبة
المصادر المصرية

وقال في كتاب اتاه من حبيبه ، وصف ما خلفه فراق الاحبة له من الام وانقال يعجز
دون تحملها :

اتاني كتاب من خليل منق
تنشيت وجدا ان تنشيت عرفه
فيا حبذا ذاك العبير وحبذا
الى الله اشكو ما لقيت من النوى
اقتت واحبابي ابروا وابحروا
فما زلت مذ بانوا حليف صباية
ففي قلبي الماسور اذخر الهوى
كثيب نحيل واجد متشوف
ولست بذى صبر فوؤمل اجره
وليس بمامون زماني على اللقا
احن الى لقياهم متلهفا
وان ذر قرن الشمس اوهمت انيا
فاني ارى فيها علامات حسنهم
اعلل قلبا بالاماني هائما
يطير اشتياقا بي اليهم وانني
ويخفق من ذكر اسمهم فكانها
واسكب دما كان يجرى بقرينهم
متى يجمع الله المحبين ساعة
ورب بعداد كان منه دوام ما
فلك اسرار يعز بيانها

على كل حرف منه حسن ورونق
ولم لا ومنه عاطر الورد يعبق
نسيم به نحوى التباشير يسبق
وحر جوى كادت به النفس تزهق
على غير ما اهوى وشغلي مفسق
اذا حان سجع كدت بالدمع افرق
ومن طرفي المسجور دمعي انفق
غريب عليل فاقد متشوق
ولست بذى سلوى اليه موفق
وهل يؤخذن يوما على الدهر موثق
اذا ما سميرى النجم لاح واغلق
تبلغني عنهم سلا ما وتنطق
وفي كل حسن ذكر ما القلب بعشق
ولم يبق فيه للتمنى مصدق
اسير هوى نفيهم ببيني موقوف
يخيل لي ان مضجعي منه يخفق
فكيف وباب الوصل دوني مغلق
وحجب النوى بعد الوصال تغرق
يومل من قرب الاحبة نسيم
وللدهر اطوار تسوء وانوسق^(١)

رغبنا ولعلنا لا نخطئ جادة الصواب اذا اعتبرنا شعره الغنائي^(١) من هذا القبيل ،
ذلك الشعر الذي يعبر عن انطباعات غرامية عامة ، لا تختص بذات ولا تعبر عن عاطفة
خاصة . وبعض هذه الاغاني عذب لطيف فيه من حسن التوقيع وسهولة السياق ما يضمن
له ان يقف في الصف الاول من شعر الاغاني في ادبنا . وقد تآثر فيه بالغناء الذي
كان يسمعه اثناء اقامته في مصر ، ومن امثلة هذه الاغاني قوله :

يا بدر مالك	ثان	في حشك	الفتان
فارحم فتى	ولهان	مبيل	البال
عذب بما	ترضاء	الا الجفا	اخشاء
قد طال ما	اصلاه	وانت لي	سال
يا يوسف الحسن		حوشيت من	سجج
هددت بالحزن		اركان	اما لي
من ذا الذي اغراك		بصد	من يهواك
الطرف منه	باك	وجسمه	بالي
حتام ذا	الهجران	والصد	والحرمان
حسن بلا	احسان	كالرى	بالال
محبك	الواجد	منك الرضى	فاقد
يا ليتني	واجد	اتهام	عذالي
اضناني	السند	وعزني	الوجد
ما القصد ما القصد		سواك يا	غالي
يا فائق	العشاق	باللحظ	والاحداق
تبارك	الخلاق	لحسنك	الكافي
افديك	بالمال	والروح	والال
رضاك اشهى	لي	من طول	آجالي ^(٢)

(١) السادة ج ٢ ص ١٨٥ - ١٨٧ (٢) السادة ج ٢ ص ١٨٥

وقوله :

والهوى نصيبي من يوم انتشيت	اللقا طيبي يا من لي سبيت
يا صنو القضيبي ما هذا الجفا	ان في سحوي شكوى لو رثيت
تهت بالدلال شانك العجب	يوسف الجمال ذا الهوى صعب
او بقيت سالي لم يفد دوا	ان تسمل عن حالي ينفع الغتب
من مظل الوعود صار جسمي بال	من حمل الصدود صرت في ذي الحال
ليس من محيد عن حكم الهوى	ادمعي شهودى والشتغال البال
وعلا نواحي مما آدني	قد رثي لي اللاحي لما عادني
يا زين العلاج انعم باللقا	وجهك الصباحي ضلا زادني
تلقني فداء جهد اللستطيع	مر بما تشاء تلقني مطيع
جسدى اضناه منك قول لا	ولمي اذكاه شكلك البديع
ليس غير الوعد منك حصتي	من يجد كوجدى بدر قصتي
انا فبك وحذى مبتلي ^(١) انا	بعثر هذا الصد اصل غصتي

الرثاء

الرثاء هو فن الموت ولغة الحزن ومجال اليأس ومعرض الوفاء . والحزن في الاصل عاطفة سلبية تحمل الانسان على العكوف على النفس والتفكير في شأنها . فهو انهزام امام الكوارث ومدهاة الى العظة والاعتبار^(٢) . ولذلك يكون اسلوبه رقيقا لينا . وعبارته شجية مؤذنة بالامس والحسرة .

وعاطفة الحزن من اقوى العواطف الانسانية واصدقها وابل لا نخطي . الصواب اذا قلنا انها اقوى هذه العواطف . لا سيما اذا اتصلت بباعث قوى مؤثر كفقد الابن او الحبيب .

وشعر الشدياق في هذا الباب ينقسم الى ثلاثة اقسام :

(١) السامع ج ٧ ص ١٨٦ (٢) الاسلوب لاجم الشايب ص ٦٦

١٠ رثاء المناسبات : وفيه يظهر اثر الصنعة والشكف في التعبير . وهواطفه فيه جامدة مستعارة لا توحى بحزن ولا تصدر عن تائر . وانما هي واجب ، لكل الواجبات يؤديه عن نفسه . ومدحه اصدق من رثائه لانه يقوله مقبلا آملا . بينما يرثي وفاة لدين . والاصل اقوى من الوفاة . ومن هذا القبيل رثاؤه لمحمد فواد باشا سنة ١٢٨٥ هـ وهو رثاء راقص اختار له وزنا مرقعا لا يتناسب مع جلال الموت وعظمة المرنى . كما انه استعار له عواطف مزيفة مصنوعة . قال :

يا عين بكى	فوادا	ولا تذوقى	رقادا
ويا لهيب	فوادى	زد ما استطعت	انقادا
لم يبق في العبر خير		ومعدن الخير	فادا
قضى الذى ما	اطاقت	له القلوب	بعادا
ولم تكن تتمنى		سوى رضاه	تلادا
وكان يغني	ويغني	الغيباب	والاشهادا
وكان للملك	ركنا	وللعباد	عمادا
انى يموت	همام	قد كان يحيى	البلادا
انى يغيب في	الترب	من اظل	العبادا
وكان في الحرب	يلقى	جيشا بسد	الصوادا
كانه كان	يلقى	وفدا نجد واه	غادى
ما سل يوما	حساما	الا واعلى	الجهادا
ولم يخط	كتابا	الا واغلى	المدادا
بعد الاراتك	امسى	له الحضيض	مهادا
وبعد تلك	المذاكى	قد وسد	الاعوادا
يا طالما	قصده	وفد الطوك	اعتمادا
واسرعت	لرضاه	جماعة	ولرا دى

يقلل الاطمواد ا
يفتت الاكباد ا
الجناساد صار جما ا
هوى وحل الوها ا
الى الترى قد عا ا

فياله من مصاب
وياله من مناب
ان الذى كان يفسمي
يا من راي بدر مجسد
يا من راي طود عز

وقوله في رثاء الشيخ ناصيف اليازجي وهو خير ما قاله في هذا الباب :

من كنت لي البعد ارعاه وبرعاني
ترعى النجوم وليل الهم يغشاني
فهاج حزني وانضاني واضناني
لفقد الف عزيز للصبي ثان
كما ذوى من فوادى كل سلوان
وفخرهم دائم من دون نقصان
فقدانه بدل يا لجمع فقدان
فرط الحنين اليه بعصر نسيان
ولاع منه فوادا لوعة الداني
عليه بين الحشا من نار احزاني
فيه المآدب تحدد كل انسان
ولم يضع قوله في غير احسان
نير النجوم فتهدى كل حيران
لفظا ومعنى هما في الحسن صنوان
مال وعدم هما للحر سيان
فكر له ثاقب في جيد ازمان
لم يثنه عنه في السبعين من ثان

مضى وكل قطين بعده فان
ومن على فوته عيني مسعدة
ومن اتاني منعناه ولم اره
يا طور لبنان هلى تشجيك اشجاني
وهل ذوى منك ذوح باسمق اسفا
وهل اتاك حديث الالين مضوا
امثال فردك ناصيف فهل لك من
هيمات ليس له ند فينمينسا
يا سائلي هل شجاناعيه ذا شحط
انظر الى دمعي القاني وقس لهبا
حر تحرى حلى الاداب في زمن
فلم يضع ساعة من عمره عبثا
كانت قوافيه تطوى البيد سائرة
تنزهت عن عيوب الشعر رائقة
كما تساوى لديه من نزامته
لولم تكن دررا ما كان ناظمها
له البلاءة مذ عهد الصبي خلق

ما كان يهجو ولا يهجي ولا حجت
كانت اسرته عنوان نيته
وشاني * شانه تهجين ذي شان
ذكا قريحته احلاك حدثان
على المصاناة في سر وعلان
لكنه عاشر ذا شان بلا شان^(١)

٢٠ الرثاء الفكاهي

وله فيه قصيدة يرثي بها حمارة، ومنها بعث بالشعر وبعاطفة الحزن المقدسة،
ويتخذ العاطفة الشعرية وسيلة للفكاهة والدعابة، على عادته فيقول :

راج الحمار وخلي القيد في الوند
فهل انا راكب من بعده وتدا
ام كيف ادخل دارا كان لي مكانا
سرهده بيدي كالطفل من شفق
وجشته بشعير لا يخالطه
وكان يوظفني منه النفاق اذا
كم حاد بي عن مضيق حين ابصر من
وسار بي في طريق بل جانبها
وكم جرى فارها ان لاح عن بعد
وان تبين نعشا للجنازة لم
ما فذل يوما عن استقرا معلفه
قد رايتني حذقه حتى ظننت به
وما شكا قط من وخز ولا ضعفت
ثلث يدا من به ولي وغادرني
اعالم انني من بعده جزع
وان صوت الضادى اليوم يزحف ان
لا يفررنك وقد انت واجده

وما راي اثره في الناس من احد
ام مجزئي قيده لو كان من مسد
فيها وانزل عندي منزل الولد
كالطفل من شفق سرهده بيدي
ما سر ولا عسجد خوفا من الدرد
استنقلت نوما بصوت مطرب غرد
حولي الجمال تيل الارض بالزبد
اهل الجمال بما الورود وهو ندى
زفاف خرد اليها بالغ الامسد
يعمر به مع اليم النخر في الكند
اكان في روضة غنا ام جرد
مسخية مثل بعض الخلق من احد
رجلاء من جوب وعت طال او جدد
امش وانشب في اوكال ذا البلد
وان فرقة نار على كبدى
البس اكافك في جنح الدجى وهد
عند الحرامي خصمي فيك من حمد

(١) كنز الرغائب ج ٢ ص ١٧٤، ١٧٥

فانما ذا لحسين انت تعلمه
 يلدبك كل حمار ند من بطر
 او حار من شبق قلاب جحفلة
 مصنيع الراس مشوق القوائم لم
 اليه انه بالطرق امرف من
 يا ليت لي خصلة من ذيله اثرا
 ما دام شهرا على طرف ولا عتد
 او ضج من لغب او خار من جهد
 كراف بول قديم جف كالقدود
 يحرن اذا سمته خسفا ولم يحد
 مولاه ان لم يعقه القيد ذو العقد
 ارنو اليها كما يرنى الى الخرد^(١)

٥٣ . الرثاء البوجداني :

وهو الذي يعبر عن عاطفة خاصة ، تنتزع من وجدان الشاعر وتمتاز بالصدق والعمق والشمول . والقصيدة التي له في هذا الباب ، هي قصيدته في رثاء ابنه الذي مات في لندرة ، الا انها لم تستكمل الشروط الفنية والعاطفية التي يقتضيها هذا النوع من الرثاء . فبينما نراه يصف تأثره بهذا الحادث بنثر تبرز فيه العاطفة الصادقة العميقة ، نراه يسف في الشعر فيستعير عاطفة شاعر وقع في نفس الومضة النائرة ، فتكون عاطفته بالتالي صدى لعاطفة ، والصدى كما نعلم اضعف من الاصل . وقد بلغت قصيدته هذه من الضعف والتكلف والصيغة حدا نضطر معه لان نحكم على شاعريته بالهمللة والضعف والتهافت . فأي عاطفة اعنى من عاطفة الحزن الناتج عن فقد الابن ؟ واين يكون الصدق في العاطفة اذا لم يكن في رثاء فلذات الاكباد ؟ فلو كان الشدياق شاعرا حقلقا في كل قصائده ، ثم جاء بهذه القصيدة الضعيفة المتداعية لحذفت اسمه من سجل الشعراء ، ولكفرت بشاعريته . ولديك ما قاله نثرا في رثاء هذا الابن ، لتلمس بنفسك تفوقه في التعبير النثرى وقصوره في التعبير الشعري :

” وكان الفارياق ممن اذاقه الله حلوا البنين ثم تجرع مع ذلك مرارة الشكل . فقد كان له ولد بلغ سنتين وكانه كان قد سبك في قالب الحسن والجمال فجاء لم يعد ، شى مما تقره العين . وكان على صفر سنه ينظر نظر المميز بين البؤوس والموحش ويالف من تعلق له ولو باشارة . فكان اوبه اذا رثا اليه ينسى في الحال

جميع اشجانه وهمومه . ولكن لم يلبث ان يغشاه عارض من الكابة اذ كان يوجس انه لا يدوم له على عين الدهر الالامة . ويرى نفسه انه غير جدير بان يتولى بتلك الطلعة الناضرة . وكان يحمله على ساعديه مسافة ساعة وهو يناغيه ويغني له حتى الفه الطفل بحيث لم يعد يشا ان احدا غيره يحمله او يلبيه او انه ياكل وحده على انفراد . الى ان قدر الله رب الموت والحياة ان اخذ الصبي سعال في تلك القرية . ولما كانت قرى الانكليز الصغيرة كغيرها من قرى البلاد من انه لا يوجد فيها اطباء مهرة وكان لا بد من مشاوره طبيب على اية صفة كان . استشار ابواه احد المتطبيين هناك فاشار عليهما بان يتداركاه بالاستحمام بالما السخن الا راسه . فعملا بوصيته ائتما . ولم يزد الصبي الا سقاما . حتى كان اذا انزل في الما بعدها يعنى عليه ويرى فوق قلبه لطفة حمراء كالدم على شكل القلب . ثم اشتد به الدخ حتى احتبر السعال في صدره وخفت صوته . وكان يعاوده مع ذلك الرعدة والهزة . وبقي في حالة الفزع ستة ايام بلبالها وهو يئن انينا ضعيفا وينظر الى والديه كلشاكى لهما مما يقاسيه . فاستحال الورد من خديه عبهرا . وغارت عيناه النجلاوان ولم يعد شي من الغذاء والدوا يسوغ في حلقه الا تكلفا . وكان الفاريق في خلال ذلك يذرف العبرات ويجأر بالدعاء الى الله ويقول . رب اصرف هذا العذاب عن ابني الى ان كان ذلك يرضيك . اني لا مارب لي في الحياة من بعده ولا طاقة لي على مشاهدته في هذا النزع الاليم . فامتنى قلبه ولو بساعة حتى لا اراه يجود بنفسه . اه عظمت ساعة . وان كان لا بد من نفوذ قضائك به فتوقه الان . ولعل الفاريق هو اول والد دعا على ابنه بالموت عن شفق وحنو . فان رؤية الطفل يغرغر ستة ايام مما لا يطاق^(١) .

اما القصيدة التي قالها في رثائه فهي معارضته ، بل تحليل وتركيب ، لقصيدة

ابي الحسن علي بن محمد التهامي التي قالها في رثاء ابنه ، ومطلعها :

حكم المنية في البريعة جار ما هذه الدنيا بدار قرار

وقد اتهمها الشدياق اتهاما ثم اجتريها فجاءت باردة جامدة ، يكسوها ثوب الصنعة
الفضاضة ، وتتفاضل فيها العاطفة حتى تعود شبحا من الاشباح ، ومطلع هذه القصيدة

الدمع بعدك ما ذكرتك جار والذكر ما وراك ترب وار^(١)

وستعرض لها في غير هذا المكان بالتحليل ، مبينين ما فيها من تائر بقصيدة التهامي .

• • الوصف

" الوصف نوعان حسي وخيالي • فالاول يتناول المحسوسات ويصورها وهو غيب
ما يفعله الرسام الماهر الذي يقتنر برشته جمال الطبيعة ويجسمها بالالوان على لوحه
فتبدو فتاة تميل اليها النفوس وتتنافس في اقتنائها اهل الذوق • وقد اجاد العرب في
هذا النوع من الوصف ، فعني الاقدمون منهم بما له علاقة بحباتهم البدوية كالجمال والصحراء
والسيف والظلول وجمال جم الحبيب • ولما جاء العصر العباسي تحول الوصف الى الرياض
والقصور ومجالس اللهو والسرور وما شاكل من ظواهر الحضارة والترف وكذلك فعل الذين
بعدهم ولا يزال الشعر العربي الى الان يعني بالوصف الحسي بل هو عام في ادب
كل امة ويعد من ابواب الشعر الهامة •

اما الوصف الخيالي فننظر فني الى ما وراء المحسوسات ، واذا كان الشاعر واسع
الخيال فيجعل المثلثات اساسا لغير المثلثات ويولد عن المحسوسات صورا مجردة يرسمها
للشعر تاملات وذكريات • يقف في قلب الوادي مثلا فيسمع فيه نبضات الحياة ، وتر امامه
على صفحات الماء حوادث الانيام فيذكر لأم الغابرة والوقائع التاريخية ، وقد يحمله ذلك
الى النظر في الحياة والانسان وهم تتسع الحياة لخواطر نهمر بها لدن رؤيتنا بعض
المشاهد الطبيعية • فالوصف الخيالي هو وصف التائر الذي يحدثه فيك المنظر الحثي
والتعبير عما يوحى اليك من خواطر وصور فكرية • وهذا النوع من الوصف قليل في الشعر
العربي القديم فلما اهتم به ادباء الاجيال الماضية ولذلك لم يتركوا لنا من آثارهم
فيه الا النزر اليسير •

اما اليوم فان الشعر الحديث شديد العناية به وهو يظهر في هذه القفات الشعرية التي يقفها الشعراء لدى الآثار التاريخية او الانهار العظيمة او مآثر الاقدمين او عجائب الحضارة الجديدة . فتحملهم المشاهد الى آفاق فكرة بعيدة ، يرون فيها مرض خصبا لخيالاتهم^(١) .

والعاطفة الاساسية التي تنشيء الوصف هي الاعجاب والروعة بما يشهده الاديب فيفسره تفسيراً خاصاً متأثراً بعزاجه ووجهة نظره ، ويخلق عليه من نفسه تفاؤلاً او تشاؤماً اكبارها وازدراءها^(٢) .

ولما كان هذا الفن واسعا يتناول كل شيء كان اسلوباً متنوعاً كثيراً ، فوصف الحسبات غير وصف المعنويات ووصف الحروب يختلف عن وصف المناظر الجميلة ، ولغة الاصوات المدونة تغاير لغة الالوان الزاهية . وفوق ذلك لا يخلو ليع من الوصف وهو في الحرب حلقة وفي الجمال نسيم وفي الفضائل مديح وفي الحزن لثاء ، وهكذا تجد الشعر الا اقله راجعاً الى باب الوصف^(٣) .

والشدياق ، وقف بشعره عند الحس ولم يعد الى الخيال والتأمل ولم ينظر الى موصوفاته نظراً معنوياً يجعلها امامه كتاباً يقرأ في صفحات المعاني ويستوحي منه الاسرار . انه وقف عند التقليد ، حتى في وصفه ، فوصف الطبيعة مجردة كما تراها العين وتستوعبها الحواس ، لا كما يراها الفكر المتأمل . وصفها وصف بصر لا وصف بصيرة . ويتخذ الوصف في شعره المظاهر الاتية :

١ . وصف الانسان : ويتناول في ذلك صفاته الظاهرة والباطنة ، ويكاد يختص المرأة بهذا النوع من الوصف .

٢ . وصف المذن : وقد اقتصر فيه على وصف بارمس في قصيدتين طويلتين احدهما في المدح والاخرى تنقضا .

٣ . وصف الحرب : وفيه يتناول وصف حرب السبعين بين فرنسا وبروسيا .

(١) المختارات السائرة ص ٢٤٢ (٢) الاسلوب لذلك الشبيه ص ٧٠

٤١. وصف احواله الخاصة .

اما وصف الانسان فليبه يتناول احوال النساء وطبائعهم واخلاقهم وتقلبها في حالتين العزوبة والزواج . كما يتناول علاقتهم مع الرجال : وهو لا يقتصر على امرأة دون اخرى . بل يصف المرأة العربية كما يصف المالطية والباريسية والانكليزية . وقد جاءت اشعاره هذه في عرض ابحاث المطولة عن النساء واحوالهن والتي وردت في اد المساق والواسطة وكشف المخبا . فوصفه للنساء يدل على معرفة عميقة بهن . واكتسبها من الكتب وما اختبره بنفسه . ومن ذلك قوله في وصف طبائعهم :

يملن من نحيب اتساع الهوى
ولا هدى ولا نهى ولا حنينا^(١)

ان النساء حينما كن نسوى
لا يفررون الغر منهن تقى

وقوله :

ترى النساء يبعن العرض كالعرض
وكل قاصر على تسجيله^(٢)

سر مضرب الارض في طول وفي عرض
بالرجل يصفقن عند البيع لا ييد

ومنه بالسفور هو احسن ما قال :

متما لهن من التلادى في الهوى
وضع الشراع لها على حكم الهوى^(٣)

لا يحسب الغر البراقع للنساء
ان السفينة انما تجرى اذا

ومنه في وصف مليحة المالطية :

وماست بقدر يخلج الغصن الغضا
وفي حش من تهواه عن لحنه لقضا^(٤)

بدت في الثياب السود والوجه زاهر
لها منطلق غذب على فتح لحنه

وفي وصف راقصات باريس :

نغم الساني حيث تجلى كسروب
تنقل لدى من الزمان خطوط^(٥)

لله در الراقصات لنا على
لو كان يوما وطوهم على لم

(١) المساق ج ١ ص ١٤ (٢) المساق ج ٢ ص ١٥ (٣) الواسطة ص ٢٠ (٤) المساق ج ٢ ص ١٤ (٥) المساق ج ٢ ص ١٤

ومن ذلك قوله في السرى :

ركب السرى اليوم خير جواده
اذ ليس منا راح او را فـ

وفيه :

قام السرى مبكرا لصبحه
او ما ترى ذى الشمس من شباكـ

وفيه :

خرج السرى مع السرى ما شيا
من كان يدعك مرة جسميهما
وله في وصف الكلدان :

في ثغر كل منهم مسكنه

يا ليتنا امتطى الاكشافا
بل كنا يندو به رافا^(١)

فارتجت الارضون من نكيره
مدت اليه شعاعها لسروره^(٢)

غلسا الى الحمام كي يتسهما
خلقت يداه على المدى ان تلتما^(٣)

وسلاحه الماضي فاين العظيم^(٤)

ان وصف المدن ، فله فيه قصيدتان طويلتان في باريس احدهما في المدح والاخرى
في الذم ، ومن قصيدته المدحية :

اذى جنة في الارض ام هي باريس
وهل حور عين في منازلها تسيرى
وهل ذى نجوم ترجم اليهم في الدجى
وهل زهرة الدنيا ترى في هواجـ
نعم انها خلد النعيم وشاهدى
ونهر وقلوب فيها كواعب
وفاكهة مع لحم طير ونضرة
واعمدت تحبو السحاب دونها
ملائكة سكانها ام فرنسيس
ولا فكل حين تخطر بقلبي
عن البال ان يخطر به ام نبارس
تمر كبرق خاطف ام طوارس
رياض وحوض دافق وفرايس
على سرر مرفوعة واعارس
وراح وريحان وروح وترغير
كان لها فوق السماكين تاسيس

فدا مع اولى الشورى وقال اميرنا
فعارض قوم منهم في وجوبها
الى ان بدا للاكثرين لزومها
فسارت الى الرين الجيوش وعسكرت
ورافقهم ذاك المحكم وابنه
وكانت لهم متوى لعزة شانها
ومنهم رهيل كان في حرب مكسكو
وقال الورى يا ويح من برزوا له
فاول ما اصموا بروك مدينة
فان العدو اشتد باسا عليهم
فكان له فيهم نكايه ظافر
ومذ ايقنوا ان قد تغلص ظلمهم
وانتم للجerman غرس مناهم
فهابتهم الدنيا واثنت عليهم

يرى الحرب فرضا فانفردوا امهال
فضجوا ولجوا في جدال ولبسال
وكانوا على راي لقيصرهم تال
هناك سكرى من وساوس آمال
وحلوا بمتز كلهم ناعبي البسال
ومعقل امن لم ينظر با مثال
واخر في ارض الجزائر ذو بال
ويا ويل مغرور لنارهم صالي
على السار لكن ادبروا بعد اقبال
وكان له ضعفا جيوش وعمال
ورد هم قهرا بخيل وزجال
ذوى منهم يقطين بطش وآمال
بفوز قريب لا بشاب با خلال
ومالت اليهم ميل راج وامال^(١)

ويدخل في وصف احواله الخاصة وصف ظروفه وتقلبات الزمان عليه اثنا تغلبه في
بلاد العالم ، كما يدخل في ذلك ذم الدنيا وشكوى الزمان ، وقد تعرضنا له في اوائل
هذا الفصل . ومن هذا القبيل قوله يصف حاله في كمبريج :

رسني ومتني النوى في كمبريج ملازما
فتعبث في حتى اذ الليل جنني
لبيتي نهارا ان تراني اوباش
خرجت على امن كاني خفاش^(٢)

وقال :

ولي فروة ثاني الكلاب تشمها
تهر على تحزق جلدى وجلدها
ولم تندفع عنها اذا ما دفعتها
كاني من آبائها قد صنعتها^(٣)

(١) كنز الغائب ٤ ص ١٧٦ ، ١٧٧ ، (٢) السامح ج ٢ ص ٢٠١ ،

وقال في وصف اهل الدار التي كان يسكنها في كبريج :

ولي عيلة في كبريج خفية
تواكفني من حيث ليس عيان
فعهدى باسم الاكلات فلانة
وهدى باسم الاكلين فلان^(١)

وقال في وصف جوع اصابه في دير للروم في احدى قرى لبنان . اتنا . هجوم العساكر المصرية .

ليت شعري ماذا يفيد السبيان
مع خواء البطون والتبيان
ولننون البديع من غير اكل
تستشيط اللهى بها واللسان
هاك الف استعارة برغيف
ومختر تختر تفتازان
ايها المعربون هبوا فما من
ضرب زيد عمرا يرصر الجوان
ابن ابن الكباب والرز والور
غل تصغو من فيضهن الجفان
ذهبت دولة الطيخ وجاءت
نوبة الجوع امها لبنان
يا لها من معرة نبعت
الدينار ما ان يعبا به انسان
ليس بيع ولا شرا بارض
قد قضى عيشها وعامر الزوان
طال مكثي في الدير حتى كاني
راهب لا ترضى به الشرهيان
اذ راوني وحولي الكتب والافلام
ما عنه نهى المطران
انا في وحشة من الانمر وحدي
لا تراني فلانة وفلان
عيشة لو اريتها في منام
ما شجنتني من بعدها الالهان^(٢)

ولعل اروع ما وصف به احوال بؤسه وشقائه غرقياته التي نلصق فيها خفة روحه وميله الى
الدعابة والمرح .
ومنها :

انا الولي على كل المقاليس
وغرقتي ذى مزار للمناحيس
ياتي بهم زحل القواد مدتها
وتم تصرعهم ربح الكراريس^(٣)

(١) الاق ٤ ص ٢٠١ (٢) الاق ٢٤ ص ٢٤٩ / ٢٥٠ (٣) الاق ٤ ص ٢١١

ومنها :

ان للمالحين معجزة ان
فكر ذا اليوم معجرات دخاني
يجعلوا ان شأوا الضير بصيرا
انه يجعل البصير ضيرا^(١)

ومنها :

نعم لي غرفة عليا ولكن
لكيف اطبق اصعد مرتقاها
باسفل سافلين هبوط نجمي
واحمل حمل اشجاني وهي^(٢)

ومنها :

ولي داخل البيت جنة قط
وقد كنت احسب ان بالعظام
وخارجه صيت فيل عظيم
تكون العظام واهل العلوم^(٣)

ومنها :

تعالوا وافقهوا عني ثلثا
خلاقي ثم جسمي ثم بيتي
تعلمكم مراعاة النسظير
صغير في صغير في صغير^(٤)

ومنها :

اصبحت في غرفتي رهن الموم لما
ارى لكل امرئ انثى توانسه
يعتادني غير ابيغاني واوطاري
وليس عندي من انثى سوى النار^(٥)

ومنها :

طبخ المحاشي رائع في عصرنا
من اجل ذلك صرت طباحا لما
لكما طبخ القواني كاسد
انا شاعر فالشعر شي فاسد^(٦)

ومنها :

بيني وبين دخاني اللة ثبتت
وان يزرنني امرو غطلى على بصرى
ان نمت نام والا فهو لم ينم
اذ عنده رؤية الزوار كالسقم^(٧)

(١) السابق ٤٨ ص ٤١١ (٢) (٣) (٤) (٥) السابق ٤ ص ٤١٢ (٦) (٧) السابق ٤٨ ص ٤١٢

ومنها :

سَمُوا عَلَى مَنْزِلِي قَبْلَ الدُّخُولِ وَلَا
تَسْتَعْجِلُوا بَعْدَ فَتْحِ الْبَابِ وَاحْتَشِمُوا
فَإِنَّ حَرَمَ ذُو حَرَمَةٍ وَلِئِنْ
لَمْ يَلَفْ لِي حَرَمَةٌ فِيهِ وَلَا حَرَمٌ^(٤)

ومنها :

إِنِّي اللَّهُ أَشْكُرُ مَا أَرَى تَحْتَ طَائِفَتِي
أَمْرًا عَدَا تَكْلِيفَهَا فَوْقَ طَائِفَتِي
أَرَى كُلَّ يَوْمٍ الذِّمَّةَ مَاضِيَةً مَخَاصِرًا
لَا تُشَى عَلَى إِنْجِي مَخَاصِرَ نَاقَتِي^(٥)

ومنها :

رَوَا دُخَانٌ قَمِينِي صَاعِدًا فَجَرَى
فَقَالَ بَعْضُ أَقْبَيْنَ أَنْتَ قُلْتَ نَعَمْ
بِالْمَاءِ قَوْمٌ لِيُطْفُوا سُورَةَ اللَّهَبِ
أَقْبَيْنَ شَعْرًا وَعِنْدِي مَعْمَلُ الْكَذِبِ^(٦)

وبعد ، فقد عرضنا شعر الشدياق في الوصف بالمعنى الواسع ، كما جاء في ديوانه ، وإننا لنعجب لماذا لم يستهويه وصف الطبيعة . لأنه كان غارقا في المدن حتى مفرق رأسه فلم يستطع أن يلتفت إلى الطبيعة ، أم هل أثبت شعره في ذلك في ديوانه الضائع ؟ ونحن لا نستطيع الإجابة على هذا السؤال إلا إذا عثرنا على شعره الضائع كاملا غير منقوص .

في الدعابة والمجون

الشدياق فكاهي ماجن بطبعه . ونظرت إلى الحياة ، رغم عدائها له وتضييقها عليه ، هي نظرة الساخر الهازي . وله في هذا الباب شيء كثير فما يستحق أن نورد له هذا الجزء من الرسالة . والحق يقال أنه أجاد في هذا النوع من الشعر ، وأنه لو صرف إليه همه ووقته لأخرج للناس ديوانا نفيسا من الشعر الانتقادي الفكاهي ، ولكن ما يدرينا ، فلعل في شعره المفقود ما يسد هذا الفراغ .

وتتجلى لنا دعابة الشدياق في وصف الدنيا وأحوالها وفي رثاء حمارة وفي غرلياته ، كما تتجلى في المقدمة الشعرية التي قدم لنا بها هذا الكتاب وتظهر في

الكثير من الاحيان معتزجة بشي* من المجون الذي اشتهر به ، وحبذه بقوله :

ما زارني الا خليع ما جن فدع الحياء اذا حضرت حصيري
ان العياء اخو النفاق وما صفت دون المجون سريرة لعشيرة^(١)

ويمنهما العرف من التمثل بابيانه المأخوذة هنا لذلك نكتفي بالاشارة الى تلك
الابيات والقوائد التي تجمع بين الفكاهة والمجون^(٢).

شعر المناسبات : ويدخل فيه المدح والشكر والتهاني والتعازي .

وهو شعره الرسمي التكميلي وفيه تتجلى الصفة ولاكلفة وللتقليد . وهذا الشعر
يعتمد على جودة الصياغة وقوة الصنعة اكثر مما يعتمد على فيض الشعور . ولا يتلون
شعره في هذه الابواب يتلون صلاحته مع الناس ، فان مدحة له تكفي لرسم صورة واضحة
عن فنه في المدح ، وقل عن الباقي مثل هذا : وشعر المناسبات يكون الجزء الاكبر
من انتاجه الشعري مولو اردنا التمثيل عليه لقدمنا الجزء الثالث من كنز الرغائب مثلا .

في المدح كان الشدياق بمدح السلاطين ، اولياء نعمته ، ومن حولهم وخديو مصر
ومن حوله وباء تونس . كما انه كان بمدح اصدقاء الكثيرين الذين كانوا يظاهرونه في
خصوماته ومناظراته . وكان يشكر المحسنين الذين يمدون اليه يد المساعدة ، مادية
كانت او معنوية . ويدخل في باب المدح الاخوانيات ، وهي القوائد التي كان يرسلها
الى اصدقائه ومناصريه . وله في بعض هؤلاء الكثير من التعازي والتهاني .

ومن امثلة مدحه للسلاطين قوله مدح عبد المجيد خان سنة ١٢٧٢ هـ

يا صاحبي لدى فروق اقيما	تجدا المقام مسرة ونعيما
وتغاورا الم النوى نسياما	ينسى الصدى من يوعد التستيم
بلد يقول لرائره ابشروا	بنوال ما املتوم عيما
حمد السرى من فيه عند صاحبهم	فكانهم لم يشكروا التهوينا
وكانهم لم يجزعوا حزنا ولا	جزعوا له حزنا ولا تهيم
قروا به عينا وفي اليد منه ما	عنهم نفى غينا ووسد جيما
يدعون للملك المعظم من غد ت	الاوه تستغرق التعظيما

(١) السابق ج ٤ ص ١١ (٢) راجع لذلك السابق ٢٨ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣٦ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٨ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ ، ١٤٤١ ، ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥٠ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٣ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٧ ، ١٤٥٨ ، ١٤٥٩ ، ١٤٦٠ ، ١٤٦١ ، ١٤٦٢ ، ١٤٦٣ ، ١٤٦٤ ، ١٤٦٥ ، ١٤٦٦ ، ١٤٦٧ ، ١٤٦٨ ، ١٤٦٩ ، ١٤٧٠ ، ١٤٧١ ، ١٤٧٢ ، ١٤٧٣ ، ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ ، ١٤٧٦ ، ١٤٧٧ ، ١٤٧٨ ، ١٤٧٩ ، ١٤٨٠ ، ١٤٨١ ، ١٤٨٢ ، ١٤٨٣ ، ١٤٨٤ ، ١٤٨٥ ، ١٤٨٦ ، ١٤٨٧ ، ١٤٨٨ ، ١٤٨٩ ، ١٤٩٠ ، ١٤٩١ ، ١٤٩٢ ، ١٤٩٣ ، ١٤٩٤ ، ١٤٩٥ ، ١٤٩٦ ، ١٤٩٧ ، ١٤٩٨ ، ١٤٩٩ ، ١٥٠٠ ، ١٥٠١ ، ١٥٠٢ ، ١٥٠٣ ، ١

عبد المجيد لكل امجد سيد	مولى الملوك جبلة واروما
شرفت له نفس فارفع ما رب	يبدو حضيضا عندها شموما
ويجل عن ان يستباح فانما	جدواه تسبق من جداه قدوما
تمض جليل الهم همته كما	تمضي المضارع لم بها مجزوما
ان السعيد بنظرة يوما له	او منه يصبح مسعدا ماموما
واذا كلم الدهر با * كلمه	لم يلقه يوما وآب كلمه
فدوا هذا الدهر طلعة وجهه	لا ان تراقب طالعا ونجوما
وصلاح هذا الخلق بمن وجوده	لا ان تنوط تبمه وتيمما ^(١)

وقد خسر الشدياق الخديو اسماعيل باطيب مدحه ، فقد كان يحبه حبا جما
ظهر في مواضع كثيرة من جوابه ، وكان لا يترك مناسبة الا مدحه ، هنا هو بارك له ،
وقد خصه بشعر يكاد يكون اضعاف ما قاله السلطان الذي كان ولي نعمته . وما
قاله فيه :

قفا بي خليلي ابك الطلولا	فصبري من لائح الشوق عيلا
تذكرت ساعة سار الخليليـط	فهمت التياءا وحرث زهولا
عجبت لجسمي كما صح غيم	فاني تصب عيوني سيولا
وكيف غرامي ينمو ويربو	وجسمي يشف شنى ونجولا
بكا السم شيفة كل محــــب	يقاسي من البين ضرا يثبلا
يرى في النحيب عزا جميلا	فبندب دارس ربح محبلا
ورب بكا اراح المعــــنى	وداوى عليلا وروى غليلا
ولكن في مصر ملكا اعــــاد	الطلول صروحا فطابت مقبلا
فلم تبق عين تريق دموعا	ولم تبق اذن تطبق عويلا
فاصبح ذاك النواج غفــــا	وتلك المفاوز هارت حقولا
وطاب الزمان اعتدالا وعد لا	واقسم ان لا يميل عدولا

بل الحزم ان تستحث البزولا
باعتابه و هو احظى نزولا
سلم الطوبا نبلا جليلا
واولى العراد قولا فعولا
بهم كان بعد الاله كقبلا
وداع لما نال جيلا فجيلا
ولايتة فيهم ان شطولا^(١)

فليس التلبث في السير حزما
الى باب من يفر السفر طرا
كرم السجايا عيم العطايا
اغز العباد واحين البلاد
غياث الا رامل كهف اليتامى
هناك ترى الخلق ما بين راج
فدى اسمعيل نفوس تمنى

وقد مدح لويس نابليون ملك فرنسا في قصيدة مطلعها

من شان اهل الهوى ان يفرطوا الغزلا
قبل المدين والا غازلوا الكلا

ومنها :

بين الرجال براء وحده الرجل
في الملك ما ان يرى الرائي لها مثلا
من في المكارم والمجد السني علا
تحوى كلاما يوبي حق ما فعلا
تكاد تحفظها حرب ونحو طلي
نار التراثي وثن الخطب قد فضلا
ومن بالعفو لا عجزا ولا مـلا
ويات حاسده بالياس مشتغلا
فان معروفه كلا لقد شـلا
يديل في غيرها الاملاك والد ولا
امنا وهذا الذي كل الورى املا
وعرضه صار بعد الصون مـلا
والدين خيفة ان يستقبلا زـلا

من رام ماثرة فليمدحن لا جلا
لويس نابليون الراق منزلة
من ذا الذي يشفي في الانام على
وليت شعري هل في الكون من لغة
الولاء باتت فرنسا في معامع لا
لما تفرقت الاراء واحتدمت
تدارك الامر لا عيا ولا فشلا
وبات بالملك والتدبير مشتغلا
حق على الناس ان يدعوا له ابدا
وكيف لا وفرنسا دولها سبب
فكان تدبيره للارور قاطبة
وحرمه الدين لولا عزمه انتهكت
فعال من تمسك الدنيا بساعده

يرى من الامر حزنا في اوائله
لما قضى قط الا وهو ذو ثقة
ولا تخلل وعد نواى عدة
فانما هو يولى العرف مبتدرا
ما غيره عنه في صيوره وهسلا
ولا نوى خطة الا وقد فصلا
له وانجازها بل قلما مسلا
والعفو مقتدرا والعم مرتجلا^(١)

وله في الاخوانيات مراسلات كثيرة منها مراسلاته مع احمد عزت الفاروقى^(٢) والشيخ
ابراهيم الاحدب^(٣) والشيخ يوسف الامير^(٤) والشيخ حسن بيهم^(٥) والشيخ عبد الهادى نجا
البيارى^(٦) وسواهم من ادباء عصره الذين كان يناصرونه ويشدون ازره في خصوماته الجوانبية
او يقرظون كتبه او يمدحونه لمختلف الاسباب .

ولنقدم على ذلك مثلا من مدحه للشيخ عبد الهادى نجا البيارى الذى يشكره
فيه على كتابه " النجم الثاقب " في المحاكمة بين البرجيس والجواب " ، الذى نصره
فيه على خصمه سليمان الحريرى محرر البرجيس .

اي مدح يهدى لعبد الهادى	وهو نور المديح والانشاد
ما عسى ان يجيد من عليه	وهو في الفضل واحد الاجاد
عين احيان عصره مستفيض	منه وجه الهدى وفيض الايادى
اوضح الحق نجمه في مقال	هو نور في غيب الشك هاد
عجبا كيف يطلع الصبح في الشر	ق وفي الغرب من سواد المداد
طالما امت الائمة من	عند لبر الامور وامطاء الجياد
غير انا نعى ونعى اذا ما	نتصدى لمدحه المستجاد
ان شعري على بيان هسلا	كدليل الحصى على الاطواد ^(٧)

وكتب الى عبد الرحمن النحاس نقيب الاشراف في بيروت يستنهض همته الى
نصرة الجواب :

ماذا اقول اذا اردت مديح من
تعلو على كل اثنا معلاته

(١) كشف الخبايا اخبار اوربا ص ٨٠ (٢) راجع ص ٢٥٩ ٢٥٨ ٢٥٧ ٢٥٦ ٢٥٥ ٢٥٤ ٢٥٣ ٢٥٢ ٢٥١ ٢٥٠ ٢٤٩ ٢٤٨ ٢٤٧ ٢٤٦ ٢٤٥ ٢٤٤ ٢٤٣ ٢٤٢ ٢٤١ ٢٤٠ ٢٣٩ ٢٣٨ ٢٣٧ ٢٣٦ ٢٣٥ ٢٣٤ ٢٣٣ ٢٣٢ ٢٣١ ٢٣٠ ٢٢٩ ٢٢٨ ٢٢٧ ٢٢٦ ٢٢٥ ٢٢٤ ٢٢٣ ٢٢٢ ٢٢١ ٢٢٠ ٢١٩ ٢١٨ ٢١٧ ٢١٦ ٢١٥ ٢١٤ ٢١٣ ٢١٢ ٢١١ ٢١٠ ٢٠٩ ٢٠٨ ٢٠٧ ٢٠٦ ٢٠٥ ٢٠٤ ٢٠٣ ٢٠٢ ٢٠١ ٢٠٠ ١٩٩ ١٩٨ ١٩٧ ١٩٦ ١٩٥ ١٩٤ ١٩٣ ١٩٢ ١٩١ ١٩٠ ١٨٩ ١٨٨ ١٨٧ ١٨٦ ١٨٥ ١٨٤ ١٨٣ ١٨٢ ١٨١ ١٨٠ ١٧٩ ١٧٨ ١٧٧ ١٧٦ ١٧٥ ١٧٤ ١٧٣ ١٧٢ ١٧١ ١٧٠ ١٦٩ ١٦٨ ١٦٧ ١٦٦ ١٦٥ ١٦٤ ١٦٣ ١٦٢ ١٦١ ١٦٠ ١٥٩ ١٥٨ ١٥٧ ١٥٦ ١٥٥ ١٥٤ ١٥٣ ١٥٢ ١٥١ ١٥٠ ١٤٩ ١٤٨ ١٤٧ ١٤٦ ١٤٥ ١٤٤ ١٤٣ ١٤٢ ١٤١ ١٤٠ ١٣٩ ١٣٨ ١٣٧ ١٣٦ ١٣٥ ١٣٤ ١٣٣ ١٣٢ ١٣١ ١٣٠ ١٢٩ ١٢٨ ١٢٧ ١٢٦ ١٢٥ ١٢٤ ١٢٣ ١٢٢ ١٢١ ١٢٠ ١١٩ ١١٨ ١١٧ ١١٦ ١١٥ ١١٤ ١١٣ ١١٢ ١١١ ١١٠ ١٠٩ ١٠٨ ١٠٧ ١٠٦ ١٠٥ ١٠٤ ١٠٣ ١٠٢ ١٠١ ١٠٠ ٩٩ ٩٨ ٩٧ ٩٦ ٩٥ ٩٤ ٩٣ ٩٢ ٩١ ٩٠ ٨٩ ٨٨ ٨٧ ٨٦ ٨٥ ٨٤ ٨٣ ٨٢ ٨١ ٨٠ ٧٩ ٧٨ ٧٧ ٧٦ ٧٥ ٧٤ ٧٣ ٧٢ ٧١ ٧٠ ٦٩ ٦٨ ٦٧ ٦٦ ٦٥ ٦٤ ٦٣ ٦٢ ٦١ ٦٠ ٥٩ ٥٨ ٥٧ ٥٦ ٥٥ ٥٤ ٥٣ ٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٩ ٤٨ ٤٧ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤٣ ٤٢ ٤١ ٤٠ ٣٩ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٥ ٣٤ ٣٣ ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ ٢٦ ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ٢٠ ١٩ ١٨ ١٧ ١٦ ١٥ ١٤ ١٣ ١٢ ١١ ١٠ ٩ ٨ ٧ ٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١ ٠

كَيْلَا أَكُونُ بِهِ الْمَسِيَّ وَأَنَا
مَا كُنْتُ أَجْسُرُ أَنْ أَتُوَّهُ بِمَدْحِهِ
لَكِنَّمَا شَانَ الْحَلِيمِ الْعَفْوُ —
أَنْ كُنْتُ أَهْدِيهِ اللِّقَاءَ عَنْ جَوْهَرِ
بَحْرِ خَضَمٍ لَا تَزَالُ عَلَى السُّبُورِ
حَتَّى كَانَ الْأَوَّلِينَ بِهِ حَسِيًّا
فَمَرَّ الْكَمَالُ غَنِ الْمَحَاقِ مِنْهُ
شَرَفُ النَّقَابَةِ فِيهِ زَادَ تَرْفَعُهَا
الْفَضْلُ شَبَهَتْهُ وَسَاءَ التَّسْقِي

عَنْ سَيْثَلَتِي كَفَرْتُ حَسَنَاتِهِ
وَجَلَاءَ لَوْلَا حِلْمُهُ وَأَنْسَانَتِهِ
زَلَّاتٍ مَعْتَرَفٍ طَفَّتْ زَلَاتُهُ
فَبِكْفِهِ يَغْلُو وَذِي عَادَاتِهِ
تَطْفُو جَوَاهِرُ لَفْظِهِ وَهَبَاتِهِ
إِذَا قَدْ حَوَتْ كُلَّ الْمَحَامِدِ ذَاتِهِ
حَالَاتِهِ أَتَيْتُ بِدَتِهَا لَاتِهِ
وَعَلَّتْ لِعَجْدِ لِعَالِهِ رَايَاتِهِ
وَالْمَكْرَمَاتِ شِعَارِهِ وَسَمَائَاتِهِ^(١)

وَمِنْ أَمْثَلَةِ شِعْرِهِ فِي التَّهْنِائِيِّ قَوْلُهُ يَهْنِي: فَوَادُ بَاشَا بِالصَّدَارَةِ الْعُضْ:

أَنْ مَلِكُ الْعَصْرِ سَلْطَانَانَا
مَا زَالَ مَذْأَفُضْتُ إِلَى أَمْرِهِ
حَتَّى أَكْسَبَتْ مِنْ عَدْلِهِ سُنْدُسًا
أَفْضَلَ مِنْ آلِ إِلَى رَايَسِهِ
أَقَامَ هَذَا الْمَلِكُ تَدِيرَ
رَأَى فَوَادَا لِلصَّدَارَةِ مِثْلَ السُّرُوحِ
فَقَالَ كُنْ فِيهَا رَثِيمًا كَمَا
وَكُنْ لِي الْيَسِيرَى الْعَمُولِ إِذَا
أَنْتَ قَدْ أَجْدَيْتَ فِي خَدَمَتِي
فَقُلْتُ يَا بَشْرَى بَتَارِيخِهِ

عَبْدُ الْعَزِيزِ الشَّهْمِ غَسَوْتُ الْعِبَادَ
خِلَافَةَ الْمَلِكِ يَمُوسُ الْبِلَادَ
مَاسَتْ بِهِ كُلُّ الرِّبَى وَالْوَهَادَ
حُكْمُ الْوَرَى مِنْ مَهْدِ هُدُودِ وَهَادَ
عَلَى أَسَاسِ رَاسِخِ ذِي عَمَادَ
لِلْجِسْمِ وَذَلِكَ السُّدَادَ
أَنْتَ عَلَى الْجَنْدِ رَئِيسُ وَهَادَ
مَدَدْتَ يَمْنَاهُ لِأَمْرِ مَرَادَ
وَمِنْهُ: حَالِ شَلْتُنَا تَمَسُّجَادَ
فِي صَدْرِ ذِي الدَّوْلَةِ أَجْدَى فَوَادَ^(٢)

وَمِنْ تَعَاظِيهِ قَوْلُهُ يَحْزَى بِمَوْتِ السُّلْطَانِ عَبْدِ الْمَجِيدِ وَيَهْنِي: يَقِيَامُ عَبْدُ الْعَزِيزِ:

يَجْرَى الْمَقْدَرُ حَيْثُ قَدَرُ شَائِبَا
أَنْ الَّذِي عَفَتْ الْعِبَادَ لِحُكْمِهِ
مَنْ كَانَ مِنْهُ آيَا أَوْ شَائِبَا
أَضْحَى لِأَحْكَامِ الْمَنِيَةِ عَانِيَا

(١) أَلْفَاظُ الرَّغَائِبِ ج ٢ ص ٦٦ (٢) نَفْسُ الْمَقْصِدِ ص ٥٦

فنجيد في عبد العزيز تمازيا
 شان الحياة مائة ومائة
 وكذا الزمان يكون طورا مدوبا
 مات بنا الانراج والافراج في
 لم تعد الا ساعة حتى سمرت
 ويدت تبشير البشارة باسم من
 ففدا المعدد للفقيد معددا
 هو واحد الاحاد لا تلقى له
 يعتز امر الدين والدنيا به
 هما لاهمال الحسام وللنمدى
 نهر المهيم رايه وادامه

ونعيد في عبد الحميد تمازيا
 تتعاقبان هواديا وتواسيا
 فينا وطورا قد يكون مداويا
 يوم ومن عواديا ودواعيا
 عنا دجى كرب حنين رواسيا
 ولي الخلافة نعم ذلك واليا
 اومانوارته الكريمة داعيا
 فيما حواء من الخلائق ثانيا
 وتعز شانها يداه تلافيا
 طب لا بؤسنا وخير شافيا
 للملك والاسلام نصرا واقيا^(١)

وهكذا ينهي عرض شعر المناسبات عند الشدياق وقد لمسنا بانفسنا ما امتاز
 به من الكلفة والصناعة والتقليد .

شعره في الميزان

الان وقد غرقنا من عرض شعر الشدياق في ديوانه ، لا بد من وضع شاعريته
 في ميزان النقد حتى نتكمن من اعطاء حكمنا عليها . وقبل ان نتقدم الى ذلك نود ان
 نعطي فكرة موجزة عن حالة الشعر في القرن الماضي ، فنقل ما قاله عنه الاستاذ احمد ضيف
 قال :

• كان الشعر في مصر اوائل القرن التاسع عشر وقبله كما كان جميع الاقطار
 العربية : محاكاة للتقديم وجريا على اساليب شعراء العصور المتقدمة في الموضوعات التي
 عرفت ان ذاك من مدح و ذم ونسيب ووصف وغير ذلك . حتى لقد نجد من بين شعراء
 هذا العصر الاخير من يعتمد الى رصانة الشعر القديم فيقلده ، والى اسلوبه المتين

فيحاكيه والى الاخيلة المعروفة فيقتبر منها . وكادت تكون هذه الاساليب كل اغراض الشعراء من قول الشعر . فلم يخرج الشعر عن كونه صناعة من الصناعات لا شعورا ولا اثرا من آثار الهامات النفوس . ولا سمة من سمات العصر الذي كان يعيش فيه هؤلاء الشعراء . وحتى لم يكن هناك وسيلة للتفرقة والتعيز بين شعراء مصر وغيرهم من الاقطار العربية الاخرى سوى ما اتصف به المصري من خفة الروح وعذب الفكاهة ، ككث عرف به في كل زمان . على ان الشعر كان في حالة تقهقر فلم يكن للشعراء اساليب خاصة ، بل كان الشاعر يكتفي بالوزن والقافية واخيلة غيره يضعها في كلام آخر ويلبسها الفاظا اخرى على انه لم تخل الحال في اوائل القرن التاسع عشر وقبله من ان وجد بين هؤلاء الشعراء من كان حسن الديباجة طلي العبارة رفيق الاشارة^(١) .

الا ان الحال لم يدم على ما وصفه ضيف ، اذ ان الشعراء الاوروبي ، عقب الاتصال المباشر باوروبا في مصر وسوريا ، بدأ يؤثر تدريجيا في انتاج شعراء العربية ، اذ بدأ هؤلاء ينحرون من التقليد الصرف الى التقليد الذي يتجلى فيه شيء من التحرر وبرز الشخصية . وهذا يظهر في شعر اليازجي والبستاني والشدياق والساعاتي والنديم وعبد الله فكري وسواهم .

وقد آن لنا الان ان نبحث في شعر الشدياق ، فنحدث عن طبيعته الفنية و عناصر شعره وصناعته الفنية .

طبيعته الفنية

الطبيعة الفنية هي المعين الذي تستمد منه الشاعرة ما حياتها وهي مختلفة عند الشعراء . وعلى اختلافها هذا ينقسم هؤلاء الى ثلاثة انواع رئيسية :
الاول : شاعر عاوى الشخصية تدخل الحياة الى اعماق نفسه فتقبلها وتمثلها ثم تجترها صورة عادية بسيطة قريبة الغور قليلة الجوانب والنشوءات ، ضيقة المدى سطحية خالية كل تنوع او تعقيد .

والثاني : شاعر متشابهك الشخصية معقد الذات تنعكس الحياة من نفسه ، بعد التمثيل والاجرار ، غنية باصور والارجاع ، عميقة الغور واسعة المدى كثيرة التنوع والانعكاسات . حتى ان ذات الشاعر تكاد تختفي وراء ستار يسدله عليها اكباب الشاعر على الموضوع . فالموضوع عنده القاية ، اما شخصيته فانها تعبر على هامشه مخمضة خفية .

والثالث : شاعر مركب الشخصية ، واذا صح التعبير نقول انه متعدد الشخصيات ، لان شخصيته الاولى تجذب اليها شخصيات اخرى ، فتتشابه معها وتتحد ، وبالتالي تتعقد ما شاء لها تعقد تلك الشخصيات المتباينة واختلاف تجاربها ونمساها بالحياة . وشخصية كهذه تكون غنية بالتجارب الناضجة المنسبة من الحياة والقراءة ، وتكون قادرة على استيعاب الحيات واجترارها ، واحيائها في حركة وعمل ونشاط . ومثل هذه الشخصية التي تتميز لها الخلق والابداع تكون قادرة على توليد الحركة الحية التي تخلق العمل التمثيلي ، بانواعه المختلفة ، في القصر والروايات والمسرحيات .

واكثر هالشعراء الفنائيين الوجدانيين يقعون تحت النوع الاول وعلى هذا نستطيع ان نعتبر شعراء المربية منذ اقدم عصورها حتى يقظة النهضة من هذا النوع وعلى هذا يكون الشدياق من هذا النوع او صدى من اصداؤه .

واذا ذهبنا ننتبع نستقرى طبيعته الفنية ، الفيناها ولضعة لا الغاز فيا ولا رموز . فالشدياق اديب صريح مكشوف مكشوف في كل شي . في الحياة وفي ارجاع النفس واصداؤها وفي الادب الذي هو انعكاس عن هذا كله . مكشوف فيما يجب وفيما يبغض ، وفيمن يصادق وفيمن يعادي . وهذه الطبيعة لها جذورها المتمكنة في قرار نفسه ، وفي بيئات حياته .

احتاج اولا الى التقية ، آونة حياته اللبنانية ، ثم لما تنسم نسيم الحرية ، ورتع في ملاعب التفكير والانعتاق ، اظهر ما انطوت عليه ذاته اظهارا لا وجل فيه ولا مداراة ولا تستر . والحياة في اوربا هي خير مدرسة تعلم الانسان الصراحة والوضوح والمجون والا مبالاة . ثم يدور الزمن دورة ، فاذا بنا نراه صحافيا ، يضطر بحكم المهنة ان يكون

(١) للتوسع في هذا الباب راجع المصنف مجلد ٢١ - ٢٠ ، فقد رحبنا اليه واخذنا عنه بعضه الآراء

هذا الوضوح في طبيعته هو الذى ادى الى الوضوح في عمله الشعرى . وان كان يعجل الى الاغراب في بعض الاحيان ، فالاغراب في الشعر غير الغموض . ان الغموض هو طرح لتعقد الذات الشعرية بينما الاغراب هو نتيجة لالتقاء تيارين : معرفة واسعة باللغة ووجهه استعمالها ، مع وضوح في شخصيته . هذا التياران التقيا فاجدا وضوحا في عرض التجربة يحيط به غموض في التعبير عنها . وكان بطبعه ميلا الى هذا الوضوح يؤثره ويقدمه حتى اذا لمصر في فكرة غموضا في اثواب مختلفة . وهذا هو نفس عالم لا نفس شاعر . ومن هذا القبيل قوله في قصيدة مدح بها السلطان عبد المجيد .

لكن يد الله القوية معكم
قد قال في الذكر المفصل زمك
ما الله مخلف وعده لعباده
قد كان مولاكم وها هو لم ينزل
لن يعمل البتار الا ان يشاء الله ما شيء سواء مؤثر
ونصيركم فبحمده فاستظهروا
فتحا مبينا في الكتاب فابشروا
يا قوم فليذكر المتذكر^(١)

فقد كرر فيه الفكرة الدينية وبين اثر يد الله في توجيه مصائر الناس والعالم
وبالاضافة الى عنصر الوضوح هذا نرى عنصرا آخر يسير معه جنبا الى جنب

وهو حب المادة والتكالب عليها ، ويبدو ذلك في قلبه في اذوار حياته فانه كان يهون عليه تغيير الدين واستبدال المبدأ اذا شام في الاتفاق آثار فحامة . وهذا مما جعله في الفترة الاخيرة من حياته ، تلك التي قضاها في الاستانة ، يكرر اكثر نظمه للمناسبات منكسبا به مستجديا ، مهملا ما حوله من بواعث الشاعرية كوصف الطبيعة الحية والصفائية وضعها مخلصا صادقا ، ووصف عالمه الداخلي بما فيه من تنوع وخصب . وقد عبر عن هذا المبدأ بقوله :

فما الشعر ما اعياك في الليل نقده ولكن ما اغناك في الصبح بالنقد^(١)

والشدياق المآدى بينما ينفر وينفر من اسلوب القدماء في الشعر ، اسلوب التقليد ، نرى اكثر بضاعته تقليد يحاول فيه ان يرضي الناس لا ان يرضي مثله الشعري .

ونحن نعتقد ان آثار الشاعرية الحقة موجودة في بعض ما نظمه في المرحلة الاولى من حياته مرحلة الجوع ، قبل ان يؤم الاستانة ويتمسح باعتاب السلطان وياكل فيشيع ، فتصيبه التخمة فيموت .

عناصر الشاعرية

يدخل في بناء الشعر ثلاثة عناصر اساسية تنتج عن ملكات الشاعر الطبيعية وهذه العناصر هي الخيال والعاطفة والفكر . وهذه العناصر لا توجد منفصلة بعضها عن بعض ، بل الاثر الشعري هو مزيج فيها بنسب مختلفة . وباختلاف نسب هذا المزيج تختلف الاساليب الشعرية . فلا يوجد في الشعر عاطفة بلا خيال ولا فكرة وكذلك قل من الخيال ومن الفكرة .

اما نظم الشدياق فقد كان اكثر من الشعر الوصفي والتصويري ومنهما يتولد الشعر القصير ، وان كان معدوما عنده ، والرتاء والوجدان والانواع المختلفة من شعر المناسبات وهذان الغرضان هما مظهران لعمل الخيال في الدرجة الاولى . وهذا ما يجعلنا نعتقد ان عنصر الخيال عند الشدياق كان اقوى من عنصرى الفكرة والعاطفة . فالخيال

(١) لئرا الرغائب ٢٨ ص ١٨٦

في طبيعته هو وضع الاشياء في مركبات جديدة . وهذا واضح جلي في شكواه من الدنيا ومن اهلها . والخيال نوعان اساسيان خيال مبتدع وآخر معتل . والخيال المبتدع هو الذى يخلق العلاقات جديدة بين الاشياء . وهذا يظهر جليا في نثر الشدياق وبعض شعره . اما المعتل فانه قائم على تصوير الاشياء على اساس الاضافة الى اشياء اخرى تقويها وتظهرها . ومظهر هذا النوع فنون البيان والبديع . والشدياق في نظمه توسع في هذه واتى فيها بكل طريف . ولهذا نستطيع ان نقول ان خيال الشدياق في شعره هو خيال تداعى وتفسير وتعليل ، يقوم على ربط الاشياء بوشائج جديدة . وهذا الخيال قريب المدى قل ان يمتد لاكثر من صورة خاطفة تظهر في استعارة او تورية او جناس او غير هذه من انواع الصنعة البيانية والبديعية . ويجب الا يصرفنا هذا الحكم عن ان نشير اشارة عاجلة الى امر متناوله فيما بعد بالتفصيل ، وهو ان الكثير من صوره الخيالية كان مأخوذا عن سبقه من الشعراء .

والخيال في اصله عمل مجرد عن الحياة ، تلمس اول ما تلمس فيه البرودة والجمود ولولا دخول العاطفة اليه وتفاعلها معه لما لمسنا في الشعر ما تلمسه فيه من حياة وحرارة وشعور ، ولما استطاع الشاعر ان يحرك اوتار نفس القارىء ، وان يهز مشاعره وعواطفه فيجعله يتألم لآلمه ويسر لسروره .

والعاطفة كعنصر اساسي في شعر الشاعر تظهر في موسيقى المعاني والذبذبات الشعرية في القصيدة ، ووضح ما تكون هذه الموسيقى المؤثرة في انشاد الشاعر لشعره بنفسه ، حتى تلمس خطوط التأثير في صوته وعلى قسماط وجهه . وهذا ليس بمفيسر لنا الا ان ، ولهذا يجب علينا ان نتلمس آثار العاطفة اثنا انشادنا للقصيدة ، رغم ان صدق التأثير لا يكون في قوته كالتأثير المباشر .

والعاطفة شيء لا نستطيع ان نحدده تحديدا موضوعيا . وانما هو ذاتي كل الذاتية تلمسه في نفسك ان كانت من النفوس التي تهتز للشعر وتتأثر به . وتنوع العواطف في القصيدة بين حزن والم وخوف وسرور وحنو وحب هو مقياس حساسية الشاعر ، لان

النفوس الحساسة هي التي تسجل ادق الاحساسات ، اما اذا كانت العاطفة مكررة واحدة التوقيع والاحداث ، متلاحقة التموجات والاهتزازات فانها تكون عاطفة عادية ، بينها وبين العواطف الراقية ما بين النفوس الحساسة والنفوس الجامدة .

وبعد فابن نضع عاطفة الشدياق ؟ لقد كان الشدياق باردا في احساسه وتأثيره ففي غزله مثلاً وصف خارجي للحس الخارجي ، لا تدعمه عاطفة باطنية عميقة حية فائضة . وفي رثائه وهو مجلى لارق العوطف ، وارق الاحساسات برود وتسمر^(١) . وهل ادل على خفوة العاطفة عنده ، من رثائه لابنه في تلك القصيدة المنسوخة عن قصيدة التهامي التي جاءت فيها عاطفته صدى لعاطفة والصدى عادة اضعف من الاصل . كما ان قصيدته هذه ، كما ذكرنا سابقا ، كانت من الشكف والصنعة بكثر يجعلنا نحكم على شعره جميعه بالهلالة والفتور والتراخي . فأي عاطفة اعمق من عاطفة الحزن ؟ وأي حزن اقوى من حزن الاب لفقد قلزة كبده ؟ وابن يكون الصدى في العاطفة اذا لم يكن هنا .

اما عاطفة الحزن والاس التي تظهر في ذمة للدنيا وشكواه منها ومن الناس ، فانها اعمق عاطفة احسن بها وغير عنها بصدق وامانة . ولعل للجوع الذي كان يسود صفحات حياته انذاك اثر في ذلك^(٢) .

اما في شعر المناسبات فاننا لا ننتظر منه عاطفة صادقة تخرج من اعماق النفس ان قل ان يغني فيه لنفسه ، وعاطفته فيه مستعارة في الاكثر .

للعاطفة عند الشدياق اذن هي عاطفة عادية مصدرها الحس الخارجي ، لم تتعمق الى قرار نفسه وهي وان تعمقت في حزنه على فقد ابنه فانه عجز عن ان ينقلها اليها بصدق ودقة واخلاص .

اما الفكرة فهي الراورق الذي تمر فيه العواطف والاخيلة فيصفيها ويزنها . وهو تحديد للتجربة التي يمر بها الشاعر . والفكر الانساني واسع يتناول حقائق الوجود من محدود وغير محدود ، وكلما كان هذا الفكر عميقا كلما كان اقرب الى بلوغ مناطق

(١) راجع لفتاوى باشا ص ١٥٩ من الديوان وقد اقتبسناه فيما مضى من هذا الديوان
(٢) كنهه جميل الاعتقاد بأن معظم ما نظم في هذا الباب كان قبل ابعاده بالسلطان لانه نال من اثر الممان والضائق والالم ، مما لم يطرقة الشدياق في الدائمة

الوجود الاسمي للانسان والفكر يحقق ويتغلغل اذا كان نتيجة للانطواء الداخلي والتأمل العميق . ولا تنتظر هذا من شاعر كالشدياق ، نظم اكثر شعره الذي بين ايدينا في المناسبات وكان فيه مقلدا سارقا في اكثر الاحيان . فطبيعي والحالة هذه ان تكون الفكرة عنده ضحلة سطحية ، باستثناء بعض ابياته في ذم الدنيا التي نعتبرها نحن خير ما قرأناه له من شعر .

بقي ان نتحدث عن صناعته الفنية ، وقد ظهر فيها نظاما ولهذا نلحج آثار الاختلال فيما نظم ، الاختلاس بين الشاعرية الصامية والصناعة الفنية . بين الروح الشعرية والتعبير الشعري . ولذا نرى قوائمه اوسع من معانيه ، وصناعته اجمل من شاعريته . وقد انسدت عليه هذه الصناعة شاعريته في اكثر ما نظم . فقد جرى وراها وكأنها الغرض الاول للشعر . ومن هنا كان كله بانواع البديع من جناس وطباق وتورية وغير ذلك مما يعج به شعره . والشدياق يتخذ من شعره وسيلة لاطهار تعمقه في درس اللغة ومعرفته المحيطة بها ، فهو لغوي نحاس في شعره قبل ان يكون مصورا حساسا . وهذا راجع الى اتجاهه العلمي في هذه المرحلة من حياته ، وإلى اطلاعه الواسع على اللغة ، ذلك الاطلاع الذي مكّنه من ادراك سر التفاضل بين الالفاظ واسرار تألفها وتشابكها .

والظاهرة التي تكاد تطفئ على شعر الشدياق هي ظاهرة التقليد ، ومن عناصرها

- ١ . متابعة المتقدمين في اساليب النظم .
- ٢ . النسخ على منوال بعض القصائد .
- ٣ . اخذ بعض المعاني والتركيب الشعرية .
- ٤ . التوسع في استعمال البديع .
- ٥ . استعمال التاريخ الشعري .
- ٦ . الامراب .
- ٧ . التلاعب بالالفاظ .
- ٨ . كثرة الاشارات

وستنكم عن كل منها بشيء من التفصيل .

اما متابعة المتقدمين في اساليب النظم فقد ظهرت في انتاج مسلهم في استهلال القصائد كان يبدأ قصيدته ، كما كانوا يبدأونها ، بالوقوف على الاطلال وروع الديار ، وذكر الاحبة الذين ترحلوا عنها ، وقد اشرنا الى ذلك سابقا . او كان خليته فيبدأ القصيدة بمقدمة غزلية يتوصل بها بعد بيت التخلع المدح او سواء من اغراضه الشعرية . وقد اشرنا الى ذلك سابقا .

وقد كان يشتط في التقليد احيانا فتاتي قصيدته مسخا بقصيدة سابقة او معارضة لها . وقد اشرنا سابقا الى قصيدته في رثاء ابنه و اشرنا الى تاثيرها فيها بقصيدة التهامي . وقد آن لنا ان نقف على هاتين القصيدتين فتقتبس من كل منهما ما يبين ما بينهما من التشابه .

قال الشدياق :

والذكر ما وارك ترب وار	الدمع بعدك ما ذكرتك جار
تصلى من الحشرات كل اوار	يا راحلا عن مهجة غادرتها
ما في حشاي سوى لهيب النار	خطا وهمت فابن بعدك مهجتي
فكانه وقر من الاوقار	رمقا اقل الجسم مني فادحا
عينا على الاثار والاذكار	ما كان ضر الدهر لو ابقاك لي
شي من الظلمات والانوار	ما بعدا فقدك رائعي او رائتي
طلع الصباح وانت عني سسار	سيان ان جن الظلام على او
من مطمع فيه الى الاسحار	يا بشن ذاك الليل اذ لم يبق لي
ارقتني من قبله ستا وفيه	حسرت خمسي واستطبت شعاري
ابنتي ما يجدى التصبر قولهم	حكم النية في البرية جار
كلا ولا بي قر بعدك من حمى	ما هذه الدنيا بدار قرار

حين عليّ خلا من استذكار
فليتلون رثاك عني القارى
عدم التبصر في احتمال خسارى
وكوت حنى شغاة الزوار
قد ذقت من نكل ووحشة جار
شتان بين جواره وجوارى
تأويها وابان قصم فقارى
ابذا وفارقتني على اجبارى
من ناظرى فكل نجم سار
بعدى ويبلغ اطول الاعمار^(١)

لا انسيفك او احين فلما اتى
ولارثيك ما بقيت وان امك
يا حسرة عدم التصبر بعد ما
كثر المعايين لي وقل معاوئي
فرويت بيتا قاله من ذاق ما
جاورت اعداى وجاور ربه
يا فجة نزلت لحطم كاهلى
في ليلة فارقت فيها ناظرى
لا فزو ان يك قد سرى جنج الذجى
قد كنت اطمع ان يعينر مهنتا

ارايك كيف تتجلى الصفة في شعره وكيف يبرز التكلف . ارايت كيف تجمد العواطف
وتتسمر ؟ اذا كان هذا فاليك مثلا من قصيدة التهامي التي نسج الشدياق على منوالها
لترى التفاوت في الشعر وترى العاطفة الصادقة المتأججة تقابلها عاطفة فاترة باردة .

ما هذه الدنيا بدار قرار
حتى يرى خيرا من الاخبار
صلوا من الاقذار والاكدار
متطلب في الماء جذوة نثار
تبني الرجاء على شفير هار
والمرء بينهما خيال سار
اماركم سفر من الاسفار
ان تسترد فانهم عسوار

حكم النية في البرية جار
بيتا يرى الانسان فيها مخبرا
طبعته على كدر وانت تريد ها
ومكلف الايام ضد طهاها
واذا رجوت المستحيل فانما
فالعينر نوم والنية يقظة
فاقضوا بأريكم حبالا انما
وتراكضوا خيل الشباب وهاد روا

فالدهر يخدع بالعتى وينسى ان
ليس الزمان وان حرصت ^{منا} ما
اني وترت بهارم ذى رونسق
والنفس ان رضيت بذلك او ابست
هنا ويهدم ما بنى بسوار
خلق الزمان عداوة الاحرار
اعددته لطلابه الا وتار
منقادة بازمة المقدار

يا كوكبا ما كان اقصر عمره
وهلال ايام مضي لم يستدر
هجل الخسوف عليه قبل اوانه
واستل من انزابه ولسداته
ابكيه ثم اقول معتذرا له
جاورت اعدائي وجاور ربه
اخفي من البرحاء نارا مثل ما
واخفى الزفرات وهي صواعد
وشهاب نار الحزن ان طاعته
واكف نيران الاسى ولربما
نوب الرياء يشف عما تحسنته
قصرت جفوني ام تباعد بينهما
احبي الليالي التم وهي تبتغي
وطرى من الدنيا الشباب وروقه
قصرت مسافته وما حسنته
نزداد هما كلما ازدادنا غنى
ما زاد فوق الزاد خلف ضائعا
اني لأرحم حاسدى لحر ما
وكذاك عمر كواكب الاسحار
بدرا ولم يحمل لوقت سرار
فحاء قبل مظنة الابدار
كالمقلة استلت من الاشعار
وفقت حين تركت الام دار
شأن بين جواره وجواري
يخفي من النار الزناد الواري
واكفك العبرات وهي جوار
اورى وان عاصيته مشواري
غلب التصبر فارتعت بشرار
واذا التحفت به فانك عار
ام صوّرت عيني بلا اشعار
ويمتحن تبليج الاسحار
فاذا انقضى فقد انقضت اوطاري
عندى ولا الاوه بقصاري
والفقر كل الفقر في الاكثار
في حادث او وارث او عار
ضمنت صدورهم من الاوغار^(١)

وقصيدته النوتية في مدح السلطان التي مطلعها .

لمولانا امير المؤمنين ميينا مدى الاغصان كل المارحين^(١)

تشبه الى حد كبير معلقة عمرو بن كلثوم التي مطلعها .

الا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندريسا

وهكذا يشتطع الباحث المدقق تتبع آثار الشعر القديم في تركيب قصائده ، فكانه كان اذا اراد نظم قصيدة في موضوع ما وضع امامه قصيدة لاحد الشعراء ، واخذ يتاثر خطاها ويتسقط ظلالها الشعرية .

وكان يذهب في التقليد مذاهب شتى ، حتى انه كان احيانا ينسخ المعاني عن غيره دون تحفظ ، وقد اخذ الكثير من المعاني والتركيب عما سبقه من آثار الشعر والقرآن والحديث والامثال وسواها ، ونحو ذلك قوله :

وعكر الذي قد مر اكثر فاستد الا ايها ذا اللائي والمعائب^(٢)

وقوله :

كل حلو لي لم ذي السقم مسو والدجى للاعي تطير الا صيل^(٣)

وقوله :

ومن نكد الدنيا معاداة ما رق لثم يبيع الدين والعرض بالكار^(٤)

وقوله :

السيد ابن السيد ابــــن السيد المتايد^(٥)

وقوله :

فيا لك من يوم كره صباحه ويا لك من ليل بطي الكواكب^(٦)

(١) كنز الغرائب ٢٨٤ ص ٢٤٤ (٢) ص ٤٢ (٣) ص ٦٤ (٤) ص ٩١ (٥) ص ١٤١

وقوله :

ما في وفوقك ساعة من باس
شدت كواكبه الى امرا

ولقد وقتت ببها ببها بتمنلا
ليلي بهيم سرمد فكانما

وقوله :

يرى كل ما تحوى العباب معايبا

اعوذ برب الناس من شر حاسد

وقوله :

علي فبعض الشر اهن من بعض

وقالت الا قم مثلما كنت قائما

ومن مظاهر تقليده الاكثار من البديع والصنعة كالتورية والجناس والطباق والترصيع
والاشارة والتضمين . واذا اردت مثلا فالديوان امامك قل ان تخلو صفحة منه من
نوع هذه او اكثر . ومن مظاهره ايضا التاريخ الشعري كقوله :

لدى الورى طرا رفيع عزيز
في عام خير ساد عبد العزيز

سلفاننا الاسمى الذى بشانه
حاز زمام الطك تاريخه

والاغراب ايضا شبة من شبات التقليد . فقد كان ميالا اليه ، وكان في بعض
الاحيان يشعر باغرابه فيحاول شرح بعض الالفاظ الغامضة . ومن قبيل اغرابه :

قوله :

بزفت ارادته عليه هريما

ان ايهمت خطط واغطر ليلها

وقوله :

فانت اثنين المشتكى الم الرض

كبت على الدنيا وجسمي طهمل

وقوله :

لنكوس راس ان يبلغني رنعا

ومهما تر الدنيا من الهكولم يكن

وقوله :

يرضى الورى طرا جنى الزرجون

هب خط خطي في امواج فالذى

(١) ص ١٥١ (٢) ص ١٥٢ (٣) ص ١٥٣ (٤) ص ١٥٤ (٥) ص ١٥٥ (٦) ص ١٥٦ (٧) ص ١٥٧ (٨) ص ١٥٨ (٩) ص ١٥٩ (١٠) ص ١٦٠ (١١) ص ١٦١ (١٢) ص ١٦٢ (١٣) ص ١٦٣ (١٤) ص ١٦٤ (١٥) ص ١٦٥ (١٦) ص ١٦٦ (١٧) ص ١٦٧ (١٨) ص ١٦٨ (١٩) ص ١٦٩ (٢٠) ص ١٧٠ (٢١) ص ١٧١ (٢٢) ص ١٧٢ (٢٣) ص ١٧٣ (٢٤) ص ١٧٤ (٢٥) ص ١٧٥ (٢٦) ص ١٧٦ (٢٧) ص ١٧٧ (٢٨) ص ١٧٨ (٢٩) ص ١٧٩ (٣٠) ص ١٨٠ (٣١) ص ١٨١ (٣٢) ص ١٨٢ (٣٣) ص ١٨٣ (٣٤) ص ١٨٤ (٣٥) ص ١٨٥ (٣٦) ص ١٨٦ (٣٧) ص ١٨٧ (٣٨) ص ١٨٨ (٣٩) ص ١٨٩ (٤٠) ص ١٩٠ (٤١) ص ١٩١ (٤٢) ص ١٩٢ (٤٣) ص ١٩٣ (٤٤) ص ١٩٤ (٤٥) ص ١٩٥ (٤٦) ص ١٩٦ (٤٧) ص ١٩٧ (٤٨) ص ١٩٨ (٤٩) ص ١٩٩ (٥٠) ص ٢٠٠ (٥١) ص ٢٠١ (٥٢) ص ٢٠٢ (٥٣) ص ٢٠٣ (٥٤) ص ٢٠٤ (٥٥) ص ٢٠٥ (٥٦) ص ٢٠٦ (٥٧) ص ٢٠٧ (٥٨) ص ٢٠٨ (٥٩) ص ٢٠٩ (٦٠) ص ٢١٠ (٦١) ص ٢١١ (٦٢) ص ٢١٢ (٦٣) ص ٢١٣ (٦٤) ص ٢١٤ (٦٥) ص ٢١٥ (٦٦) ص ٢١٦ (٦٧) ص ٢١٧ (٦٨) ص ٢١٨ (٦٩) ص ٢١٩ (٧٠) ص ٢٢٠ (٧١) ص ٢٢١ (٧٢) ص ٢٢٢ (٧٣) ص ٢٢٣ (٧٤) ص ٢٢٤ (٧٥) ص ٢٢٥ (٧٦) ص ٢٢٦ (٧٧) ص ٢٢٧ (٧٨) ص ٢٢٨ (٧٩) ص ٢٢٩ (٨٠) ص ٢٣٠ (٨١) ص ٢٣١ (٨٢) ص ٢٣٢ (٨٣) ص ٢٣٣ (٨٤) ص ٢٣٤ (٨٥) ص ٢٣٥ (٨٦) ص ٢٣٦ (٨٧) ص ٢٣٧ (٨٨) ص ٢٣٨ (٨٩) ص ٢٣٩ (٩٠) ص ٢٤٠ (٩١) ص ٢٤١ (٩٢) ص ٢٤٢ (٩٣) ص ٢٤٣ (٩٤) ص ٢٤٤ (٩٥) ص ٢٤٥ (٩٦) ص ٢٤٦ (٩٧) ص ٢٤٧ (٩٨) ص ٢٤٨ (٩٩) ص ٢٤٩ (١٠٠) ص ٢٥٠ (١٠١) ص ٢٥١ (١٠٢) ص ٢٥٢ (١٠٣) ص ٢٥٣ (١٠٤) ص ٢٥٤ (١٠٥) ص ٢٥٥ (١٠٦) ص ٢٥٦ (١٠٧) ص ٢٥٧ (١٠٨) ص ٢٥٨ (١٠٩) ص ٢٥٩ (١١٠) ص ٢٦٠ (١١١) ص ٢٦١ (١١٢) ص ٢٦٢ (١١٣) ص ٢٦٣ (١١٤) ص ٢٦٤ (١١٥) ص ٢٦٥ (١١٦) ص ٢٦٦ (١١٧) ص ٢٦٧ (١١٨) ص ٢٦٨ (١١٩) ص ٢٦٩ (١٢٠) ص ٢٧٠ (١٢١) ص ٢٧١ (١٢٢) ص ٢٧٢ (١٢٣) ص ٢٧٣ (١٢٤) ص ٢٧٤ (١٢٥) ص ٢٧٥ (١٢٦) ص ٢٧٦ (١٢٧) ص ٢٧٧ (١٢٨) ص ٢٧٨ (١٢٩) ص ٢٧٩ (١٣٠) ص ٢٨٠ (١٣١) ص ٢٨١ (١٣٢) ص ٢٨٢ (١٣٣) ص ٢٨٣ (١٣٤) ص ٢٨٤ (١٣٥) ص ٢٨٥ (١٣٦) ص ٢٨٦ (١٣٧) ص ٢٨٧ (١٣٨) ص ٢٨٨ (١٣٩) ص ٢٨٩ (١٤٠) ص ٢٩٠ (١٤١) ص ٢٩١ (١٤٢) ص ٢٩٢ (١٤٣) ص ٢٩٣ (١٤٤) ص ٢٩٤ (١٤٥) ص ٢٩٥ (١٤٦) ص ٢٩٦ (١٤٧) ص ٢٩٧ (١٤٨) ص ٢٩٨ (١٤٩) ص ٢٩٩ (١٥٠) ص ٣٠٠ (١٥١) ص ٣٠١ (١٥٢) ص ٣٠٢ (١٥٣) ص ٣٠٣ (١٥٤) ص ٣٠٤ (١٥٥) ص ٣٠٥ (١٥٦) ص ٣٠٦ (١٥٧) ص ٣٠٧ (١٥٨) ص ٣٠٨ (١٥٩) ص ٣٠٩ (١٦٠) ص ٣١٠ (١٦١) ص ٣١١ (١٦٢) ص ٣١٢ (١٦٣) ص ٣١٣ (١٦٤) ص ٣١٤ (١٦٥) ص ٣١٥ (١٦٦) ص ٣١٦ (١٦٧) ص ٣١٧ (١٦٨) ص ٣١٨ (١٦٩) ص ٣١٩ (١٧٠) ص ٣٢٠ (١٧١) ص ٣٢١ (١٧٢) ص ٣٢٢ (١٧٣) ص ٣٢٣ (١٧٤) ص ٣٢٤ (١٧٥) ص ٣٢٥ (١٧٦) ص ٣٢٦ (١٧٧) ص ٣٢٧ (١٧٨) ص ٣٢٨ (١٧٩) ص ٣٢٩ (١٨٠) ص ٣٣٠ (١٨١) ص ٣٣١ (١٨٢) ص ٣٣٢ (١٨٣) ص ٣٣٣ (١٨٤) ص ٣٣٤ (١٨٥) ص ٣٣٥ (١٨٦) ص ٣٣٦ (١٨٧) ص ٣٣٧ (١٨٨) ص ٣٣٨ (١٨٩) ص ٣٣٩ (١٩٠) ص ٣٤٠ (١٩١) ص ٣٤١ (١٩٢) ص ٣٤٢ (١٩٣) ص ٣٤٣ (١٩٤) ص ٣٤٤ (١٩٥) ص ٣٤٥ (١٩٦) ص ٣٤٦ (١٩٧) ص ٣٤٧ (١٩٨) ص ٣٤٨ (١٩٩) ص ٣٤٩ (٢٠٠) ص ٣٥٠ (٢٠١) ص ٣٥١ (٢٠٢) ص ٣٥٢ (٢٠٣) ص ٣٥٣ (٢٠٤) ص ٣٥٤ (٢٠٥) ص ٣٥٥ (٢٠٦) ص ٣٥٦ (٢٠٧) ص ٣٥٧ (٢٠٨) ص ٣٥٨ (٢٠٩) ص ٣٥٩ (٢١٠) ص ٣٦٠ (٢١١) ص ٣٦١ (٢١٢) ص ٣٦٢ (٢١٣) ص ٣٦٣ (٢١٤) ص ٣٦٤ (٢١٥) ص ٣٦٥ (٢١٦) ص ٣٦٦ (٢١٧) ص ٣٦٧ (٢١٨) ص ٣٦٨ (٢١٩) ص ٣٦٩ (٢٢٠) ص ٣٧٠ (٢٢١) ص ٣٧١ (٢٢٢) ص ٣٧٢ (٢٢٣) ص ٣٧٣ (٢٢٤) ص ٣٧٤ (٢٢٥) ص ٣٧٥ (٢٢٦) ص ٣٧٦ (٢٢٧) ص ٣٧٧ (٢٢٨) ص ٣٧٨ (٢٢٩) ص ٣٧٩ (٢٣٠) ص ٣٨٠ (٢٣١) ص ٣٨١ (٢٣٢) ص ٣٨٢ (٢٣٣) ص ٣٨٣ (٢٣٤) ص ٣٨٤ (٢٣٥) ص ٣٨٥ (٢٣٦) ص ٣٨٦ (٢٣٧) ص ٣٨٧ (٢٣٨) ص ٣٨٨ (٢٣٩) ص ٣٨٩ (٢٤٠) ص ٣٩٠ (٢٤١) ص ٣٩١ (٢٤٢) ص ٣٩٢ (٢٤٣) ص ٣٩٣ (٢٤٤) ص ٣٩٤ (٢٤٥) ص ٣٩٥ (٢٤٦) ص ٣٩٦ (٢٤٧) ص ٣٩٧ (٢٤٨) ص ٣٩٨ (٢٤٩) ص ٣٩٩ (٢٥٠) ص ٤٠٠ (٢٥١) ص ٤٠١ (٢٥٢) ص ٤٠٢ (٢٥٣) ص ٤٠٣ (٢٥٤) ص ٤٠٤ (٢٥٥) ص ٤٠٥ (٢٥٦) ص ٤٠٦ (٢٥٧) ص ٤٠٧ (٢٥٨) ص ٤٠٨ (٢٥٩) ص ٤٠٩ (٢٦٠) ص ٤١٠ (٢٦١) ص ٤١١ (٢٦٢) ص ٤١٢ (٢٦٣) ص ٤١٣ (٢٦٤) ص ٤١٤ (٢٦٥) ص ٤١٥ (٢٦٦) ص ٤١٦ (٢٦٧) ص ٤١٧ (٢٦٨) ص ٤١٨ (٢٦٩) ص ٤١٩ (٢٧٠) ص ٤٢٠ (٢٧١) ص ٤٢١ (٢٧٢) ص ٤٢٢ (٢٧٣) ص ٤٢٣ (٢٧٤) ص ٤٢٤ (٢٧٥) ص ٤٢٥ (٢٧٦) ص ٤٢٦ (٢٧٧) ص ٤٢٧ (٢٧٨) ص ٤٢٨ (٢٧٩) ص ٤٢٩ (٢٨٠) ص ٤٣٠ (٢٨١) ص ٤٣١ (٢٨٢) ص ٤٣٢ (٢٨٣) ص ٤٣٣ (٢٨٤) ص ٤٣٤ (٢٨٥) ص ٤٣٥ (٢٨٦) ص ٤٣٦ (٢٨٧) ص ٤٣٧ (٢٨٨) ص ٤٣٨ (٢٨٩) ص ٤٣٩ (٢٩٠) ص ٤٤٠ (٢٩١) ص ٤٤١ (٢٩٢) ص ٤٤٢ (٢٩٣) ص ٤٤٣ (٢٩٤) ص ٤٤٤ (٢٩٥) ص ٤٤٥ (٢٩٦) ص ٤٤٦ (٢٩٧) ص ٤٤٧ (٢٩٨) ص ٤٤٨ (٢٩٩) ص ٤٤٩ (٣٠٠) ص ٤٥٠ (٣٠١) ص ٤٥١ (٣٠٢) ص ٤٥٢ (٣٠٣) ص ٤٥٣ (٣٠٤) ص ٤٥٤ (٣٠٥) ص ٤٥٥ (٣٠٦) ص ٤٥٦ (٣٠٧) ص ٤٥٧ (٣٠٨) ص ٤٥٨ (٣٠٩) ص ٤٥٩ (٣١٠) ص ٤٦٠ (٣١١) ص ٤٦١ (٣١٢) ص ٤٦٢ (٣١٣) ص ٤٦٣ (٣١٤) ص ٤٦٤ (٣١٥) ص ٤٦٥ (٣١٦) ص ٤٦٦ (٣١٧) ص ٤٦٧ (٣١٨) ص ٤٦٨ (٣١٩) ص ٤٦٩ (٣٢٠) ص ٤٧٠ (٣٢١) ص ٤٧١ (٣٢٢) ص ٤٧٢ (٣٢٣) ص ٤٧٣ (٣٢٤) ص ٤٧٤ (٣٢٥) ص ٤٧٥ (٣٢٦) ص ٤٧٦ (٣٢٧) ص ٤٧٧ (٣٢٨) ص ٤٧٨ (٣٢٩) ص ٤٧٩ (٣٣٠) ص ٤٨٠ (٣٣١) ص ٤٨١ (٣٣٢) ص ٤٨٢ (٣٣٣) ص ٤٨٣ (٣٣٤) ص ٤٨٤ (٣٣٥) ص ٤٨٥ (٣٣٦) ص ٤٨٦ (٣٣٧) ص ٤٨٧ (٣٣٨) ص ٤٨٨ (٣٣٩) ص ٤٨٩ (٣٤٠) ص ٤٩٠ (٣٤١) ص ٤٩١ (٣٤٢) ص ٤٩٢ (٣٤٣) ص ٤٩٣ (٣٤٤) ص ٤٩٤ (٣٤٥) ص ٤٩٥ (٣٤٦) ص ٤٩٦ (٣٤٧) ص ٤٩٧ (٣٤٨) ص ٤٩٨ (٣٤٩) ص ٤٩٩ (٣٥٠) ص ٥٠٠ (٣٥١) ص ٥٠١ (٣٥٢) ص ٥٠٢ (٣٥٣) ص ٥٠٣ (٣٥٤) ص ٥٠٤ (٣٥٥) ص ٥٠٥ (٣٥٦) ص ٥٠٦ (٣٥٧) ص ٥٠٧ (٣٥٨) ص ٥٠٨ (٣٥٩) ص ٥٠٩ (٣٦٠) ص ٥١٠ (٣٦١) ص ٥١١ (٣٦٢) ص ٥١٢ (٣٦٣) ص ٥١٣ (٣٦٤) ص ٥١٤ (٣٦٥) ص ٥١٥ (٣٦٦) ص ٥١٦ (٣٦٧) ص ٥١٧ (٣٦٨) ص ٥١٨ (٣٦٩) ص ٥١٩ (٣٧٠) ص ٥٢٠ (٣٧١) ص ٥٢١ (٣٧٢) ص ٥٢٢ (٣٧٣) ص ٥٢٣ (٣٧٤) ص ٥٢٤ (٣٧٥) ص ٥٢٥ (٣٧٦) ص ٥٢٦ (٣٧٧) ص ٥٢٧ (٣٧٨) ص ٥٢٨ (٣٧٩) ص ٥٢٩ (٣٨٠) ص ٥٣٠ (٣٨١) ص ٥٣١ (٣٨٢) ص ٥٣٢ (٣٨٣) ص ٥٣٣ (٣٨٤) ص ٥٣٤ (٣٨٥) ص ٥٣٥ (٣٨٦) ص ٥٣٦ (٣٨٧) ص ٥٣٧ (٣٨٨) ص ٥٣٨ (٣٨٩) ص ٥٣٩ (٣٩٠) ص ٥٤٠ (٣٩١) ص ٥٤١ (٣٩٢) ص ٥٤٢ (٣٩٣) ص ٥٤٣ (٣٩٤) ص ٥٤٤ (٣٩٥) ص ٥٤٥ (٣٩٦) ص ٥٤٦ (٣٩٧) ص ٥٤٧ (٣٩٨) ص ٥٤٨ (٣٩٩) ص ٥٤٩ (٤٠٠) ص ٥٥٠ (٤٠١) ص ٥٥١ (٤٠٢) ص ٥٥٢ (٤٠٣) ص ٥٥٣ (٤٠٤) ص ٥٥٤ (٤٠٥) ص ٥٥٥ (٤٠٦) ص ٥٥٦ (٤٠٧) ص ٥٥٧ (٤٠٨) ص ٥٥٨ (٤٠٩) ص ٥٥٩ (٤١٠) ص ٥٦٠ (٤١١) ص ٥٦١ (٤١٢) ص ٥٦٢ (٤١٣) ص ٥٦٣ (٤١٤) ص ٥٦٤ (٤١٥) ص ٥٦٥ (٤١٦) ص ٥٦٦ (٤١٧) ص ٥٦٧ (٤١٨) ص ٥٦٨ (٤١٩) ص ٥٦٩ (٤٢٠) ص ٥٧٠ (٤٢١) ص ٥٧١ (٤٢٢) ص ٥٧٢ (٤٢٣) ص ٥٧٣ (٤٢٤) ص ٥٧٤ (٤٢٥) ص ٥٧٥ (٤٢٦) ص ٥٧٦ (٤٢٧) ص ٥٧٧ (٤٢٨) ص ٥٧٨ (٤٢٩) ص ٥٧٩ (٤٣٠) ص ٥٨٠ (٤٣١) ص ٥٨١ (٤٣٢) ص ٥٨٢ (٤٣٣) ص ٥٨٣ (٤٣٤) ص ٥٨٤ (٤٣٥) ص ٥٨٥ (٤٣٦) ص ٥٨٦ (٤٣٧) ص ٥٨٧ (٤٣٨) ص ٥٨٨ (٤٣٩) ص ٥٨٩ (٤٤٠) ص ٥٩٠ (٤٤١) ص ٥٩١ (٤٤٢) ص ٥٩٢ (٤٤٣) ص ٥٩٣ (٤٤٤) ص ٥٩٤ (٤٤٥) ص ٥٩٥ (٤٤٦) ص ٥٩٦ (٤٤٧) ص ٥٩٧ (٤٤٨) ص ٥٩٨ (٤٤٩) ص ٥٩٩ (٤٥٠) ص ٦٠٠ (٤٥١) ص ٦٠١ (٤٥٢) ص ٦٠٢ (٤٥٣) ص ٦٠٣ (٤٥٤) ص ٦٠٤ (٤٥٥) ص ٦٠٥ (٤٥٦) ص ٦٠٦ (٤٥٧) ص ٦٠٧ (٤٥٨) ص ٦٠٨ (٤٥٩) ص ٦٠٩ (٤٦٠) ص ٦١٠ (٤٦١) ص ٦١١ (٤٦٢) ص ٦١٢ (٤٦٣) ص ٦١٣ (٤٦٤) ص ٦١٤ (٤٦٥) ص ٦١٥ (٤٦٦) ص ٦١٦ (٤٦٧) ص ٦١٧ (٤٦٨) ص ٦١٨ (٤٦٩) ص ٦١٩ (٤٧٠) ص ٦٢٠ (٤٧١) ص ٦٢١ (٤٧٢) ص ٦٢٢ (٤٧٣) ص ٦٢٣ (٤٧٤) ص ٦٢٤ (٤٧٥) ص ٦٢٥ (٤٧٦) ص ٦٢٦ (٤٧٧) ص ٦٢٧ (٤٧٨) ص ٦٢٨ (٤٧٩) ص ٦٢٩ (٤٨٠) ص ٦٣٠ (٤٨١) ص ٦٣١ (٤٨٢) ص ٦٣٢ (٤٨٣) ص ٦٣٣ (٤٨٤) ص ٦٣٤ (٤٨٥) ص ٦٣٥ (٤٨٦) ص ٦٣٦ (٤٨٧) ص ٦٣٧ (٤٨٨) ص ٦٣٨ (٤٨٩) ص ٦٣٩ (٤٩٠) ص ٦٤٠ (٤٩١) ص ٦٤١ (٤٩٢) ص ٦٤٢ (٤٩٣) ص ٦٤٣ (٤٩٤) ص ٦٤٤ (٤٩٥) ص ٦٤٥ (٤٩٦) ص ٦٤٦ (٤٩٧) ص ٦٤٧ (٤٩٨) ص ٦٤٨ (٤٩٩) ص ٦٤٩ (٥٠٠) ص ٦٥٠ (٥٠١) ص ٦٥١ (٥٠٢) ص ٦٥٢ (٥٠٣) ص ٦٥٣ (٥٠٤) ص ٦٥٤ (٥٠٥) ص ٦٥٥ (٥٠٦) ص ٦٥٦ (٥٠٧) ص ٦٥٧ (٥٠٨) ص ٦٥٨ (٥٠٩) ص ٦٥٩ (٥١٠) ص ٦٦٠ (٥١١) ص ٦٦١ (٥١٢) ص ٦٦٢ (٥١٣) ص ٦٦٣ (٥١٤) ص ٦٦٤ (٥١٥) ص ٦٦٥ (٥١٦) ص ٦٦٦ (٥١٧) ص ٦٦٧ (٥١٨) ص ٦٦٨ (٥١٩) ص ٦٦٩ (٥٢٠) ص ٦٧٠ (٥٢١) ص ٦٧١ (٥٢٢) ص ٦٧٢ (٥٢٣) ص ٦٧٣ (٥٢٤) ص ٦٧٤ (٥٢٥) ص ٦٧٥ (٥٢٦) ص ٦٧٦ (٥٢٧) ص ٦٧٧ (٥٢٨) ص ٦٧٨ (٥٢٩) ص ٦٧٩ (٥٣٠) ص ٦٨٠ (٥٣١) ص ٦٨١ (٥٣٢) ص ٦٨٢ (٥٣٣) ص ٦٨٣ (٥٣٤) ص ٦٨٤ (٥٣٥) ص ٦٨٥ (٥٣٦) ص ٦٨٦ (٥٣٧) ص ٦٨٧ (٥٣٨) ص ٦٨٨ (٥٣٩) ص ٦٨٩ (٥٤٠) ص ٦٩٠ (٥٤١) ص ٦٩١ (٥٤٢) ص ٦٩٢ (٥٤٣) ص ٦٩٣ (٥٤٤) ص ٦٩٤ (٥٤٥) ص ٦٩٥ (٥٤٦) ص ٦٩٦ (٥٤٧) ص ٦٩٧ (٥٤٨) ص ٦٩٨ (٥٤٩) ص ٦٩٩ (٥٥٠) ص ٧٠٠ (٥٥١) ص ٧٠١ (٥٥٢) ص ٧٠٢ (٥٥٣) ص ٧٠٣ (٥٥٤) ص ٧٠٤ (٥٥٥) ص ٧٠٥ (٥٥٦) ص ٧٠٦ (٥٥٧) ص ٧٠٧ (٥٥٨) ص ٧٠٨ (٥٥٩) ص ٧٠٩ (٥٦٠) ص ٧١٠ (٥٦١) ص ٧١١ (٥٦٢) ص ٧١٢ (٥٦٣) ص ٧١٣ (٥٦٤) ص ٧١٤ (٥٦٥) ص ٧١٥ (٥٦٦) ص ٧١٦ (٥٦٧) ص ٧١٧ (٥٦٨) ص ٧١٨ (٥٦٩) ص ٧١٩ (٥٧٠) ص ٧٢٠ (٥٧١) ص ٧٢١ (٥٧٢) ص ٧٢٢ (٥٧٣) ص ٧٢٣ (٥٧٤) ص ٧٢٤ (٥٧٥) ص ٧٢٥ (٥٧٦) ص ٧٢٦ (٥٧٧) ص ٧٢٧ (٥٧٨) ص ٧٢٨ (٥٧٩) ص ٧٢٩ (٥٨٠) ص ٧٣٠ (٥٨١) ص ٧٣١ (٥٨٢) ص ٧٣٢ (٥٨٣) ص ٧٣٣ (٥٨٤) ص ٧٣٤ (٥٨٥) ص ٧٣٥ (٥٨٦) ص ٧٣٦ (٥٨٧) ص ٧٣٧ (٥٨٨) ص ٧٣٨ (٥٨٩) ص ٧٣٩ (٥٩٠) ص ٧٤٠ (٥٩١) ص ٧٤١ (٥٩٢) ص ٧٤٢ (٥٩٣) ص ٧٤٣ (٥٩٤) ص ٧٤٤ (٥٩٥) ص ٧٤٥ (٥٩٦) ص ٧٤٦ (٥٩٧) ص ٧٤٧ (٥٩٨) ص ٧٤٨ (٥٩٩) ص ٧٤٩ (٦٠٠) ص ٧٥٠ (٦٠١) ص ٧٥١ (٦٠٢) ص ٧٥٢ (٦٠٣) ص ٧٥٣ (٦٠٤) ص ٧٥٤ (٦٠٥) ص ٧٥٥ (٦٠٦) ص ٧٥٦ (٦٠٧) ص ٧٥٧ (٦٠٨) ص ٧٥٨ (٦٠٩) ص ٧٥٩ (٦١٠) ص ٧٦٠ (٦١١) ص ٧٦١ (٦١٢) ص ٧٦٢ (٦١٣) ص ٧٦٣ (٦١٤) ص ٧٦٤ (٦١٥) ص ٧٦٥ (٦١٦) ص ٧٦٦ (٦١٧) ص ٧٦٧ (٦١٨) ص ٧٦٨ (٦١٩) ص ٧٦٩ (٦٢٠) ص ٧٧٠ (٦٢١) ص ٧٧١ (٦٢٢) ص ٧٧٢ (٦٢٣) ص ٧٧٣ (٦٢٤) ص ٧٧٤ (٦٢٥) ص ٧٧٥ (٦٢٦) ص ٧٧٦ (٦٢٧) ص ٧٧٧ (٦٢٨) ص ٧٧٨ (٦٢٩) ص ٧٧٩ (٦٣٠) ص ٧٨٠ (٦٣١) ص ٧٨١ (٦٣٢) ص ٧٨٢ (٦٣٣) ص ٧٨٣ (٦٣٤) ص ٧٨٤ (٦٣٥) ص ٧٨٥ (٦٣٦) ص ٧٨٦ (٦٣٧) ص ٧٨٧ (٦٣٨) ص ٧٨٨ (٦٣٩) ص ٧٨٩ (٦٤٠) ص ٧٩٠ (٦٤١) ص ٧٩١ (٦٤٢) ص ٧٩٢ (٦٤٣) ص ٧٩٣ (٦٤٤) ص ٧٩٤ (٦٤٥) ص ٧٩٥ (٦٤٦) ص ٧٩٦ (٦٤٧) ص ٧٩٧ (٦٤٨) ص ٧٩٨ (٦٤٩) ص ٧٩٩ (٦٥٠) ص ٨٠٠ (٦٥١) ص ٨٠١ (٦٥٢) ص ٨٠٢ (٦٥٣) ص ٨٠٣ (٦٥٤) ص ٨٠٤ (٦٥٥) ص ٨٠٥ (٦٥٦) ص ٨٠٦ (٦٥٧) ص ٨٠٧ (٦٥٨) ص ٨٠٨ (٦٥٩) ص ٨٠٩ (٦٦٠) ص ٨١٠ (٦٦١) ص ٨١١ (٦٦٢) ص ٨١٢ (٦٦٣) ص ٨١٣ (٦٦٤) ص ٨١٤ (٦٦٥) ص ٨١٥ (٦٦٦) ص ٨١٦ (٦٦٧) ص ٨١٧ (٦٦٨) ص ٨١٨ (٦٦٩) ص ٨١٩ (٦٧٠) ص ٨٢٠ (٦٧١) ص ٨٢١ (٦٧٢) ص ٨٢٢ (٦٧٣) ص ٨٢٣ (٦٧٤) ص ٨٢٤ (٦٧٥) ص ٨٢٥ (٦٧٦) ص ٨٢٦ (٦٧٧) ص ٨٢٧ (٦٧٨) ص ٨٢٨ (٦٧٩) ص ٨٢٩ (٦٨٠) ص ٨٣٠ (٦٨١) ص ٨٣١ (٦٨٢) ص ٨٣٢ (٦٨٣) ص ٨٣٣ (٦٨٤) ص ٨٣٤ (٦٨٥) ص ٨٣٥ (٦٨٦) ص ٨٣٦ (٦٨٧) ص ٨٣٧ (٦٨٨) ص ٨٣٨ (٦٨٩) ص ٨٣٩ (٦٩٠) ص ٨٤٠ (٦٩١) ص ٨٤١ (٦٩٢) ص ٨٤٢ (٦٩٣) ص ٨٤٣ (٦٩٤) ص ٨٤٤ (٦٩٥) ص ٨٤٥ (٦٩٦) ص ٨٤٦ (٦٩٧) ص ٨٤٧ (٦٩٨) ص ٨٤٨ (٦٩٩) ص ٨٤٩ (٧٠٠) ص ٨٥٠ (٧٠١) ص ٨٥١ (٧٠٢) ص ٨٥٢ (٧٠٣) ص ٨٥٣ (٧٠

وقوله :

كان فلاحهم تحت المسد اكي تبعثرها بارجلها شفونا^(١)

وقوله :

واليوم من كل اسبوع يدور بها من مزيرى الف قاف قائف قاف^(٢)
وسواها .

ومن مظاهر التقليد ايضا كثرة الاشارات . ومن هذا القبيل قوله

ومن ههجب الدنيا براعة ذا الشنا ومنوال رد العجز منه على الصدر^(٣)
وهي اشارة بلاغية ، وقوله :

في مدحه الحصر العمي يبين والمشطور كما مل^(٤)
وهي اشارة عروضية ، وقوله :

افدى الصغر باسمه لكنا بالفدر ظل مكبرا تكسير^(٥)
وقوله :

هو في المعارف والمحامد منتهى صيغ الجموع وواحد الاحاد^(٦)
وهما من الاشارات النحوية ، وقوله :

واذا تشاء فقل فصيح النوم يصبح وهو بـاقـل^(٧)
وقوله :

ماذا عساني اليوم قـائل لو انني سحـبـان وائل^(٨)
وقوله :

وهل من معجب بابي فرار وسهل وابن سهل وابن هاني^(٩)
وهي من الاشارات التاريخية . ومثل هذه كثير .

(١) ص ٥٥ (٢) ص ٤٠ (٣) كثر الرغامى ج. ص ٥٠ (٤) نفس المصدر ص ٦٢ (٥) نفس
المصدر ص ٧٢ (٦) نفس المصدر ص ٧٥ (٧) نفس المصدر ص ٦٢ (٨) نفس المصدر
ص ٦٤

هذه هي مظاهر التقليد في شعره ، وهو في هذا التقليد يسير في اتجاه
ادباء العصر الذين كانوا يحاولون بحث القديم من الادب واللغة . فكانه تاتر في
نثره بأساليب الاوروبيين . اما في شعره ، فانه رأى ان يتقيد بأساليب العصر . ولكنه
مع ذلك لم يفرط في التقليد افراط معاصريه كالبازجي والبهستاني وطرير كرامه والساعاتي
والنديم وسواهم . ونحن نعزو هذا الضعف الذي نلمسه في شعره وفي شعر القرن الماضي
عامة الى انعدام النقد الادبي الصحيح .

الفصل الخامس

في اللغة

ويتناول ابحاث اللغة المنتشرة في الكتب والمحف

ابحاث الشدياق اللغوية متفرقة في كتبه المختلفة وفي مقالاته في الجوائب .
 فقد كان من عادته ان يستطرد في بعض المواضع الى البحث اللغوي عندما يجد
 الجوهرية لذلك . وقد ضاع له كتب في اللغة والبلاغة منها " التقنيع في علم
 البديع " (١) و " منتهى العجب في خصائص لغة العرب " وعن هذا يقول مسعد :
 " وقد قضى في تأليفه امواجا فجا سفرنا نفيسا طويلا بلغ عدة مجلدات بحث
 فيه خصائص الحروف الهجائية عند العرب ونسج في وضعه واسلوبه على منوال لم
 يسبقه اليه احد من ائمة اللغة . ولكن هذا الكتاب احترق مع ما احترق من مخطوطاته (٢)
 وقد اثبت الشدياق فصلا من هذا الكتاب في الجزء الاول من " كنز الرغائب " تحدث
 فيه عن اقسام اللغة واورد فيه بعض ما لاحظته من تشابه وتناظر بين لغتنا ولغات
 الافرنج في اساليب الوضع والتعبير (٣) .

وستتناول فيما يلي كتبه اللغوية التي عدنا عليها وهي " سر الليال في
 القلب والابدال " و " الجاسوس على القاموس " وغنية الطالب ومنية الراغب . كما اننا
 سنعرض الى مناظراته اللغوية وابحاثه التي جاءت تفاريق في كتبه ومقالاته .
 وقبل ان نتقدم الى ذلك نود ان نتحفظ ونقول : ان استيعاب ما انتجه
 الشدياق في علم اللغة في فصل من اطروحة امر مستحيل . وودنا لو خصصنا
 الاطروحة جميعها لانتاجه هذا . ولذا فاننا سنلزم جانب الايجاز آمين ان نسهب
 ما اوجزناء في المستقبل القريب .

١ . سر الليال في القلب والابدال :

ان مقدرة الشدياق اللغوية تظهر ناصعة جليلة في هذا الكتاب الذي ضمنه
 معظم آرائه ونظرياته في اللغة . وقد كان هذا الكتاب نتيجة مباشرة لحب الشدياق
 لهذه اللغة ولولوعه بالبحث عن اسرار الفاظها ومعانيها (٤) وقد وضعه في
 جزئين طبع اولهما اما الثاني فانه وقع في احدى المكاتب الخاصة في مصر (٥) وسنعرض

(١) فارس الشدياق مسعد ص ٤٥ (٢) نفس المصدر ص ٤٦ (٣) كنز الرغائب الجزء الاول ص ١٧٩ (٤) راجع ايضا دائرة
 المعارف لبستاني ص ٤٤ . و " الآداب العربية في القرن التاسع عشر " لشفيق ص ٨٠ . و راجع ما هير الشرح ص ٤
 ص ٨٣ (٥) سر الليال ص ٢٦١ أخبرنا البشيم يوسف توما الشامي صاحب مكتبة العرب في القاهرة ان هذا الجزء
 عرض عليه مخطوطا في القاهرة .

لك الان ما جاء في هذا الكتاب بايجاز .

بدأ الشدياق هذا الكتاب بمقدمة طويلة عرض فيها الاسباب التي دفعته الى وضع هذا السفر الجليل . ثم عبر عن حبه للغة العربية ، وبين انها تمتاز على كل اللغات بنعمتي الاشتقاق والسجع . وفي ذلك يقول :

" وللعربية مزايا اخرى فاقت بها غيرها فضلا وقدرًا وشانًا وفخرا . منها السجع وما ادراك ما السجع ، كلم متناسقة يعلقها الطبع ويعشقها السمع فتنتطبع في الذكر اى طبع . ولا سيما اذا زينت بشي من محسنات البديع كالتجنيس والترصيع او كان حرف رويها منصوبا فاني ارى النصب في التسجيع ابداع اسلوبا . فتلك هي المعجزة التي لا يمكن لاحد ان يتحداها او يقارب حد ذراها وهي الراح التي تسكر كل ذى ذوق سليم من دون تأثيم . فمن اين لسائر اللغات مثل ما للغة العرب ، وايها يجاريها في صلبة الادب وقد فاتها هذا الاسلوب الاشرف والنوع الالطف " .^(١١)

وقد حاول في هذا الكتاب ان يجمع الكلمات المقلوبة والمبدلة . ولاحظ ان القلب والابدال ليسا مطردين في كل الحروف ، كما انه لاحظ ان بعض الالفاظ لا يقلب الا على وجه واحد او على وجهين نحو سيد ودبر فلا تقلب سدب ولا بدس .^(١٢) كما انه لاحظ ان اكثر ما يكون القلب والابدال في الالفاظ الدالة على القطع والكسر والخرق والهدم والشق والفرق والتبديد لما انها كلها من جنس واحد وحلها مأخوذ من حكاية صوت نحو قف وقط وقضى ووجت وجد وجز وان وهذا وقد وقصر وحذ وسواها .^(١٣)

ويتوسع الشدياق في الحديث عن فعل القطع وما قاربه في المعنى من الافعال العربية فيقول ان هذا الفعل يتداعى الى معاني كثيرة كالجمع والاصلاح والاقصاد والخير والشر والكرة والدفع والمل والكف والطلوع وسواها .^(١٤)

ويتحدث الشدياق عن التجريد فيقول ان الامور المعنوية او العقلية مأخوذة

١١ ص ٢ (سر الببال) ١٢ ص ٥ ١٣ ص ٥ أيضا (٤) راجع ص ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ فقبها المزيد من امثلة والتناصيل .

من الاشياء الحسية . وتقدير ذلك ان العقل مأخوذ من عقلت البعير والحكمة من حكمة اللجام وغير ذلك^(١)

ولا ينسى الشدياق في هذا المقام ان يتعرض لاختلاف مصنفى المعاجم وخاصة الفيروز آبادى صاحب القاموس . فقد اخطأ في هذه المقدمة ما قاله في الجاسوس موجزاً كما انه ينتقد مصنفى المعاجم على سوء ترتيب حروفها اذ انهم يفصلون بين الحروف الحلقية والمهموسة وغيرها^(٢)

وينتحدث الشدياق في هذه المقدمة عن التضاد في اللغة ويعزوه الى ما يلي^(٣) :
١ . جبر المعنى المنفور منه . ويكون المنفور منه هو الاصل نحو قولنا الاعشى للبصير .

٢ . اختلاف الرأى والنظر في موصوف ما فان بعض الراصين له يروونه مما يمدح وبعضهم يروونه مما يذم . والذين تكلموا بالعربية كانوا قبائل شتى فلا يحتمل انهم جميعاً نظروا الى الاشياء بنظر واحد ورأى واحد .

٣ . كون صيغة الفعل من اصله تحتله كما في باع الشيء بمعنى باعه وبمعنى اشتراه فان اصله من مد اليد .

٤ . المشاكلة كما في خبطة فانه بمعنى سأل المعروف من غير آصرة وبمعنى انعم عليه من غير معرفة بينهما .

هذه هي الاسباب التي قدمها الشدياق للتضاد في اللغة . ولكن هنالك اسباباً اخرى نود ان نضيفها الى ذلك ومنها :

- ١ . يكون التضاد نتيجة سوء فهم بسبب خطأ الرواية الشفوية او خطأ النقل .
- ٢ . انتقال كلمة من لغة الى لغة او من لهجة الى اخرى ومغلوطة . وفي اكثر الاحيان تكون معكوسة المعنى . كالكلمات السبئية التي انتقلت الى لغة الشمال . مثل ذلك كلمة مقتوى فقد كان معناها الملك عند عرب الجنوب ولكن عرب الشمال

الذين كانوا يحتقرون الجنوبيين اعطوها معنى مضادا فاصبحت تعني الخادم .

والاضداد ، هي محاولات متأخرة من جامعي اللغة والعفدرات لتعليل روايتين مختلفتين في الكلمة دون تحقيق . ولكن منطقيا لا يمكن ان يكون للكلمة معنيان مختلفان متعاكسان في نفس اللغة او اللهجة . وعلينا ان ندرس الاضداد دراسة تقابلية مثل وثب العربية فانها في جميع اللغات السامية تدل على الجلوس حتى في العربية الشمالية التي هي ضد فيها . فنحن لو اردنا ان ندرسها دراسة علمية تقابلية ، لقلنا ان وثب ليس ضدا وانما معناها جلس ولكن قبيلة واحدة قالت انها قفز فاكسبت معنى الضد .^(١١)

اما هم الشدياق في هذا الكتاب فهو ان يرتد كل فرع الى اصله وان ينسق معاني العادة نسقا يبين مأخذها وعلاقاتها ومناسبتها وفي ذلك من العناء والجهد ما لا يخفى^(١٢) وقد بناء على ثلاثة مقاصد هي :

اولا : سرد الافعال والاسماء التي هي اكثر تداولاً واشهر استعمالاً ونسقا بالنظر الى التلطف بها لايضاح تناسبها وابداء تجانسها وكشف اسرار معانيها واصل مدلولاتها .

ثانيا : ايراد الالفاظ المقلوبة والمبدلة ويندرج في ذلك الالفاظ المترادفة .

ثالثا : استدراك ما فات صاحب القاموس من لفظ او مثل او ايضاح عبارة او نسق مادة .^(١٣)

وقد اتخذ الفعل المضعف اساسا لهذا الترتيب . فكان يبدأ بالمضعف ثم يزيد الحروف الهجائية عليه مثل آب واهت واهج و . . . الخ . اما اسباب ذلك فهي :

١ . انه رأى ان معظم اللغة مأخوذ من حكاية صوت او حكاية صفة وان حكاية

الصوت انما تأتي من المضاف نحو دب ودق ودق وهز وسف وسواها . فاذا

ارادوا الزيادة في المعنى ضافوا الحروف فقالوا دهب ودغف ودغق . . . الخ^(١٤)

(١١) اعتمدنا في ذلك على ما ضرت اكثر ايشي فريمة في درس اللغات السابقة (٢) سراليا ص ١٢ (٣) ص ٦

٢ . ان اللغة كغيرها من الصنائع والموضوعات البشرية لا يحدث شيء منها تاما كاملا من اول وهلة ولكن على التدريج . فالاخرى اذن ان نقول ان الفعل السالم جاء اخر الافعال اما الاجوف فانه غالبا يأتي على عقب المضاعف كطَب وطاب وضر وضرار وصر وصرار . واما الناقص فانه صدى غيره من الافعال وكأنه نوع من القطعة لفة لبعض العرب نحو همز وهمز ورجب ورجا اى خاف ومحق ومحا وشجب وشجا اى احزن الخ (١)

٣ . انه رأى حكم ترتيب المزيد على المضاعف لا يكاد يختلف فقلما ترى في المضاعف معنى الا ورأيت في مزيده مثله او ما يقاربه . مثل سَل وسلب وكَف وكفت ولَب ولبت وسواها (٢)

٤ . ان زيادة حرف على المضاعف الباق بحكمة الواضع في الثفنن من نقصه . اذ لو جعلت السالم اصلا لزم منه العدول من الكمال الى النقصان . والاختصار في الافعال ليس من مذهب العرب كما يدل على ذلك الافعال المزيدة . ودليل اخر وهو انهم يشبعون الفتحة في اخر الفعل فيتولد منها الف كما في دحب ودجى وسيق وسلقى . ثم سكنوا العين الحاقا له بالرباعي (٣)

٥ . انا نجد افعالا مجهولة الاصل واصليها من المضاعف معلوم وذلك نحو امتخر العظم اى استخرج منه فهو ولا بد ان يكون من امتخ اذ لم يجي " المخر بمعنى الخ وقس عليه (٤)

" اما حكاية الصنعة فهي نظم حروف يتوهم الناظم منها انها تدل على صنعة شيء باعتبار ما في تلك الحروف من اللين والقرخيم او الشدة والتفخيم كقولهم مثلا شيء منضم اى مزخرف فهو نحو توهم الفرنسيين لفظة مينيم للشيء القليل الوجيز ."

هذا هو اهم ما جاء في هذه المقدمة واليك امثلة من تنسيقه للالفاظ على اساس القلب والابدال .

(١) ص ٢٥ (٢) ص ٢٥ أيضا (٣) ص ٢٦ (٤) ص ٢٦ أيضا (٥) Minime ١٦١ ص ٢١

" ثم جانس اب حب "

في هذه المادة ربك شاق وتخليط لا يطاق فينبغي ان اطنب فيما يكن
منها تلخيصه واوجز فيما يعز عويصه فاؤل ذلك احب البعير اذا ترك فلم يثر او
اصابه مرض او كسر فلا يبرح مكانه حتى يبرأ او يموت ويقال ايضا للبعير الحسير محب
واحب فلان برأ من مرضه والزرع صار ذا حب واحب فلانا وده ومثله حبه يحبه
بالكسر والقياس يحبه بالضم والمصنف ذكر احب البعير بعد احبه بمعنى وده باربعة
عشر سطرا وحب الحنطة وغيرها م وحاصل معناها قطعة وهذا المعني ورد من
خب وهب فقيل ثوب اخباب وخبب وخاب واهباب وهيب وهباب وعندي ان اول
المعاني حبه واحبه ولك فيه اوجه (احدها) ان ترجع به الى معنى اب اي اشتاق
(والثاني) ان يكون من حبة القلب فعني حبه اصاب حبة قلبه وهو على حد قولهم
شفقة حبا اي اصاب شفافه وهو غلاف القلب او حبه وقالوا ايضا شعفتي حبه وشعفت
به ويحبه وشعفت به حبا بالعين المهملة من شفقة القلب وهي راسه عند معلق
النياط وقالوا خلب نسا للرجل الذي تحبه النساء واصله من الخلب وهو الحجاب
الذي بين القلب وسواد البطن هذه عبارة الصحاح وعبارة المصنف وخبب نسا يجهن
للحديث والفجور وليس الفرق بين العبارتين مدحضا لدعوى ومعنى احبه الرباعي
جعل له في حبة قلبه على حد قولك اوعى المتاع اذا جعله في الوعاء واحرز اذا
جعل في الحرز واضر الشئ اذا جعله في ضميره واكنه اذا جعله في الكن واسره
اذا جعله في السر فاما اسره بمعنى اظهره فالفهمزة فيه للقلب فاما احب البعير
والرجل فمعناه انه عرض له ما القى في قلب الناظر اليه المحبة (والثالث) ان يكون
من معنى حباب الماء اي معظمه وقد مر الاباب بالفتح والضم بمعناه ومثله العباب
والعبام فان الماء احب شي الى العرب (والرابع) من حبة الحنطة ونحوها ثم قبل
من معنى احبه حابة اي واده ونحايروا اي توادوا وتحبب اليه تودد واستحبه اي
استحسنه وعليه اثره والحباب والحب بضمهما والمحبة والحب بالكسر واحد وكذا

الحبة بالضم يقال نعم وحنة وكرامة كما في الصحاح والحب بالكسر أيضا الحبيب
مثل خدن وخدين وقد فسر المصنف الحبيب بالمحب وعندى أنه من باب الخليل
والصديق يكون للفاعل والمفعول وتقول ما كنت حبيبا ولقد حبيت أى صرت حبيبا
الاصمعي قولهم حبّ بفلان معناه ما أحبه إلى وقال الفراء معناه حبب بفلان ومنه
قولهم حبذا زيد فحبذا فعل ما ضرا لا يتصرف وأصله حبب وذا فاعله جعلنا شيئا واحدا
ولا يجوز أن يكون بدلا من ذا لأنك تقول حبذا امرأة وحب إلى هذا الشيء
وحبيه إلى جعلني أحبه وحبابك كذا أى غاية محبتك أو مبلغ جهدك ^(١).

واليك مثلا آخر :

”ثم مقلوب غب بع“

”بغ الدم هاج“ وهي حكاية فعل غير منقطع من معنى بع السحاب أى الح
والبع بالضم الجمل الصغير وهي بها وقد تقدم البعة للتفصيل ومن معنى هذا
الصفر قبل عدا طلقا بغيضا إذا كان لا يبعد فيه وقرب مبغى قريب والمبغى كنفذ
البئر القريبة الرشاء والمبغى لمصره ونيس الظباء والسعين وهذه الأخيرة حكاية
صفة والمبغى ضرب من الهدير والغطيط في النوم والدوس والوطء وجاءت الغمضة
عدم إبانة الكلام والغمضة الكلام الذى لا يبين ومثله الجمجمة والمجمجة والمبغى
المخلط والسريع العجل . ثم تبوغ الدم به هاج وفلان غلب ومن الغريب أنه لم
يات باغ بمعناه وأغرب منه أن الجوهرى رحمه الله بعد أن روى حديث عليكم
بالحجامة لا يتبغى الدم بأحدكم فيقتله قال ويقال أصله يتبغى من البغى فقلب مثل
جذب وجبذاء وسبائي أن جذب غير مقلوب من جذب والبوغاء من الطبيب رائحته
وهو من معنى الهيج ومثله فغة الطبيب وفوغته وفوغته وتطلق أيضا على التربة
الرخوة كأنها ذريرة وعلى طائشة النار وحقاقهم وعلى الاختلاط ولم يذكر طائشة
في موضعها ومعنى الاختلاط تقدم وإنك لعالم لا تباغ ولا تباغان ولا تباغون أى

لا يقرن بك ما يغلبك وحاصله ان باغ بمعنى تبوغ ثم البيع ثوران الدم وباغ يبيع
هلك وكان حقه ان يقول باغ الدم ثار والرجل هلك ولك هنا ان تقول ان معنى
هلك من هاج الدم او ان الغين هنا مقلوبة من الراء لانه يقال بار الرجل هلك
ومثله باد وغاز وقامر وفاظ ومن الغريب انى وجدت الغين منقلبة عن الراء في
هذه الفاظ منها تسفيل الثوب وتسربله والغاية والراية وهي عكس لشدة اهل باريس
فانهم يقلبون الراء غينا وتبيع الدم هاج وغلب واللبن كثر وعليه الامر اختلط وبيغت
به بالتشديد انقطعت به وفي المصباح الباغ الكرم لفظة اجمية استعملها الناس بالالف
واللام ثم البغت والبغثة والبغثة محرقة الفجأة بغته كمنعه فجته والباغثة المفاجأة
فلم ينقطع بالكلية عن بيع الدم . ثم البغيث الحنطة والطعام يغث بالشعير ومعنى الخلط
تقدم في غث ومثله بقت والبغثاء اخلاط الناس والرقطاء من الغثم وفعله كفرح والاسم
البغثة ومن هذا المعنى البغات مثلثة لطائر اغبرج كغزلان ويطلق ايضا على شرار
الطير والبغات بارضا يستنسر اى من جاورنا عز بنا والابغت الاسد وعبرة المصباح
وبعضهم يقول البغاة تقع على الذكر والانثى كالحمامة والنعام والجمع البغات كالحمام
وبعضهم يقول البغات واحد ويجمع على بغثان مثل غزال وغزلان اه وعليه ففتح
البا هو الافصح خلافا لما ذكره المصنف ثم التبغيع اشد من التبغيع وهو دليل على
ان الباء من حروف الزيادة . ثم بغداد وبغداد وبغدان وبغدين وبغدان مدينة
السلام وتبغدد انتسب اليها او تشبه باهلها بناها المنصور ثاني الخلفاء العباسيين
لما تولى الخلافة بعد اخيه السفاح وكانت ولاية المنصور في ذى الحجة سنة ست
وثلاثين ومائة وتوفي في الشهر المذكور سنة ثمان وخمسين ومائة . ثم البغر محرقة
الما الخبيث وكانه ملحوظ فيه معنى الخلط ومنه بفر البعير كفرح ومنع بغرا فهو
بغر وبخير شرب ولم يرو فاحذه دا من الشرب ج بغارى ويضم وبغر النجم بغورا
سقط وهاج بالمطر فلم ينقطع عن معنى بهج والبغر ويحرك الدفعة الشديدة من المطر
بغرت السماء كمنع وبغرت الارض وبغرناها سقينانا وهو متسبب عن بغور النجم
والبغرة يزرع بعد المطر فيبقى فيه الثرى حتى يحقل وله بغرة من العطاء لا

تغير اي دائم العطاء . فهذا المعنى يرجع الى البفر وهو الدفعة الشديدة وتفرقوا
شفر بفر اي في كل وجه وكان الوجه بالنظر الى ترتيب الحروف ان يقال بفر
شفر . ثم البغثرة خبت النفس والهيج والاختلاط والتفريق وبغثره بعثره ونفسه
خبث وغثت كتبغثرت والبغثر الاحمق الضعيف الثقيل الوخم والرجل الوسخ والجمال
الضخم ثم بغزها باغزها اي حركها محركها من النشاط فجاء فيه معنى الهيج والبغز
الضرب بالرجل وبالعصا والباغز النشاط والحدة والرجل الفاحش والمقيم على الفجور
والمقدم عليه وكله من مورد واحد وهو الهيج والباغزية ثياب من الخزاو الحرير .
ثم البفس السواد يمانية وللسواد عدة معان والظاهر ان المراد بها اللون فيكون
قريبا من الغبس . ثم البغشة المطرة الضعيفة وقد بغشت السماء كمنع ومطر باغثر
وجاء من باب الغين بغشت الارض بمعنى بغشت وابغثر الله الارض وابغثها بمعنى
والصبي يبغثر وذلك اذا اجهش وهو يريد البكا . ومعنى اجهش هنا فزع اليك وهو
من معنى الحركة والهيج ويقال لما يدخل في الكوة من البها . يبغثر ايضا . ثم
البغثر ضد الحب وعندى انه لم ينفك عن معنى الهيج .^(١)

اسلوبه :

حاول الشدياق في هذا المؤلف ان يربط مشتقات الكلمة الواحدة بمعاني
اساسية ترجع المعاني الفرعية اليها . كما ظهر في باب حب الذي اقتبسنا بعضا
منه . فكان يأتي بالكلمة ثم بمقلوبها ثم بمحانسها وهكذا يأتي بمقلوب ومجانس
الكلمات الجديدة المتفرعة عن الكلمة الاولى الى ان يستوفي البحث . وهو يحاول ان
يربط الانفعال العربية بروابط معنوية . ترجع اكثرها الى فعل القمع او الى ما
يدل على حكاية صوت او صنعة . واليك مثلا من عناوين البحوث لتتعرف على اسلوبه
في الترتيب :

٣٢ ص	أب
٣٨ ص	ثم جانس أب حب
٤٦ ص	ثم مقلوب حب بـ
٤٩ ص	ثم ولي حب خب
٥٤ ص	ثم مقلوب حب بـ
٥٧ ص	ثم جانس حب عـ
٦٣ ص	ثم مقلوب عـ بـ
٦٨ ص الخ	ثم جانس عـ غـ

ويظهر لنا الشدياق في هذا الكتاب علميا منطقيا ناضج التفكير، يحاول أن يحلل وأن يحلل وأن يدغم آراءه بالحجج والبراهين وأن يقارن العربية بما يعرفه من اللغات الأخرى^(١) وهذه ظاهرة قل أن نخطئها في كل ما ألفه . وهي صفة من صفات شخصيته العلمية .

وطبيعي ألا يخلو كتاب ضخم كهذا من التخليط والتشويش والاستطراد^(٢) ولا سيما أنه يكاد يكون بكرا في اللغة العربية من حيث التوسع في التطبيق والربط .

وبعد فما هو مدى المساهمة التي قدمها الشدياق في هذا الكتاب ؟ لقد استعان الشدياق بكتب اللغة القديمة والمعاجم المختلفة واختصها القاموس . وقد أشار إلى ذلك في عدة مواضع من هذا الكتاب . ولقد ذكر القلب والابدال كثير من اللغويين العرب ومنهم ابن فارس فقد قال عن القلب :
 " ومن سنن العرب القلب وذلك يكون في الكلمة ويكون في القصة . فاما الكلمة فقولهم جذب وجبذ وبكل ولبك وهو كثير وقد صنفه عناء اللغة^(٣) . ويقول السيوطي في الزهر :

" وقد ألف ابن السكيت في هذا النوع كتابا ينقل عنه صاحب الصحاح^(٤) .

(١) ص ٨٠ ، دسوها (٢) ص ١٢ (نقد ألفا نو) ص ٩٦ دسوها (٣) الصافي ص ١٧ ، الزهر
 (٤) ص ٩٧ دسوها

ثم يأتي بامثلة مختلفة منه عن الجمهرة لابن دريد وعن ابي عبيدة والاصمعي وابن الاعرابي وابي عبيد والزجاجي في شرح ادب الكاتب والنحاس في شرح المعاني وسواهم . ويقول ابن فارس عن الابدال :

"ومن سنن العرب ابدال الحروف واقامة بعضها مقام بعضه ويقولون مدحه ومدعه وقرس رفل ورفن وهو كثير مشهور قد الف فيه العلماء" (١٤)

وجاء في الزهر في النوع الثاني والثلاثين في الجزء الاول عن الابدال

ما يلي :

"ومن الف في هذا النوع ابن السكيت وابو الطيب النحوي . قال ابو الطيب : ليس المراد بالابدال ان العرب تتعمد تمويض حرف من حرف وانما هي لغات مختلفة لمعان متفقة تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفا الا في حرف واحد . قال والدليل على ذلك ان قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة وطورا غير مهموزة ولا بالصاد مرة وبالسین اخرى . وكذلك ابدال لام التعريف ميما والهمزة المصدرة هينا كقولهم في نحو ان هن ، لا تشترك العرب في شيء من ذلك انما يقول هذا قوم وذاك اخرون" (١٥)

ويأتي بعد ذلك بامثلة من الابدال كابدال الهمزة ها ، وابدال الهمزة هينا

وابدال الهمزة واوا وابدال الهمزة يا ، وابدال الباء ميما وابدال التاء دالا

وابدال التاء سينا وغير ذلك .

فالقلب والابدال اذن موجودان في كتب اللغة القديمة وقد ألف فيهما العلماء .

اما عمل الشدياق في هذا السبيل فهو التوسع في التمثيل وتحليل الامثلة وترتيبها بشكل معجمي مرتب . وهذا مجهود ضخم يدل على اطلاع واسع على دقائق اللغة . وتعمق بعيد في فهم مدلولاتها واسرارها ووجوه استعمالها قل ان نجدها عند عالم غير الشدياق ، الذي يعد في طليعة علماء اللغة في هذه النهضة .

وقد مدح سرّ الليال بقصائد كثيرة، نجتري منها بقصيدة للشيخ يوسف الاسير قال فيها :

يا فارس الفضل في ميدان حليته	ومحرز السبق الخافي من الاول
قد خفت بحر لغات العرب منتحلا	مرجانه مع جمان غير منتحسل
وصنت في صف الاوراق جمعتها	وزنت تفصيلها في احمل الجمل
وباسم سرّ الليالي منك قد وسعت	تلك اللالي التي كالزهر للسبل
فهو السلاف الذي ذا العصر مفتخر	على العصور به الخالي من الخلل
وهو اللباب ادلو الالباب تعرفه	وتعرف الفضل منه وهو لم يزل
وكم عجاب حوى في طيه وثوى	به عجاب اليه الغير لم يصل
فيه غنى عن سواء ان نطالعنه	وليس فيما سواء عنه من بدل
وفيه بان لنا سر اللغا وبدا	لغو السوى وازيل الشك عن عضل
ويشرح الصدر شرح القلب فيه وكم	يهدى بابداله للقلب من جذل
وكل فرع بفرق ضمّ فيه السى	مبدا اشتقاق وعنه الكتب في عطل
وانه الشهد يزهو في شواهد	وانه كلال طام السزل
يا احمد الفضل والافضل زدت علا	ودام يزجى اليك الشكر من قبلي
ولا تزال بشكر الخلق مغتبطا	ولا برحت جميل الخلق والعمل
ودام نفعمك في ذا الكون منتشرا	حتى تدوم كبدر فيه مكتمل ^(١)

٢ . الجاسوس على القاموس :

الف الشدياق هذا الكتاب في الاستانة . واستطال فيه على الفيروزابادى صاحب القاموس باربعة وعشرين نقدا . والكتاب يقع في حوالي الستائة والسبعين صفحة ضمنها الشدياق مقدمة طويلة عن التصنيف المعجمي ضد العرب . ترجم منها لكبار المصنفين كالفيروزابادى صاحب القاموس وصاحب الغاب وصاحب الصحاح وصاحب المحكم وصاحب لسان العرب . وسنعرض فيما يلي للمقدمة والانتقادات .

(١) كنز الغرائب ٤ ص ٩٢ دارجح أيضا ٥٤ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٧٧ ، ٨٩ ، ٩٠

المقدمة :

في هذه المقدمة يذكر لنا الشدياق الدافع الذي دفعه على كتابة هذا النقد وهو حث الكتاب على تأليف كتاب في اللغة يكون سهل التأليف واضح التعاريف شاملاً للالفاظ التي استعملها الادباء والكتاب، ولا سيما في ذاك العصر الذي اصبحت فيه الكتب الاجنبية تتراحم كتبنا لان ترتيبها اسهل والوصول اليها اعجل، لانها قليلة المستقاة وليس في تعريف الفاظها اختلاف كبير . وهو يشير الى ذلك في موضع اخر بقوله :

"اني لم ينشطني للتأليف سوى الرغبة في حث اهل العربية على حب لغتهم الشريفة والرتوع في ساحتها المنيعة وحث اهل العلم على تحرير كتاب فيها خال من الاخلال، مقرب لما يطلبه الطالب منها من دون كلال . فاني رأيت جميع كتب اللغة منوشة الترتيب كثر ذلك او قل ^(١) ."

وهو، ان ينتقد صاحب القاموس، لا ينتقده حبا في النقد وولكن يقصد الانارة ووضع الاشياء في مواضعها حرصا على اللغة العربية التي كرس نفسه لخدمتها ، والشدياق يحذّر عن الخطأ والتعبير الذي ورد في كتب اللغة القديمة بما يلي :

- ١ . ان المؤلفين القدماء كانوا يصنفون الكتب على حسب افهامهم واذهانهم ، وافهام اهل عصرهم فاختصروا وارجزوا وانشروا ورمزوا ^(٢) .
- ٢ . ان الاخطاء محتملة الوقوع في اللغة العربية لاسباب الالية :

- ١ . هدم ضبط الكلمات مما يفتح الصريق امام التصنيف ، وقد وقع في هذا الخطأ اكثر المصنفين الا ان صاحب القاموس تنبه له فضبط كلامه بالوصف ولم يكتب بضبط القلم ^(٣) .

- ب . هدم استعمال التنقيط ولذلك كثر الاختلاف في الروايات والقراءات ^(٤) .
- ج . ان حروف الهجاء في العربية متقاربة في الشكل كتقاربها في النطق فلا غرو ان تلتبس على قارئها . وهذا الخلاف في القراءة ظهر في القرآن والحديث واقوال الفقهاء والكتاب ^(٥) .

ثم يتقدم الشدياق الى ذكر عيوب القواميس العربية عامة ، فنذكر منها :

١ . خلط الافعال الثلاثية بالافعال الرباعية والخماسية والسداسية وخلط

مشتقاتها . فربما رأيت فيها الفعل الخماسي والسداسي قبل الثلاثي والرباعي او رأيت احد معاني الفعل في اول المادة وباقي معانيه في اخرها بيان ذلك اذا اردت ان تبحث في القاموس مثلا عن اعرضه لزمك ان تقرأ كل ما ورد في مادة عرض من اولها الى اخرها فيمر بك اولا عرض واحترم وعارم واستعرض او العكس ثم اسماء ففها ومحدثين وحيوانات وجبال وانهار وحصون قبل ان تصل الى اعرض وربما لم يكن ذكره مستوفى في موضع واحد فتري في موضع اعرضه وفي موضع اخر اعرض عنه وهلم جرا^(١) هذا في حين كان يلزمهم ان يرتبوا الافعال على ترتيب الصرفين فيذكر الثلاثي ومشتقاته في اول المادة ثم يأتوا بالفعل الرباعي والخماسي والسداسي وهكذا . ولا بأس ايضا بان يوضع حبال المواد الغزيرة رقم بالهندي على الحاشية فيوضع رقم (٣) بجانب الفعل الثلاثي و (٤) بجانب

الرباعي وهكذا . ولقد سار اللاحق منهم على نسق السابق فلم ينتبهوا لهذا الخل^(٢) .

٢ . تقديم المجاز على الحقيقة او المدول من تفسير الالفاظ بحسب اصل وضعها^(٣) .

٣ . تعريفهم لفظة بلفظة اخرى من دون ذكر الفرق بينهما بالنظر الى تعدبشهما بحرف الجر^(٤) .

٤ . ايهامهم في المصادر فانهم يوردون المصدر من دون فعل فيوهمون انه

اسم جامد . ثم يذكرون الفعل من دون مصدره فيوهمون ان مصدره المصدر الاول مع انه غيره في المعنى^(٥) .

٥ . كثيرا ما يذكرون فاعل من دون مصدره وهو المفاعلة واسم مصدره وهو الفاعل من دون تنبيه على مجي اسم وعدم مجيئه^(٦) .

٦ . ايرادهم الفعل الرباعي من دون الثلاثي فيوهمون ان الثلاثي غير وارد^(٧) .

٧ . انهم يفسرون اللفظ بلازم معناه ومفهومه ضمنا^(٨) .

٨ . انهم يوردون في التعريف الفاظا لا يذكرونها في فطانها مع توقف المعنى

عليها^(٩) .

(١) ص ١٠ (٢) ص ١١ (٣) راجع الأضلة ص ١١ ، ١٢ (٤) الأضلة ص ١٢ (٥) الأضلة ص ١٢ ، ١٣

(٦) (٧) (٨) (٩) ص ١٢ (٩) ص ١٤

- ١ . انهم يبدأون المادة باسم الفاعل او المفعول او الصفة المشبهة او اسم المكان والالة عوضا عن الابتداء بالفعل او المصدر^(١)
- ١٠ . عدم ضبطهم ما يتعدى من الافعال بنفسه او بالحرف، وعدم ذكر ادوات تعديتها وتعلقها بما استق منها^(٢)
- ١١ . تخطيطهم في ايراد الاسماء المعربة كاستبرق التي اوردوها في يرق وارجوان في رجو والفيلسوف في سوف . وحققا ان كانت معربة دخيلة ان تعتبر حروفها جميعا اصلية، وبالتالي ترتب حسب حروفها دون تجريدتها من زوائدها^(٣)
- ١٢ . اختلافهم في ضبط الهزرة والنون^(٤)
- ١٣ . اختلافهم على وضع الفعل الثلاثي والرباعي في اوائل المواد^(٥)
- ١٤ . اختلافهم في عد حروف الهجاء وترتيبها^(٦)
- ١٥ . اختلافهم في قلب الالفاظ نحو ريش ورضب وانضب القوس وانبضا^(٧)
- ١٦ . ومن جملة الاختلاف ايضا الاشتقاق وهو ادعى لشحد الذهن واصال الفكر واظهار البراعة^(٨)

ويتوسع في الحديث عن هذا الخلاف فيقول انه قد يكون احيانا مفيدا كاشفا عن حقيقة وضع الالفاظ وحيانا ساترا له، فيبعدون منه القريب ويرغبون منه البسيط . وهذا الخلاف يعود في الاكثر الى ما يلي :

- ١ . حدة اذهانهم التي تفتح لهم ابوابا كثيرة لفهم المعنى .
- ٢ . المنافسة والمباراة فيما بينهم ، فكل منهم يحاول اظهار براعته على قرنه ولو بالخروج عن تجادة القصد ، اذ كان لكل منهم حزب يعضده ويؤيد قوله وهي عادة البشر من قديم الزمان .
- ٣ . ان اكثر ما احتج به لاثبات الالفاظ اللغوية انها هو اشعار العرب فكان الشاعر ينظم مثلا قصيدة ويأتي فيها بالفاظ بمرفها هو وقومه ومن كان يعرف حاله ويجهلها غيرهم . فجاء من بعدهم ممن نقلوا عنهم وتآولوا كلامهم كتأويل الملاحن

(١) ص ١٤ (٢) بين ص ١٤ - ٢٧ (٣) ص ٢٧ وما بعدها (٤) ص ٢٢ (٥) ص ٢٨ (٦) ص ٢٩ (٧) ص ١٧ (٨) ص ٢٤ - ٢٥

والالغاز وربما اعظموا ما لم يفهموه من كلامهم بناءً على ان الاعرابي اذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارجل ما لم يسبقه احد اليه .

٤ . عدم اعجام الحروف حين كانت الكتابة العربية غير متفنة ولا محكمة ^(١١) .

وما وقع من خلاف في الفاظ اللغة وقع مثله بل اشد منه بين النحويين . فان

هؤلاء يتداولون المعاني والالفاظ معا . ومن ذلك اختلافهم في اعراب الاسماء ^(١٢) الخمسة فقد اوردوه على عشرة مذاهب . واكثر كما ان هم في الضمائر اختلافات عديدة .

ثم يمضي الشدياق مبينا فضول اصحاب المعاجم والمميزات التي تميز آثارهم . فابن سيده في المحكم اهتم بالمناقشات النحوية ، والازهرى في التهذيب اهتم بتفسير الايات القرآنية فقاته كثير من الالفاظ اللغوية ، والجوهري في الصحاح اهتم بالشواهد على الالفاظ ، والصفاني في العباب كان كلفا بالحكايات والقصر ، والفيومي في المصباح كان كلفا بالمسائل الفقهية وابن منظور في اللسان جمع جميع خصائص غيره والفيروز آبادي في القاموس كان يظفر الى ما لا يعنيه من الاشتقاق والتهافت على الالفاظ التي اختلف فيها المفسرون وجعلها من كلام العرب ، واهمال الحقيقة وذكر المجاز الذي لم تعرفه العرب .

ثم يأتي ببعض ملاحظات لغوية تتعلق بترتيب المعاجم العربية وينصح باتباع ^(١٣) التحرف الاول في الترتيب كما فعل صاحب الصحاح لاننا اذا اتبعنا اواخر الحروف في الترتيب اضطررنا الى اعادة كثير من الالفاظ التي ترد في الهموز والمغفل كبراً وبراً واختناً واختناً واحتناً وجساً وجساً وسواها ^(١٤) .

ثم يتحدث عن تاريخ التأليف المعجمي عند علماء العربية فيحدث عن الخليل صاحب العين ^(١٥) والازهرى صاحب التهذيب ^(١٦) وابن سيده صاحب المعجم ^(١٧) والجوهري صاحب الصحاح ^(١٨) والصفاني صاحب العباب ^(١٩) وابن منظور صاحب لسان العرب ^(٢٠) الى ان يفرد الحديث الى صاحب القاموس ، فيبين اسباب شهرته ويقول :

(١١) تجد هذه الاسباب في ص ٤٦ (٢) ص ٤٧ (٣) ص ٤٤ - ٤٦ رسالها (٤) ص ٤٧ (٥) ص ٤٤

(٦) ص ٤٢ ، ٤٨ رسالها (٧) ص ٧٧ رسالها (٨) ص ٧٦ رسالها (٩) ص ٧٨ رسالها (١٠) ص ٧٩ رسالها

"هذا واني اعلم ان للقاموس صيتا بعيدا شغل خواطر الكتاب ومداية وقعت في قلوب الطلاب، اذ لم يجهد تأليف كتاب بعد في اللغة، فغلب على ظنهم انه ليس من كتاب اخر بلغ من الكمال والاتقان ما بلغه ولا سيما ان مصنفه رحمه الله طنطن خطبته ودندن، وقال انه فاق كل مؤلف في هذا الفن وانه انتقاء من الفتي كتاب فترفع قدرا على الصحاح والمحكم والعياب الى غير ذلك من الاطناب . وهو اخر شي بطلية علم اللغة، لانه اذا رأى احدهم كلمة في بحر الدواوين مثلا ولم يجدها في القاموس وهو معتقد انه بحر محيط، انكرها ورمى قائلها بالتغليط وزد على ذلك انه اى المصنف الف في علوم الدين كتبها كثيرة شهرته فيها انزلته في علم اللغة منزلة خطيرة، وقد طوّف في الاقطار والامصار واكثر من الاسفار وحظي عند الملوك والولاة واثام عندهم في عز وتمكين . فما احب احد ممن الف في اللغة كان على هذه الصفة، وصادف من الحظ والسعادة ما صادفه . ورب شهرة تغني عن منبة، وتعرف عن صاحبها المثبتة (١) ."

ثم يتقدم الى الذين انتقدوا القاموس، ويعترف بفضلهم عليه الا انه يصفهم جميعا بانهم لم يفضلوا نقدهم في ابواب وانما ذكروه بالاجمال في تضاعيف كلامهم عند شرحهم مشكلاته (٢) .

ويعد من الذين نقدوا القاموس عبد الرؤوف المنادي وشهاب الدين الخفاجي والملا علي بن سلطان الملقب بالقاري والسيد علي خان صاحب طراز اللغة وبها، الدين العاملي صاحب الكشكول واما زيد عبد الرحمن مؤلف الوشاح وبدر الدين القراني ومحمد بن الطيب القاسي، والامام محمد المرتضي شارح القاموس والشيخ محمد سعد الله الهندي وله "القول المأثور في صفات القاموس" (٣) .

ويقدم لنا الشدياق ترجمة حياة المصنف ملتزما بالتفصيل، طارضا لبعض اخطائه في قاموسه، ومنها اهتمامه بوصف الادوية والعقاقير ويذكر اسماء المحدثين والفقهاء،

(١) ص ٥٢ (٢) ص ٥٤ (٣) ص ٦٥ - ٧٠ (٤) ص ٧١ وما بعد لها .

هذا عرض سريع للمقدمة وقد رأينا ما فيها من الفوائد اللغوية المتنوعة .
 إلا ان هذه الفوائد منتورة ومفرقة بشكل يصعب معه على الباحث ان يلتقطها .
 أما المآخذ التي اخذها الشديان على صاحب القاموس فقد بلغت اربعة وعشرين مأخذاً نستعرضها فيما يلي :

في هذا النقد تناول الشدياق مقدمة القاموس وحاول ان يحللها تحليلًا لغويًا نقديًا . وقد تناول معظمها وعرضه على معاجم اللغة ، مبينًا ما فيه من أخطاء لغوية ومعنوية . وكثيرا ما يتوسع في نقده فيتناول الشارح والمحسّن بالنقد . وهو لا يتقصى الشبهات فحسب بل يحاول في احيان كثيرة ، ان يظهر الحسنات ايضا . وما اخذه عليه في هذه المقدمة :

- ١ . تفصيله في بعض المواد وذكر انبياء في المقدمة لم يأت بها في مظانها . (٤)
- ٢ . ذكره قواعد استعمال بعض الكلمات دون ان يطبقها . (٥)
- ٣ . كثرة التخليط (٥)
- ٤ . المبالغة (٦)

في ايها عبارة القاموس ومجازفتها وفيه القلب والابدال وفيه يأخذ عليه ما يلي :

١ . انه يورد الالفاظ ايرادا مطلقا من دون ان ينبه اليها او يغزوها الى

احد الا ما ندر . (٨)

(۱۱) ص ۷۲ (۹) ص ۹۰ (۴) ص ۸۶، ۹۲ (۳) ص ۱۲۴ (۵) ص ۱۲۶ (۶) ص ۱۲۷، ۱۲۸، ۱۲۹

(۷) ص ۹۲ (۸) الأضلة ص ۱۲۰

- ٢ . انه لا ينبغي على الالفاظ التي اختصت ببعض قبائل العرب دون البعض الاخره ولا سيما حمير ، ففي ذكر ذلك فائدة عظيمة لعارض اللغة .^(١)
- ٣ . ايراد كلمات ليست من كلام العرب دون الاشارة الى ذلك .^(٢)
- ٤ . ايراد الالفاظ الفقهية ولاصطلاحات العروضيين خاصة .^(٣)
- ٥ . اهماله الالفاظ اللغوية الفصيحة الواردة في التنزيل والحديث واشعار العرب ، بينما يعنى بغيرها مما ليس من كلام العرب .^(٤)
- ٦ . تركه التنبيه على غير الفصيح من الالفاظ من الغفول .^(٥)

ثم يستطرد الى الحديث عن الابدال والقلب ، ويقسم الابدال الى نوعين :
ما ابدل فيه جميع حروفه نحو درأى اى طلع فالطاء ابدلت دالا واللازم راء والعين همزة ولك ان تعكس . وما قلب على التوهم نحو استنوا اى اصابتم سنة جذب فانهم وهموا ان السنة يوقف عليها بالتاء كما في رحمت . ثم قلبوها فقالوا استنوا .

النقد الثالث :

في اجهام عبارة القاموس في المصدر والفعل والمشتقات والعطف والجمع والمفرد والمعرب وغير ذلك^(٦) وفيه يأخذ عليه تخطيطه في ذلك وعدم دقته في ايراد المعاني والمصطلحات ووجوه الاستعمال .

النقد الرابع :

في قصور عبارة المصنف واجهامها وغموضها وعجمتها وتناقضها . وفيه ينتقد عليه قصوره في تعاويذه وتفريقه معاني المادة في امكنة مختلفة ، نتيجة لسوء التأليف . ونقله بعمر الالفاظ والتعابير دون فهم واهماله تفسير بعض الكلمات وسوء الترتيب وعدم الربط .^(٧)

النقد الخامس :

في زهوله عن نسق معاني الالفاظ على نسق اصلها الذي وضعت له . بل

(١) الاشارة ص ١٢٠ (٢) الاشارة ص ١٢٤ (٣) ص ١٢٤ (٤) ص ١٢٤ (٥) ص ١٢٤ (٦) راجع الاشارة ص ١٨٨ - ٢٩٢ (٧) الاشارة والتفصيل ص ٢٠٢ - ٢٦٢ (٨) ص ٢٦٢ - ٢٦٨

يقم فيها الفاظاً حينية تبعدها عن حكمة الواضع . ومن ذلك عدم ترتيبه الكلمات بحسب معناها الاصلي فنراه احيانا يقدم المجاز على الحقيقة . ونراه احيانا اخرى يزيد على ائمة اللغة زيادة تؤدي به الى مخالفتهم^(١) والشدياق يدعونا ، اذا جملنا الاصل ان يكون تنسيقاً منطقياً^(٢) . ومن عيوب المصنف هنا عدم الابتداء بالفعل وهذا عيب كثير الوجود عنده ، وربما تسبب منه عيوب كثيرة منها التفصير في التفسير^(٣) .

النقد السادس : (٤)

في تعريف اللفظ بالمعنى المجهول دون المعلوم النائح . ويلاحظ الشدياق ان بين هذا النقد وسابقه شبهة عظيمة ، ويحاول ان يميز بينهما فيقول : " بين هذا النقد والنقد الذي تقدمه بعمر مشابهة فكان الظاهر الحاقه به . والفرق بينهما ان خلل الاول نشأ من فوات الفطنة لاصل معاني الالفاظ . وخلل هذا نشأ من سوء ترتيبها والتفريط في وضعها " .^(٥)

النقد السابع : (٦)

فيما قيده في تعاريفه وهو مطلق . وفيه يقدم نبذة عما انتقده عليه الشارح عبد الرؤوف المناوي في حرف الهمزة ، يظهر فيها تقييده لبعض المعاني . نحو قوله ازاء الغنم اشبعها ، ظاهره انه لا يقال لغير الغنم ، وفيه تأمل . ونس على ذلك سائر الحروف .

النقد الثامن : (٧)

في تشتيته المشتقات وغيرها . وذلك راجع الى سوء الترتيب وهو عادة عند المؤلف^(٨) ، ويكاد يكون ظاهراً في الكتاب من اوله الى اخره .

النقد التاسع : (٩)

فيما أهمل وضع الاشارة اليه واخطأ موضع ايراده . فقد كان من عادته ان

(١) ص ٢٦٤ (٢) ص ٢٦٥ (٣) ص ٢٦٧ (٤) ص ٢٦٨ - ٢٧٠ (٥) ص ٢٧٠ - ٢٧٥ (٦) ص ٢٧٥ - ٢٨٦

(٨) راجع الفهرست ٧ ، ٨ (٩) ص ٢٨٦ - ٢٩٢

يضع الواو قبل المعتل اشارة الى انه واوى والياء اشارة الى انه يائي ولكنه اغفل ذلك عدة مرات . فخلط الواوى واليائي وتقدم الياء على الواو .

النقد العاشر : (١١)

فيما ذكره مكررا في مادة واحدة . قال " ومن خلله ان يكرر ذكر كلمة واحدة في موضعين من مادتها . وذلك لتشتيته المشتقات كما بينه سابقا . بل الاخرى ان يقال لتشتيت باله واشتغال خاطره بخير القاموس . وهذا التكرير لا يوجد الا في هذا الكتاب . " (١٢)

النقد الحادي عشر : (١٣)

في غفوله عن الاضداد . فقد ذكر بعض الاضداد دون ان ينبه اليها ، بينما نراه يتكلف في بعض الاحيان لاستخراج الضدية من الفاظ ليست من فطانتها او غير محتملة لها . (١٤)

النقد الثاني عشر : (١٥)

في غفوله من القلب والابدال . قال : " ومن خلل القاموس ايضا ان مصنفه يهمل القلب والابدال خلافا للمحكم والصحاح وغيرها . وربما حاول تعريف الكلمة المقلوبة او المبدلة بما يخفي على الطالب اصلها (١٦) ويقول : " وربما جاءت الفاظ متقاربة في اللفظ ومعناها واحد ففسر كلا منها بتفسير مغاير كما في حذفه وحزفه وحزمره وحزومه وحصرمه وحظمره وحمطره وطحمره ودحمره وزحمره وحضجره وضحجره فانها كلها بمعنى ملاء . فقال في الاول والثانية ملاء . وفي الثالثة : الحزمره = الملء وفي الرابعة حرزم الاناء ملاء وفي الخامسة حصرم القرية ملاء فقيده بالقرية وهذا النموذج كاف . " (١٧)

(١١) ص ٢٩٢ وما بعدها (١٢) ص ٢٩٢ - ٢٩٨ (١٣) ص ٢٩٨ - ٢٩٩ (١٤) ص ٢٩٨ - ٢٩٩

(١٥) ص ٢٩٩ - ٣٠٤ (١٦) ص ٢٩٩ (١٧) ص ٣٠١

النقد الثالث عشر : (١)

في تعريفه الدوري والتسلسلي . نحو الاسرب الانك والانك الاسرب ونحو
الضرر السن والسن الضرر . قال : " وهذا النوع ايضا يكاد من خصائص المصنف
التي لاه عليها المحشي " (٢)

النقد الرابع عشر : (٣)

فيما ذكره من قبيل الفضول والحشو والمبالغة واللغو نحو ذكر الفعل المجهول
بعد المعلوم^(٤) وتطرقه الى ذكر المصدر واسم الزمان واسم المكان والمصدر احيانا .
وذكر العام بعد الخاص . وذكر الاعلام والاسماء الاجمعية دون اشارة الى ذلك .
والتصدى لحكايات لا تعلق لها باللغة اصلا^(٥) وغير ذلك .

النقد الخامس عشر : (٦)

في خلطه الفصيح بالضعيف والراجع بالمرجوح وعدوله عن المشهود . قال
وهذا النوع في كتابه اكثر من ان يحصر .

النقد السادس عشر :

فيما لم يخطئ به الجوهري مع مخالفته له . وفيما خطأ به ثم تابعه عليه وفيما
خطأ به تعنقا وتحاملا . قال " ان المصنف لم يكن على طريقة واحدة في اسلوب
تأليفه وكذا كان دأبه في تخطئة الجوهري فمرة يقرله على حرف ومرة يسكت عنه
مع مخالفته له " (٧)

النقد السابع عشر : (٨)

فيما قصر فيه المصنف عن الجوهري . قال : " تفسير المصنف عن الجوهري لا
يكاد ينحصر فلك ان تقول انه في كل مادة لانه لما كان من همه استيعاب اسماء المتحدثين

(١) ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، (٢) ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، (٣) ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، (٤) ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، (٥) ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، (٦) ص ٢٠٢ - ٢٠٣ ، (٧) ص ٢٠٢ - ٢٠٣

(٨) ص ٢٠٢ - ٢٠٣

والفقهاء والباق ومنافع الادوية ومنافع الاودية ونحو ذلك لم يهتم استيعاب الالفاظ اللغوية . نعم ان قاموسه اجمع للشوارد والحوثي من الكلام من الصحاح ، الا ان الصحاح اوضح منه عبارة واكثر شرحا وبيانا واروى رواية . اما من حيث الفوائد اللغوية والنحوية والصرفية فلا مناسبة بين الكتابين البتة فان القاموس عطل عنها الا ما ندر . فكان فيه كغيب الطائر وقد نذر بالخطر وقد شهد المحشي للجوهري بالامامة في العربية في مواضع عديدة من تعليقه كما شهد على المصنف بالفضور وقال الشارح في مادة وعد : وهنا للجوهري مباحث وقواعد صرفية اغفلها المصنف لعدم التامة بذلك الفن .^(١)

النقد الثامن عشر : (٢)

في انه يذكر بعض الالفاظ الاصطلاحية ويهمل بعضها . ومنها اصطلاحات لغوية ومهندسية وطبية وجغرافية وسواها . ومنها الفاظ في القرآن والحديث وكلام العرب البلغاء .

النقد التاسع عشر : (٣)

في نبذة من الالفاظ التي ذكرها في مادتها فلتة ، اي انه قسربها ما قبلها او علق عليها من غير ان يتقدم لها ذكر . قال " منشأ هذا الخلل في القاموس ان مصنفه كان يرى هذه الالفاظ مفسرة في الكتب التي نقل منها فاوردتها من دون تفسير ، اما لتوهمه ان المطالع قد اطلع عليها قبل مراجعة كتابه ، او انه يعرفها من سياق عبارته .^(٤)

النقد العشرون : (٥)

فيما ذكره في غير موضعه المخصوص به او ذكره ولم يفسره .

(١) ص ٢٢٧ (٢) ص ٢٤٨ - ٢٤٩ (٣) ص ٢٤٩ - ٢٥٥ (٤) ص ٢٤٩ (٥) ص ٢٥٥ - ٢٧٢

النقد الحادى والعشرون : (١١)

فيما ذكره في موضعين غير منه عليه وربما اختلفت روايته فيه .

النقد الثانى والعشرون : (١٢)

فيما وهم فيه لخروجه عن اللغة . ومن ذلك الفاظ دخيلة او اصطلاحية .

النقد الثالث والعشرون : (١٣)

في خطأ صاحب القاموس وتحريره وتصحيحه ومخالفته لائمة اللغة . ومعظم هذا النقد مأخوذ مما علقه الشيخ نصر الموريني على هامش القاموس المطبوع بمصر . واكثره من كلام الشارح . وفيه يسير حسب حروف الهجاء ويستقصى الاغلاط حسب الابواب .

النقد الرابع والعشرون : (١٤)

في غلطه في تذكير الموث وتأنيث المذكر .

الخاتمة : (١٥)

وفيها يحاول استيعاب كل ما جاء من افعل المتعدى واللازم . قال : " ولكن قبل الوداع رأيت من الواجب على ان استوعب في هذه الخاتمة على قدر الامكان كل ما جاء من افعل المتعدى واللازم اظهارا لاهام اائمة اللغة والصرف فانهم زعموا ان افعل يأتي للمطاوعة غالبا حتى ان المصنف جزم في مادة فتوبانه لا يأتي الا لازما كما مر في المقدمة ولهذا عرمت على ان اجعل ما جاء منه للمطاوعة على حدة . لكني لما رأيته قليلا ادمجته في اللازم ونهيت عليه . هذا ومع فرط تنقيدى من هذا البناء وبذل مجهودى فيه فقد وجدت في تمييز المتعدى منه عن اللازم صعوبة شديدة فادحة منتني بالتفكير والسهر والسامة والفجر وذلك لقصور عبارة اهل اللغة فيه . (١٦)

ثم يبين تصور علماء اللغة في افتعل ويبين أوهامهم فيتعرف للصفاني في
العباب والفارابي في ديوان الأدب والفيومي في المصباح وابن فارس والتوحيدى
والفتازاني والرضي في شرح الشافية والاشموني والجرمي والجوهري وسيبويه
وأصحابه وابن سيده وسواهم إلى أن يقول " فقد رأيت اختلاف أئمة اللغة في
افتعل فلا غرو أن أقول أنني وجدت أصعب سائر الأفعال مثلاً وأكثرها التباساً وقلها
وأغلاها ولك أن تقول أكثرها معاني وعدداً وأحوالاً " (١) .

ثم يورد افتعل المتعدى واللازم ولللغة والمجهول حسب الترتيب
الهجائي .

هذا هو مرر موجز لما جاء في الجاسوس، ولنتقدم الآن إلى تحديد مدى
مساهمته وإلى وصف أسلوبه فيه :

أما من حيث المساهمة فإن الشدياق اعتمد على من سبقوه ممن نقدوا القاموس
كعبد الرؤوف المنادى وشهاب الدين الخفاجي والملا علي بن سلطان الملقب بالقارى
والسيد علي خان صاحب طراز اللغة وبهاء الدين العاملي صاحب الكشكول وأبي زيد
عبد الرحمن مؤلف الوشاح وبدر الدين القراني صاحب " بهجة النفوس في المحاكمة
بين الصحاح والقاموس " ومحمد بن الطيب الفاسي والامام محمد المرتضى شارح
القاموس والشيخ محمد سعد الله الهندي صاحب " القول المأثور في صفات القاموس " .
ونصر الهوريني وسواهم . ولكنهم يختلفون عنه في أنهم لم يفضلوا نقدهم في أبواب
وأما ذكره بالاجمال في تضايف كلامهم عنه وشرحهم مشكلاته (٢) والشدياق توسع في
تقديم الأمثلة وتطبيق الأخطاء على جميع ما جاء في القاموس وكان همه التحقيق
والتنسيق والانتقاد . أضف إلى ذلك أن الكثير من أبحاثه تيسر بحسب الجودة والابتكار .

أما أسلوبه فإنه أسلوب علمي تتأثر لغته بالبساطة والوضوح والارتباط .
ويلزم الشدياق فيه الأمانة العلمية . فنراه يشير إلى المصادر التي أخذ عنها ويعترف
بذلك (٣) ونراه يتعمق في البحث (٤) ويستقصى الموضوع أبعاً استقصاءً (٥) ويظهر لنا في

(١) ص ٥٤٦ (٢) يترافق بذلك ص ١٠٢ (٣) ص ١٠٢ ، ٤٩٨ ، ١٧١ ص ١٨٢ (٤) ص ٢٦٥

هذا الكتاب كما يظهر في غيره، واسع الاطلاع على المصادر العربية وعلى اللغات الأجنبية . فهو يدرس أبحاثه على ضوء معرفته بالتركية والسريانية ولغات الأفرنج، دقيق الملاحظة جدليا منطقيا في التحليل والتعليل، مخلصا للقارئ يحاول أن يعطيه أكثر ما عنده وهو من انصار الاستشهاد بكلام المولدين في اللغة، وإذا اشتبهوا بتضلعمهم فيها . وقد داسع عن ذلك في عدة مواضع من كتابه^{١٧} . كما أنه يدعو إلى تحكيم الذوق عندما يحار المرء في مشكلة من مشاكل اللغة^{١٨} .

هذا، إلا أن الكتاب لا يخلو من بعض عيوب في التأليف والتنسيق . وأهم هذه العيوب التكرار الذي نلمسه في الكثير من أبحاثه وفصوله . وقد أشار إلى ذلك واعتذر به واعتذر عنه في المقدمة، إذ قال :

”وربما كررت نقدا في موضعين فأكثره، إذا اقتضى نسق التأليف أن يكرره، فلا تحسبه نسيانا أو ذهولا أو سهوا أو غفلا، وحببه كذلك، فالفائدة من تمكينه في ذهن القارئ، تجعله مقبولا“^{١٩} .

وكذلك يكثر في هذا الكتاب الخلط والتشوين والاستطراد من موضوع إلى

آخر^{٢٠} .

إلا أن هذه العيوب التأليفية لا تنقص من قيمة هذا الكتاب الحليل الذي كان عبارة عن نقد عام للتأليف المعجمي عند العرب، والذي صدر عن عالم متجرب في اللغة عرف قضاها وقضضا، وتتجر في دقائقها ومشكلاتها . وهذا الكتاب، ورغم ما فيه من اعتماد على كتب الغير، يعد ثاني اثر لغوي للشدياق، وإذا اعتبرنا سر الليال اثره الأول، ومن حيث القيمة والأهمية .

١٠ ص ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥

٤٧
- <<< -

(٣) غنية الطالب ومنية الراغب في الصرف والنحو وحروف المعاني

الف الشدياق هذا الكتاب بطلب من صفوت باشا ناظر المعارف العمومية بمصر .
وقد قصد به تسهيل قواعد اللغة حتى يتيسر فهمها على المبتدئين ، وقد قسمه الى
ثلاثة اجزاء :

الاول : في الصرف وفيه سبعة وثلاثون درسا .

الثاني : في النحو وفيه سبعة وستون درسا

الثالث : في حروف المعاني والظروف وغيرها مرتبة على حروف المعجم .

وهو يقدر للطالب ان يثمه في ثلاثة اشهر اذا قرأ درسا في كل يوم^١ . اما
المصادر التي رجع اليها في تأليف هذا الكتاب فانه يذكر منها شرح العزى وشرح
النشافية والشذور وشرح الالفية للاشموني وشرح الكافية والمغني وشرح شواهد التحفة
البردية وشرح دلة الخوامر والمفصل والكليات وغير ذلك من الكتب^٢ .

وقد استقبل اصداقا الشدياق وانصاره هذا الكتاب استقبالا حسنا ووشوا في
مدحه المقالات ونظموا القصائد كماداتهم في استقبال كتبه التي اخرجها اثنا اقامته في
خدمة العثمانيين . وقد جمعت هذه التقارير في ملحق الكتاب يقع في اثنتي عشرة
صفحة وها نحن نقطف بعض ما قلله فيه الحاج عثمان الموصلي :

هذه الرسالة منية للراغب	وافتك فائقة بجمع غرائب
مشمولة بطرائف ولطائف	وظرائف ومعارف وعجائب
تغني اللبيب الحر عن قطر الندى	بمسير وقت بل عن ابن الحاجب
جمعت نكات النحوي مطبوها	وبشرها صرفا لخبر مطالب
لعبت بها اقلام فارس دهره	لعب الضياغم في قنا وقواضب
ذاك الذي منه الجواب قد حلا	تكرارها بمشارك ومغارب ^٣

١. ص ٢٠

٢. ص ٢٠

٣. نفس المصداق -

٤. المصحح ص ٨

وقبل ان نتقدم براينا في الكتاب نود ان نعرض للضجة العلمية اثارها . فقد استطال عليه الشيخ سعيد الشرتوني بانتقادات اثبتتها في كتابه " السهم الصائب في تخطئة غنية الطالب " فثار عليه انصار الشدياق وعلى راسهم صديقوا الحميدان الشيخ يوسف الاسير والشيخ ابراهيم الاحدب . فالف الاول كتاب " رد الشهم للسهم " والف الثاني " رد السهم السهم عن التصويب وابعادته عن مرمى الصواب بالتقريب " وما نحن نعرض لك بعض ما جاء في هذه الكتب الثلاثة .

السهم الصائب في تخطئة غنية الطالب .

حاول الشرتوني في هذا الكتاب ان ينقد الشدياق نقدا علميا . وقد قام بهذا العمل على زعمه " غيرة للفرية وخشية ان يغشو هذا الداء بين الطلبة " . ولكننا نعتقد ان حافزا آخر كان يدفعه الى ذلك هو صداقته للشيخ ناصيف اليازجي وذلك على اثر المناظرة التي حدثت على صفحات الجوائب بين الفارياز وابراهيم اليازجي .

تناول الشرتوني " غنية الطالب " (ونقده في سبع وسبعين مسألة لا يسع المقام بايرادها جميعا لضيق المقام . وانما نرجعها الى نقاط ضعف اساسية اهمها :

١ . عدم الدقة في التعبير : فكان الشدياق يستعمل بعض الالفاظ استعمالا

مبهما لا تستطيع به ان تؤدي المعاني الحقيقية . مثال ذلك المسألة الرابعة في ٢ " السهم الصائب " واليك ما جاء فيها :

" ومنها قوله في صفحة ١٧ (الامر باللام ان تزيد في اول المضارع لاما مكسورة

وتسكن آخره الخ) اقول قد اطبقت العلماء على القطع بجزم الفعل الواقع بعد لام

الامر لانها من الادوات الجازمة بالاجماع . نقول المؤلف وتسكن آخره خطأ بين لان

التسكين من اوجه البناء لا من اوجه الاعراب " ثم يقتصر الشرتوني بعض آراء علماء اللغة

لاثبات ما ذهب اليه . والمسألة في نظرنا لا تعدو كونها تساهلا في التعبير . وقد

١٠. السهم الصائب ص ١٠.

١١. السهم الصائب ص ١٩.

رد الشيخ يوسف الاسير عليه في " رد السهم للسهم بقوله

" وهذا المعترض ترك قول ابن مالك والاشموني والصباح بعد الصفحة التي

نقل منها هو :

فأرفع بضم وانصب فتحا وجر كسرا كذكر الله عبده يسر
واجزم بتمكين وفيه ما ذكر ينوب نحو جا اخو بني نمر
الى ان يقول . . . فليراجع ذلك من شاء ليعلم ان صاحب السهم حفظ شيئا وهايت
عنه اشياء . . .

٢٠٢ عدم الدقة في التعريف : وقد نقده الشرتوني لذلك في عدة مواضع منها

نقده لتعريفه الفاعل ان قال :

" ومنها قوله في تعريف الفاعل في صفحة ٣٥ (هو ما تقدمه الفعل) وهو
مختل جمعا وضعا ، اما جمعا فلانه يخرج عنه ما كان مرفوعا لصفة او مصدر او ظرف
كزيد قائم ابوه ، واعجبني انشاد الليل زيد ، وما عندك رجل اذا جعلنا الرجل فاعلا
بالظرف . واما مفعلا فلانه يدخل تحته اسما الافعال الناقصة باعتبار كونه مرفوعة
بافعال متقدمة عليها ، ويدخل نائب الفاعل ايضا نحو كان زيد اميرا وقطعت يد السارق .
فكان الصواب ان يعرفه بنحو قول العالم المحقق والامام المدقق الشيخ الفاكهي في
كتابه مجيب الندا الى شرح قطر الندى حيث قال وهو اسم او ما في تاويله قدم عليه
فعل تام او ما في تاويله واستند اليه على جهة قيامه به او وقوعه منه اهـ
وسرى منه ما سيجي ما بذلك على ان المؤلف لم يقف عند احكام التعريف فما خطر
بباله قيده على غير تدقيق نظر ولا ادنى مراعاة للاصول المنطقية . "

ونحن نشارك الشرتوني هذا الرأي والامثلة عليه في الكتاب كثيرة منها تعريف

المتني (ص ٢٩) وتعريف المبتدا (ص ٤٧) والاشتغال (ص ٦٠) وغيرها .

وقد رد عليه الشيخ يوسف الاسير ردا ضعيفا قال فيه : وجوابه انه قد تقدم وتكرر ان الغنية كتاب مختصر فلا يجوز فيه الاسهاب بل اتباع المختصرات كالا جرومية ونحوها .^{١١}

٣ . الاطناب والايجاز في غير مواضعهما المناسبة : فقد كان الشدياق مالمذى يحتج انصاره لاختائه بكون كتابه موجزا مختصرا ، يطنب في مواضع لا تحتاج الاطناب . ونتيجة هذا بالطبع هي زيادة التعقيد وصعوبة الفهم ، من ذلك اطنابه في احكام الجمع (ص ٢٧) واحكام الاضافة (ص ٩٢) . ومن مظاهر هذا الاطناب ولعه بالتقسيم والتفريع وايراد آراء البصريين والكوفيين وغير ذلك مما يجعل الكتاب مرجعا للمختصين .

وليت الشدياق وقف عند هذا الحد . بل نراه في بعض الابحاث يوجز ايجازا مخرلا يذهب بالقاعدة او يبهيمها ويخلقها . ومن ذلك تعريفه للفاعل الذي اثبتناه سابقا وتحديد ببناء اسم التفضيل^{١٢} فقد ذكر له بعض الشروط واهمل البعض الآخر وغير ذلك .^{١٣}

٤ . السهو والتساهل : وقد ظهر ذلك في اقتباسه لبعض الاقوال والاستشهادات . كما فعل عندما اقتبس عن كليات ابي البقاء موضوع الحال^{١٤} وعندما نقل عن ابن هشام في النداء^{١٥} . وقد ياخذ هذا السهو ماخذ آخر وهو سقوط بعض الكلمات في الطبع ككلمتي اسم الزمان^{١٦} ووضع كلمة^{١٧} مكا آخر كما حدث في قوله * والفتحة تكون علامة للنصب (بدلا من الجر) في الاسم الذي لا ينصرف^{١٨} .

هذه هي المآخذ التي اخذها الشرتوني على الشدياق . وهي في نظرنا لا تدل على عجز في الشدياق بقدر ما تدل على اخلال بقواعد التأليف وسهو في عرض الحقائق كما انها تدل على تزمت من الشرتوني وتحريج .

اما موقف الانصار فقد كان حمما من الشتائم والهجاه قذفت على الشرتوني المسكين كما قذفت على صاحب برجيس باريس من قبله . وقد اشرنا الى كتابي الاحدب والاسير

-
- ١١ . رد اسم ص ٤١
 - ١٢ . اسم الصائب ص ٢٠
 - ١٣ . اسم الصائب ص ٥٥
 - ١٤ . اسم الصائب ص ٢٩
 - ١٥ . اسم الصائب ص ٢٥
 - ١٦ . اسم الصائب ص ٢١
 - ١٧ . اسم الصائب ص ٨٥

وها نحن نتحدث عنهما ببعض التفصيل .

رد السهم عن التصويب وإبعاده عن مرمى الصواب بالتقريب : للشيخ إبراهيم الاحدب :

في هذا الكليب الذي لا يتجاوز الخمسين صفحة حاول الاحدب ان يرد على الشرتوني ردا علميا زينه ببعض الشتائم . وقد رد على جميع انتقاداته ما عدا ثلاثة هي السادس والعشرون في الصرف والثالث والاربعون والتاسع والاربعون في باب النحو . وقد كانت ردود الاحدب ضعيفة هزيلة في اكثر الاحيان . وليس ذلك الا لسخف الانتقادات التي اوردها الشرتوني . وها نحن نقبس بعض الشتائم . قال في المقدمة :

" فكنت اتصام عن سماع الخناع اني اسمع من سمع . واعرض عن التعرض لاولاد الزنا بما لا يطيب في سمع^١ .

وقال مشيرا الى الكتاب :

" نشر به قائله ما يخبت في السمع وتقبج به الطوية ويتضمن احداث كتاب باسهال الزمان^٢ .

وقال :

" وان جحد ذلك نكرة لا تطيب بالتعريف لخبت النشر من شربون^٣ وها نحن نقبس ردا من ردوده على الشرتوني لنعطي فكرة عامة عن أسلوبه . قال :

" ثم قال ومنها قوله في صفحة ٤١ ويتعلق ظرف المكان بحذوف تقديره كائن او مستقر نحو زيد عندك اه . فاعترض اختصار ظرف المكان بما ذكره واطال في النقل والتببيه . قلت هنا حذف الواو مع ما عطف والاصل " ويتعلق ظرف المكان وظرف الزمان " . وقرينة الحذف اشتراكهما في الحكم المذكور بالاجماع وهل يتوهم احد ان المؤلف يجهل ذلك . على انه يمكن ان يكون ما قدرناه سقط من القلم وان لم ينبه عليه في بيان الخطأ والصواب كما لا يخفى^٤ .

١. رد السهم عن التصويب ص ٤

٢. رد السهم عن التصويب ص ٤

٣. ص ٤

٤. ص ٤٤

رد الشهم للسهم : الشيخ يوسف الاسير

وكما حاول الاحدب ان يدافع عن صديقه كذلك فعل الاسير . وربما كان ما فعلاه نتيجة تكليف لهما من الشدياق لبناقحا عنه . وثبت ذلك ما ذهب اليه طرازي في تاريخ الصحافة . قال :

" وقد كبر هذا الامر على صاحب الجوائب فاستنجد الشيخين يوسف الاسير وابراهيم الاحدب فالف كل منهما ردا على الكتاب المشار اليه " . والكتاب لا يختلف كثيرا عن سابقه في الرد والاقناع وقرع الحجة بالحجة ، وانما يختلف عنه في مسائل اوجزناها فيما يلي :

١ . البداية والافذاع : فقد افتتح الكتاب بمقدمة تهجم فيها على الشرتوني كما انهاء بقصيدة في ذلك . كما ان اعتاد ان يختتم معظم ردوده بشتائم يصيها على الناقد . واليك بعض الامثلة :

قال ، " هذا انموذج كلام ذلك البهيم " .

وقال : " وكان الاولى لذلك المفتون الذي فتح فاه لقرع قفاه ان لا يخرج من شرتون ولو افتاء المفتون " .

وقال : " لا يخفى ان سعيد الشرتوني مستعار ومستعير وانما جره الى هذا الساعور مستعر في قلبه من محرر الجوائب ناعور وسعير ، وقد عرف من التعيير والبهرة تدل على البعير " .

٢ . خرج من تهجمه على الشرتوني الى التعيير بالشيخ ناصيف اليازجي . وهذا يذكرنا بكتاب " ارشاد الوري في تخطئة جوف الفرا " الذي ألفه الاسير في نقد كتاب اليازجي هذا ، وملاء بالشتائم والافذاع . ومن امثلة ما ورد في رد الشهم للسهم من التهجم على اليازجي قوله :

١ . تاريخ الصحافة ج ١ ص ٢٢
٢ . رد الشهم للسهم ص ٤
٣ . نفس المصدر ص ٧
٤ . ص ١٦ ، ١٧

ن " ولو انصف صاحب السهم وكان من اولى المعارف والفهم لانتدب للاعتراض على كتب استاذة ناصيف التي فضلها هو وامثاله على كل تاليف مع ان اغلاطها لا تحصى ومثراتها لا تقال ولا تستقصى ولكن حبك الشيء يعني ويصم " ؟

عند هذا نقف في عرض هذه الكتب قائلين مع طرازي " ومع شدة ميلهما (للاحدب والاسير) الى المستنجد لم يسمعهما ان يقرأ في كثير من المواضع من الاقرار بصوابية الانتقاد " ؟

وبعد فان الطابع الذي يطبع هذا الكتاب هو طابع التشويش مما يشق على المتعلم ويبعد المؤلف عن الهدف الذي من اجله وضع الكتاب . وهو كما زعم . تبسيط قواعد اللغة على المتعلم حتى يسهل عليه تعلمها وذلك خشية ان تتدنر لغة العرب لصعوبة تناولها على الطلاب .

وياخذ هذا التشويش صورا مختلفة منها ايراد من الباحث كايارد اللهجات العربية المهمة وآراء الكوفيين والبصريين ، والشواذ التي اهتمت في الاستعمالي فكانه اراد بذلك ان يظهر مقدرة الفائقة واطعمه الواسع متناسيا الفائدة التي يجنيها المتعلم من ورائه .

ولقد اهل التمارين التي تعين الطالب على تفهم ما يدرسه وعلى هضمه . كما انه اهل الاعراب الذي يبين وجوه استعمال الكلام وطرقه وشعابه . ويكاد هذه العيوب تظهر في اكثر الكتب التي الفت في البيقظة الحديثة . فان التشويش والغموض صنعتان ملازمتان لها . وقلما خلا منهما مؤلف من المؤلفات . واذا اردنا دعم ما ذهبنا اليه لما ايسر ان نتناول بعض هذه الكتب التي الفت في الصرف والنحو " كالباب في اصول الاعراب " . " وفصل الخطاب في لغة الاعراب " " وجوف الفرا " " ونار القرى في شرح جوف الفرا " " وطوق الحمامة " " والجوهر الفرد " " والخزانة " " والجمانة في شرح الخزانة لليازجي الاب . " ومدخل الطلاب في دروس لغة الاعراب " لسليم تقلا

" والاجوبة الجلية في الاصول الصرفية " لمحمد تلحوق وسواها ، لتتحقق بانفسنا ما فيها من تشدير واضطراب وابهام وغير ذلك مما يحسر على الفهم ، ويشق فهمه على عقلية الطالب . وكان الشيخ ابراهيم اليازجي شعر بذلك ، وأشار بعلاج ناجع لم نغم حتى الان الا بتحضير بعضه وهذا العلاج جاء في مقالة " لغة العامية واللغة اللصحي " قال :

" ولذلك فاول ما ينبغي الاهتمام به تأليف لجنة من ذوي البصائر السليمة والعلم الصحيح تتولى كتب النحو بمثل ما فعل مؤلفو مجلة الاحكام العدلية في الكتب الشرعية فيختارون من كل قاعدة اصح الاقوال وامثلها لتكون مرجعا لطلاب هذه الصناعة وتنبذ بقية الاقوال الساقطة والمؤاهب المربوطة ويكون في ضمن ذلك اهمال كل ما يتعلق بالقراءات المختلفة واللغات الشاذة والضرورات الشعرية ما يترك الكلام عليه للتصانيف المختصة به بحيث يتخلص النحو في الوجوه التي عليها الاستعمال ويكون ذلك ذريعة تتوحد بها قواعد اللغة كما توحدت اللغة بالقرآن .

ومثل ذلك يفعل بكتب متن اللغة فتنبذ منها اللغات المتروكة والالفاظ الوحشية من كل ما لا يرى في الكتب المتداولة لهذا العهد وما لا يجوز للفصح استعماله على ما نر عليه علماء البيان لان هذه كلها مما يقتضى الاطالة في الشرح الى حد الملل ويكثر التخليط على الطالب من غير فائدة " .

هذا كتاب فنية الطالب ، ولو لا ضيق المقام لاتينا بأمثلة اخرى تثبت ما ذهبنا اليه في انتقاداتنا عليه . وقبل ان ننفض يدنا منه نود ان نذكر اننا قمنا الكتاب بالمؤلفات الحديثة لا بالمؤلفات التي عاصرت . وهذا ناتج عن اعتقادنا في ان الشدياق كان قد سما على تفكير معاصره في ميادين الادب المختلفة ، ولذلك يجب ان نتلمس آثاره هذا السمو في كل ما انتجه .

بالإضافة إلى الخدمات التي أدتها الجوائب في تهذيب الرأي العام في العالمين العربي والإسلامي في ذلك العصر، كانت " لا تخلو من المناظرات العلمية والسياسية بين صاحبها وبين أكبر علماء ذلك العهد كالشيخ إبراهيم الأحمد والدكتور لويس صابونجي والشيخ سعيد الشرتوني والمعلم بطرس البستاني ووزق الله حسون و يوسف باخوس وسواهم من أساطين الجهابذة".

" وأقدم تلك المناظرات وأشهرها هي المناظرة اللغوية التي جرت بين جريدتي الجوائب وبرجيس باريس" التي كانت "جريدة نصف شهرية تصدر في باريس ومديرها الأب فرنسيس بورغاردي رئيس مدرسة القديس يوسف . وتعد هذه الجريدة بأكورة الصحف العربية من كبر حجمها وجودة حروفها واتقان طبعتها واتساع مواضيعها".

وعندما قامت هذه المناظرة كان يتولى تحريرها الشيخ سليمان بن علي الحريري التونسي من مشاهير كتاب ذلك العصر . أما أسباب هذه المناظرة فهي أن محرر البرجيس تعرض للعدد الثالث والسبعين من الجوائب بالنقد . وقد أخذ على الشدياق أنه كتب خمسمائة وسبعمائة موصولة والصواب أن تكون منفصلة فتكتب خمسمائة وسبع مائة وأنه كتب السباكل (اسم صحيفة في باريس) والصواب التبركل كما يلفظ به أهله . وكتب نابولي والصواب نابلي وكتب جينوي والصواب جنوة وكتب الثلثا والصواب الثلاثاء، والدولة والصواب الحكومة، وعيلة والصواب بيت، والبوسطة والصواب البريد وغير ذلك .

وقد استفحل أمر هذه المناظرة وجرد لها أنصار الشدياق السننهم وأقلامهم . وكسوا الحريري شتائم وقذائف متنوعة . ومن يرجع إلى الجزء الرابع من كثر الرغائب يلحس بنفسه مدى تأثير تلك المناظرة على الأدب في ذلك الوقت . واليك أمثلة مما قيل في هجاء محرر البرجيس . قال أحمد سامي المصلي :

١٠. شابع الصحافة ٨ ص ٢٢

١١. نفس المصدر

١٢. نفس المصدر ٦٠ ص

قل لمن ينهق في باريس قد سافك النقي الى حنف مهان
ورماك الجهل من ورطته ايها الاحمق في اقصى مكان
ومذاك الرشيد يا هذا الذي جئته معترضا بالهذيان^١

وقال احمد عزت الفاروقي الموصلي :

نعمنا لبرجيس الخبيث فانه في خبته طول المدى مرهون
عميت بصيرته فاصبح اكهما والغير فيه من الفخار عيون
كالقارمر الفضال رب محامد هي في رقاب العالمين ديون
فالنظم منه جوهر متنضد والنثر منه لؤلؤ^٢ مكنون^٣

ولم يقف الشدياق من المناظرة وقفة العالم بل قذف خصمه بشتائم كثيرة ونظم
في هجائه قصائد وابياتا تشهد بطول بابه في هذا المضمار . واليك بعضا منها :

ان يلهث الوغد الدنسي عليك او يفتح فما
فاقلب له نعلا ليخسأ او ليسكت فحسما^٤

وقال :

ايا قوم انظروا ماذا بلاني به جور الزمان وما دهاني
ولو حر بليت به ولكن تعالوا وانظروا بمن ابتلاني^٥

وقال :

طلبت مني منلا يا مارقا للمرقه
فقلت انت في الوري احمق من هبتقه^٦

وحسما للنزاع وقف الشيخ عبد الهادي نجا الايباري حكما بينهما وابدى حكمه
في تلك المناظرة في كراسة عنوانها النجم الثاقب في المحاكمة بين البرجيس والجواب .

١. كنز الرغائب ج ٢ ص ١٢
٢. ١٢ ص ٢٥
٣. ١٢ ص ١٨
٤. ١٢ ص ٢٥
٥. ١٢ ص ٢٥
٦. ١٢ ص ٢٥

وكان كلامه فيها الفصل الخطاب وقد حكم فيها للشدياق على الحرية . ولم يخل كتابه هذا من تهجم على الحرية وشم له عادة انصار الشدياق .^{١٠}

ويمكننا ان نعد من قبيل هذه المناظرات ما حدث للشدياق ورزق الله حسن الحلي مؤسس جريدة مرآة الاحوال الذي اصدر مجلته الجدلية . رجوم ونساق الى فارس الشدياق " عام ١٨٦٨ في لندن وغايته فيها الرد على الشدياق الذي تطاول عليه بالهجا والشم . وقد اشند بينهما الجدل حتى انتقل من المناظرة الى المشاتمة والمهاترة . وكانت كتابات كل منهما ورد ود الواحد على الاخر مشحونة بالهجو المر والطعن الموجه . وقد احتجبت هذه المجلة بعد صدور عدديها الاولين . وليس بين ايدينا عنها الا ما قرأناه في تاريخ الصحافة .^{١١}

ولما مات الشيخ ناصيف اليازجي سنة ١٨٧١ رثاه احمد فارس على صفحات جوائبه وضمن مراثيه نقدا لغويا لليازجي^{١٢} كان محوره لفظة الفحطل التي وردت في المقامة الانطاكية من مجمع البحرين . ووجه الصواب فيها ان تكون الفطحل . وقد تكلف الشدياق لهذا النقد كثيرا من الجهد والعناء فاخذ يبحث في المصادر وكتب اللغة على يثبث ذلك . والامر لا يعدو كونه غلطا مطبعيا .

ونحن نعتقد ان السبب الاول لهذه المناظرة هو الموجدة المتغلغلة في نفس الشدياق على اليازجي الاب . كيف لا وهو منافسه في الصحافة واللغة والادب في ذلك الوقت والعنصر الفردي قوي في النفس الانسانية ولو بلغت من الصقل والتدريب ما بلغت نفس الشدياق . ولعله الباعث الاول لتلك المناظرات والمطاحات التي كانت تجري على صفحات الجوائب .

كان مفتاح المناظرة كما قلنا هو كلمة الفحطل التي وردت بحرفة في الطبع على هذه الصورة . فكان ان تعلق بها الشدياق تعلقا يفوق تعلق الشرتوني . وفي السهم الصائب . ببعض الاخطاء المطبعية . وقد شق الشدياق على نفسه في ذلك واخذ يورد

١٠. مكتبة الشرقية بيروت
١١. تاريخ الصحافة ج ١ ص ٧٧
١٢. الجواب عدد ٩٥

الادلة والاثباتات التي تدمر رايه وتقوى احتجاجة . ويعز علينا . ان يسقط اديب القرن التاسع عشر مثل هذه السقطات ، التي كشفت للناس عن حقد دفين على اليازجي الاب كان يتكلف اخفاؤه في نفسه الى ان مات هذا . فوجد المجال نسيحا لظهار براءته وسبقه .

اما جواب ابراهيم اليازجي على هذه الهجمة فقد كان ناعما لطيفا ، انه لم يتعرض فيه للشتم او للقذف وانما قرع الحجة بالحجة ونقر الدليل بالدليل . واليك طرفا من هذا الرد :

اما وجه الانتقاد على اللفظة المذكورة فهو ان الحاء منها مقدمة على الطاء في النواتج والحق العكس وان يقال الفطحل بتقديم الطاء . وقد اورد على ذلك شواهد وادلة من كتب اللغة العربية شهدنا له فيها بالفضل والبراعة . ومن جملة ما اورد من ذلك قال وفطحل بفتح الفاء اسم رجل اقول وقرائن كلامه تقتضي بقاء ما سوى الفاء على حاله فيكون مفتوح الطاء ايضا مع سكون الحاء . ولا وجود لهذه اللفظة على هذا الوجه اصلا . قال في التاموس الفطحل كهزير دهر لم يخلق فيه الناس بعد او زمن نوح عليه السلام او زمن كانت الحجارة فيه رطابا والسيل والتار العظيم والضخم من الابل . وكجعفر وقنفذ اسم . انتهى . ففي قول صاحبنا وهم ظاهرا وحمل الكلمة على وزن جعفر وفيه سهو . وكان الاولى ان يقبده بفتح الحاء ايضا او يقتصر على ان يقول بالفتح كما جرى اسطلاح اللغويين ويترك ذكر الفاء التي انما هي زيادة في اللفظ تؤدي الى تغير في المعنى . ويذكر الوجه الثاني ايضا وهو الضم . قلت ومثل هذه الزيادة قوله في كتابه سر الليال في صفحة ٣ في كلامه عن لغات الاعاجم قال فما مثلهم الا مثل الثوب المرتع والوجه القبيح المرتع . فانه قصد المبالغة في قبحه فالتوى عليه المعنى وجاء عكس المقصود . هذا واذا سلمنا بعدم انشلام عبارته او سلم بصحة انتقادنا وثبت على الوجهين ان الكلمة هي بوزن جعفر او قنفذ ورد عليه الاعتراض من وجه آخر وهو وهو ان المقام لا يحتمل وزن جعفر ولا قنفذ لتوقع الكلمة في الفاصلة مقابلة بالمطل ولا ولا يخفى ان للفاصلة حكم الثانية . على انه لو ترك ايراد هذه اللفظة اصلا لكان اسلم .

من الانتقاد . وما ادرى ما الذى ساقها وهي اسم رجل لا مدخل لها في المقام
الهيئة فضلا عما تقدم .

والشيء بالشيء يذكر فما مر الكلام عليه من الخلل في احكام الفاصلة هو على
حد قوله في كتابه مع اللبالب المار ذكره في الصفحة عينها لكنهم عدلوا عن هذه
الجادة الى جادة اخرى جاہده . ومثله قوله بعد ذلك فظهرت اسرار حسناتها وتباشير
فنها وحكمة وضعها وبهجة مطلعها . فان الجادة لا توافق جاہده ووضعها لا توافق
مطلعها . وانما تكون الجادة بازا النادة مثلا وجاهدة بازا شاردة وهلم جرا . ومنه
قوله ايضا في اثناء ذلك مع ان الجمع في لغة العجم له علامة واحدة واسارة غير شاذة
ولا ناذة . وفي النسخة نادرة بزيادة را بعد الدال وهي مختلفة لفظا ومعنى . وما
ادرى ايتهما المعقول عليها عنده ولعلها الثانية كما اني الفحطل بتقديم الحاء على الطاء
هي المعقول عليها عند ابي على رايه . وهنا اعجب كيف جزم بقوله ولا شذ في ان
قول الشيخ ناصيف في المتن والشرح فحطل بتقديم الحاء على الطاء هو من غلط الوهم
الى آخره . ولو بنى كلامه هذا على الاحتمال لكان اسد . على ان غلط الوهم لا يخلو
منه احد كما اشار بعد ذلك فلا عيب فيه والا فكل عائب معيب . غير انني قد كشفت
في النسخة الاصلية التي بخطه رحمه الله فلم اجد لذلك من اثر وانما هو غلط في الطبع
من النوع الذى وقع للمولى في ما ذكرت . ومنه ابدال البدائع بالمدائح في صحيفة الجواب
المذكورة في العمود الثاني من صفحة ٣ وغير ذلك مما لا يخفى على ذى عينين . وامثال
هذا في اكثر الكتب المطبوعة كثيرة قل منها ما يخلو من كميات من الاغلاط التي اخصها
القلب والابدال كما يعلم الاستاذ . فينتبه المؤلف الى بعضها فيدرج تحت اصلاح الغلط
كما جرت العادة ويغفل عن بعضها فيبقى عرضة لعبث الناقد الى ما بعد وفاته .

من هذه القطعة يتبين لنا ان اليازجي كان ادبيا في اجابته يحاول ان يتحرى
الخطأ في كتب الشدياق ، وان يبين له ان خطأ كهذا محتمل الوقوع .

والخطأ الثاني الذى اخذه الشدياق على الشيخ ناصيف هو كلمة المراءض . وهكذا
سارت المناظرة ، كل منهما ينقد اتوال الاخر وينقد ما جاء في مقاله من الاخطاء . وقد

وقوله ايضا فيه

فلم يضع ساعة من عمره عبثا
ولم يضع قوله في غير احسان
فاما الان وقد عدل الى ما عدل اليه وقد بينت للواقف على هذه المناقشة مبلغ ما عنده
من العلم فلا يلزمني بعدها مساجلته ومناظرته والتعرض لسهام قذفه لان آدابه ليست
كآدابه واطواره ليست كاطواره ولا ارى له بعدها حقا في الدخول الى مجلس المساجلين
ولا راي لي في مواطاته على ما ذهب اليه ومعاذ الله فذلك من قبلي باب محكم التوصيد

ليس الوقعة من شأني فان عرضت
اني اذن بعرضي ان يلم به
اعرضت عنها بوجه بالحياة ندى
غيري فهل اتولى خرقه ييـدى

انتهى
ابراهيم اليازجي^(١)

وهكذا تختتم هذه المناظرة اللغوية التي خالطها الكثير من الذم والشم ، بالنسحاب
ادبي لليازجي بعد غارة طويلة من النقد اللغوي الرصين شنها على الشدياق . فتكون
النتيجة الحتمية لهذه المناظرة شن غارة معاكسة على اليازجي وانصاره ، كان لها مظاهر
ثلاثة .

١ . مهاجمة الشيخ ناصيف اليازجي الذي كان محور هذه المناظرة :
نقد الف الشيخ يوسف الاسير كتابا اسماه " ارشاد الورى الى تخطئة جوف الفرا " .
تطاول فيه على كتاب " جوف الفرا " للشيخ ناصيف . ولم يخل نقده تشبها مع روح العصر .
من تهجم شخصي وهجاء مقذع وشتائم مرة . كما ان الاسير تعرض لليازجي الاب في كتابه
رد الشهم للسهم الذي تحدثنا عنه سابقا .^(٢)

٢ . مهاجمة الشدياق لبطرس البستاني صاحب الجنان الذي ساند اليازجي
في مناظرته ونشر مقالاته على صفحات مجلته . وقد نقد قاموسه " قطر المحيط " في مناظرة
نشرت اصولها في الاعداد ٥٦٤ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ من الجوانب ورد عليها البستاني في
الجنان^(٣) وتطور هذه المناظرة حول تخطئة الشدياق للبستاني لانه اتى بجمع كلمة الاب
في قطر المحيط مع ان الشدياق لم يعثر لها على جمع في كتب اللغة كالصاحح والكليات

١، مجلة الجنان - ١٢٢٢ ص ١٢٢

٢، ص ٢٧٧ ص ٢٧٨ هذا الكتاب

٣، الجنان - ١٢٧٤ ص ٨٨

والمصباح والقاموس . وقد خطاه ايضا لانه لم يذكر لهث متبوعة بحلى وبان الا بد ترجع الى الوجود لا نلدواهي ولذكره الابار مع ان صاحب القاموس لم يذكرها ولسقطات اخرى . وقد رد البستاني عليه ردودا مفحمة . ولا ندرى ما الذى جعل الشدياق يظهر بمظهر الضعيف امام اليازجي الابن وامام البستاني . ولعل ذلك ناتج عن سببين هما استخفافه بالخصوم وانهماكه في تحرير الجواب . وقد نلحق بهما سببا ثالثا هو ان نفسية المهاجم اضعف من نفسية المدافع .

٣ . مهاجمة الشدياق لابراهيم اليازجي في كتاب اسماء * سلوان الشجي في الرد على ابراهيم اليازجي " وقعه الشدياق باسم مستعار هو ميخائيل عبد السيد المصرى معلم اللغة الانكليزية بمدرسة الاميركان بالقاهرة .

ولا نستطيع ان نجزم بان الشدياق هو مؤلف هذا الكتاب . ولكن الاستاذ مارون عبود يزعم ذلك ان يقول :

" سلوان الشجي الله الشدياق رذا على اليازجي ونشره مطبوعا على انه لرجل لا اذكر اسمه وليس لدى الان في عين كفاح ما يرشدني اليه " . كما ان الاستاذ امين نخله يظهر شكه في نسبة هذا الكتاب ان يقول :

" وبا بعد ما بين هذه الجملة مثلا وهي من كلام للشيخ الشدياق في بعض ردوده على الشيخ ابراهيم اليازجي في مناظرة الفطحل الشهيرة . تنقلها بلفظها من سلوان الشجي في الرد على ابراهيم اليازجي " المنسوب الى " مخايل افندى عبد السيد المصرى معلم اللغة الانكليزية بمدرسة الاميركان بالقاهرة " .

ومن المعقول ان يتقدم الشدياق الى الرد على اليازجي بصورة تكتفية سرية بعد ان اخفقت طريقة الصراحة او كادت . وبعد ان سكت عنه تلك المدة الطويلة التي افرغ فيها اليازجي معظم ما في جعبته من سهام النقد . وان الشدياق ليرمي عصفورين بحجر واحد بنشر كتاب كهذا باسم مستعار . فانه يدافع عن نفسه ويحطم بعض ما لليازجي

من الشهرة الادبية وهو بعيد عن ذلك لا يصيبه من رد الفعل شي . ومن ناحية ثانية يضيف اسما جديدة الى لائحة انتصاره الذين كان لا يترك مناسبة تفوت دون ان يدل بهم وان يهدد بهم خصومه . ولكن هذا الافتراض يجب ان لا يصرفنا عن نسبة الكتاب الى ميخائيل عبد السيد . فهو شخصية تاريخية توفي سنة ١٩١٤ . وقد كان معلم اللغة الانكليزية في مدرسة الاميركان بالقاهرة ، كما كان محرر جريدة "الوطن" ومديرها سابقا . وله من الكتب "روضة الكتاب في علم الحساب" ، "والرياض الاهربية في الاعمال الجبرية" . ويوسف سركيس ينسب اليه كتاب "سلوان الشجى" هذا الا ان عدم اشتهاره في علم اللغة يقوى شكنا في نسبته اليه . وسنترك هذه المسألة محلقة الا ان يفيدنا اولو العلم بعلمهم . ولنتقدم الان الى عرض ما في الكتاب عرضا علميا موجزا انما للبحث .

سلوان الشجى في الرد على ابراهيم البازجي :

الغاية من تأليف هذا الكتاب ، كما ذكرنا سابقا ، هي الرد على البازجي في هذه الحملة النقدية التي اثارها على الشدياق على صفحات "الجنان" سنة ١٨٧١ . وروح العصر تتحكم بهذا الكتاب تحكمها في كتابي الاسير والاحدب في الرد على سعيد الشرتوني . فالروح العلمية فيه تختفي وراء ستار ثقل من الهجو والسباب والافتداع . وهل ادل على ذلك من قول المؤلف في المقدمة :

" اما ترجمة ابراهيم البازجي فهو صاحب السفاهية الكبرى والقذف والافتراء . لم تكد عبارة له تخلو من التعقيد والتطاول والتنديد . وقد بلغني ممن يوتز بكلامه انه من اهل الاسواق واولاد الزقاق . وانه حاول ان يدخل بعمر المكاتب ليتعلم فيها بعض العلوم الابتدائية . زحيت كان خامل القدر منسي الذكر ما راد ان يحصل على شهرة بتخطئة صاحب الجوائب . فحصل ما اراد وان كان على طريق الفساد . لانا قبل وقاحته هذه لم يكن لنا علم بوجوده بين الاحياء ، ولم يذكره ذاكر في الاحياء . ولكن شتان من اشتهر بالفضائح واول ما عرف منه انه انغمس في القبائح ، ومن له جوائب تجوب الارض شرقا وغربا . وتهدى الى الناس من كل فن وحكمة صريا . "

١١ . معجم سركيس ج ١٠ - ١١ عدد ١٨٤٤

١٢ . سلوان الشجى ص ٥

”كما توهمة ابراهيم اليازجي الشيخ الجديد الذي شيخه بطرس البستاني على حد محاكمة الحبر بعضها لبعض“.

وفي هذا الكتاب ، لا يكتفي المؤلف بتخطئة اليازجي الابن والرد عليه ، بل نراه يتعرض لبطرس البستاني ظهيرة في المناظرة ولقاموسه لمحيط المحيط . ثم يتعدى الاثنين الى ناصيف اليازجي ، فيشير الى بعض الاخطاء التي جاءت في مقاماته . ثم يتعرض للمناظرة التي قامت بين الاثنين ، فيتناول آراء الجانبين بالنقد والتحليل مفندا آراء اليازجي ، داعما آراء الشدياق .

هذا ما يدور عليه الكتاب . وقبل ان ننفض يدنا منه نود ان نجعل رايانا فيه بقولنا ان اكثر ما جاء فيه من النقد والاعتراض كان حقا . وهذا لا يعني اننا ننهي على اليازجي جهله لدقائق اللغة ، ولكن السبب لهذه الاختلافات والمعارفات هو اتساع مجال الابحاث اللغوية وكثرة المذاهب وتعدد المدارس ، مما فتح مجالا واسعا لكثرة اد الجوازات في اللغة . ومهما كان اطلاع العالم على لغتنا واسعا فانه لا يعدم مذهباً او تعليلاً يجهله ولا يعلم بوجوده . وهذا هو غيب ما نقوله في المناظرة . فقد اخذ الشدياق على اليازجيين والبستاني عدة مآخذ ، كما فعل اليازجي والبستاني في تعرضهما لكتب الشدياق وآرائه فهل يعني ذلك ان احد الطرفين منتحل ؟ لا . فان السبب كما قلنا هو اتساع نطاق المباحث اللغوية وتقصير العلماء دون الاحاطة بكل ما يرد منها .

وهذه المناظرة ، لولا تخللها من الطعن الشخصي والسباب والمهاترة مفيدة كل الفائدة لانها انسحت المجال امام قدامين ، وان لم يكونا متكافئين ، للاجتهد في اللغة ولتجربى بعض المشكلات وتحجير بعض الدقائق . وقد افاد اليازجي الابن من هذه المناظرة فائدة كبيرة ، فقد تعلم ان يزن كلامه قبل ان يخرج للناس كما تعلم اليازجي كيف يحافظ على كرامته بين العلماء ، وكيف يقابل المناظرين . وقد قال بطرس البستاني في هذه المناظرة :

• بدأت شهرة اليازجي بسبب رجحانها ولما يزل رخم الانامل طوى العود . فقد
كانت مقارنته لاحمد فارس الشدياق اشبه بمقارنة بديع الزمان الهمداني لابي الخوارزمي .
فلفت اليه الانظار . وتحدث به الناس وعطف عليه النصاراء .^{١٠}

ومن قبيل هذه المناظرات ما وقع بين الشدياق وانصاره وسعيد الشرتوني
حول كتاب "غينة الطالب ومنية الراغب" وقد فصلنا الحديث عنها سابقا .^{١١}

١٠. أدباء العرب في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين ص ٢٢٢

١١. راجع ص ٢٢٤ - ٢٢٩ منه هذا الكتاب .

منسرفات

النحت :

دعا الشدياق الى استعمال النحت لصوغ الفاظ تسد سد الالفاظ الاعجمية التي
جدت في هذه النهضة . وهو يعتمد في ذلك على ما اورد السيوطي في الزهر نقلا
عن ابن فارس في فقه اللغة . قال ابن فارس في فقه اللغة :

" العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة وهو جنس من الاختصاص ، وذلك رجل
عشيمي منسوب الى اسمين وانشد (الخليل)

اقول لها ودمع العين جار الم تحزنك حيلة السناد

من قوله حي على وهذا مذهبا في ان الاشياء الزائدة على ثلاثة احرف فاكثرها منحوت
مثل قول العرب للرجل الشديد ضبط وشبر . وفي قولهم صهلقت انه من
" صهل وصلق ، وفي الصلدم انه من الصلد والصلدم " .

ويتوسع السيوطي في هذا الباب فيورد بعض ما جاء في الاصول عن هذا
البحث فياتي بها ذكره ياقوت في معجم الادباء وابن السكيت في اصلا المنطق والشعالي
في فقه اللغة والجوهري في الصحاح وابن دحية في التنوير وابن فارس في المجمل .
وبما ذكره سواهم في هذا الباب .

والشدياق بعد ان يعرض آراء هؤلاء يقول : وكيفما كان فان النحت طريقة
حسنة تكثر بها مواد اللغة وتوسع اساليبها ولها نظير في اللغة اليونانية وسائر اللغات
الافرنجية وهي التي كثر مواد لغاتهم واحوجتنا الى الاخذ بها " .

وياتي في موضع آخر على ذكر النحت ويورد آراء اللغويين فيه ويدعو الى استعماله
ويقول : " فعلينا ان نعيد ونستفيد وننتفع بكل من الحديث والعهد " ثم يورد امثلة
ما عثر عليه من المنحوت .

١. الصاحب في فقه اللغة ص ٢٢٧

٢. الزهر ج ١ ص ٤٨٢

٣. كنز اللفاظ ج ١ ص ٢٠٢

٤. كنز اللفاظ ج ٥ ص ٤٦

هذه هي دعوة السدياق الى النحت وهي صريحة بيّنة فما هو مقفنا نحن منه ؟
هل نقره ونقر اللغويين عليه ام نقول كما قال بعض المتقدمين من علماء اللغة :
ان اللغة العربية هي لغة اشتقاق وليست لغة نحت .

تنقسم آراء الباحثين في هذا الموضوع الى قسمين ، الاول يرى ان النحت
حائز في اللغة العربية ، والثاني يرى انه غير جائز . ويمثل الرأي الاول الاستاذ اسماعيل
مظهر ، اذ يرى ان اللغة العربية قابلة للنحت ، وقد استشهد على ذلك بوضع كلمات ر
رباعية مثل صلخد وجلمد وختلع ، فاثبت ان الاولى منحوتة من صلد وصخد والثانية
من جلد وجمد والثالثة من ختع وتلع^(١) .

ويمثل الرأي الثاني الاب لويس شيخو اذ يثبت ان النحت غريب على اللغات
السامية وانها تنفر منه . فيقول :

" اما اذا انتقلنا الى اللغات الشرقية المعروفة بالسامية نسبة الى سام بن
نوح لشيوخ هذه الالسة بين القبائل والام المنتسبة اليه وجدنا انها بخلاف اللغات
السابق ذكرها لا تانمر بالفاظ المنحوتة والكلمات المركبة " ثم ياتي بامثلة من اللغتين
العبرية والسريانية يثبت فيهما ان النحت قليل فيهما وانه ظهر في بعض كلمات لا غير .
ويحصى الكلمات العربية المنحوتة فاذا بها لا تكاد ترى على الخمسين^(٢) .

والدكتور انيس فريجه فانه يرى ان اصول هذه الكلمات تعود الى الثلاثي اما
الحروف الزائدة فهي من احرف الزيادة في اللغة العربية التي لا تجمعها كلمة
سلا لتعنيها . فكلمة صلخد هي وزن فلعل من صخد وهذا الوزن بشائع جدا ، وجلمد
ايضا على نفس الوزن من جمد والخيتعور قد تكون من جتع ثم حنعر على وزن فلعر
ومنها الخيتعور^(٣) .

وقد سألناه تفصيل رايه فتكرم وتحدث الينا حديثا مفصلا نلخصه فيما يلي :

-
- ١، المختطف مجلد ٩٦ ص ٢٩٢
 - ٢، المستدرك ص ١٢٩
 - ٣، مجلة المشرق مجلد ١ ص ١٤٦ - ١٤١
 - ٤، المختطف مجلد ٩٦ ص ٢٦٨

اللغات السامية منذ عرفناها مدونة ترفع بطبعها النحت . ولكنها في طورها القديم كانت تعرف النحت بدليل الافعال مثل استفعل اصلها من فعل والسين للتعدي وهذا شائع في اللغة العربية العامية وفي الآرامية زالمعينية . اما اصلها فغير معروف قد تكون بعية اسم او فعل او كلمة تدل على السببية من سبب مثلاً . اما : ات لانها كلمة سامية معناها نفر والقاعدة السامية تنفر على انه اذا كانت الكلمة تبدأ بحرف صغير تأتي تاء : ات بعد السين . ومثل آخر على النحت القديم كلمة كتبت اصلها كتبت انت فاصبحت كتبتت وسقطت النون الساكنة لضعفها كما يجرى عادة في اللغات السامية .

وخلاصة رايه انه اذا كان هذا نحتاً فالظاهر انه جرى في اللغة الى زمن معين ثم وقد لان الملاحظ عندنا وفند الذين اهتموا بالامر ان اللغة العربية لا تقبل هذا المزج هذا اذا استثنينا بعض توفيقات في الاختصارات المزجية مثل برمائي وماهيته وغيرها .

ونحن نميل الى الاخذ بالرأى الاخير فنقول ان هذه الحروف الزائدة على الاصل الثلاثي انما زدت لتحدث زيادة في المعنى . وهذه الزيادة حاصلة من المعنى الذي ينطوى عليه الحرف نفسه . وقد توسع الشذياق في بحث خصائص الحروف العربية في كتابه "منتهى العجب" "مثال ذلك قوله ان من خصائص حرف الحاء السعة والانبساط اى ان الالفاظ التي تنتهي بحرف الحاء يكون في معناها شيء من خصائص هذا الحرف نحو الابتهاج والبذخ والبراج والابطح والابلنداح والرحرح والمسفوح والمفرطح والمسطح وما شاكل . ومن خصائص حرف الدال اللين والنعومة والغضاضة نحو البرخذاة والتيد والثار والخود والرادة والرهادة والفردد والاملود والقشدة والملد وغيرها . ومن خصائص حرف السين القطع والاستئصال والكسر نحو ارم ورم وجرم وحطم وما جرى مجراها وقر عليها " .

كان الشدياق من الرهيل الاول الذين اتصلوا بالحياة الاوروبية اتصالا مباشرا
نعرف لغاتها والفنيها وترجم عنها ، فاضطر الى وضع بعض الكلمات التي تفي باغراضه
الحديثة ، كما انه اضطر الى تعريب البعض الاخر . وقد استعان به بادجر في تأليف
قاموسه المشهور كثيرا وقد ذكر ذلك في مقدمته ^١ .

ولا تعرف بالضبط مساهمت الشدياق في هذا الحقل الا ان بعض المصادر
تذكر مساهمته هذه وتشير الى الكلمات التي وضعها او عربها . وقد اشرنا الى بعضها
في الفصل الاخير من هذا الكتاب ^٢ وها نحن نشير الى البعض الاخر .

ذكر الكونت طرازي ان كلمة جديدة هي من وضع الشدياق ^٣ والفرق امين المعلوم
يقطع بان الباخرة من وضع احمد فارس ، كما انه ينسب اليه الكلمات الاتية دون ان يقطع
في ذلك وهي : الاشتراك والبطاقة والبهو والثقاب والبرق والبريد ^٤ . ولاستاذ محمد
كرد على ينسب اليه الكلمات الاتية ، دون ان يذكر المصادر التي اعتمد عليها وهي :
الجريدة والمؤتمر والحافلة والمنطاد والمطعم (للكان الاكل) ، والسلك البرقي
(للتلفراف) والبازركاني ^٥ (للسوقي) او تاجر النسيج وهي من الفارسية زالبزنيق (الرصيف) ^٦ .

ولعل الشدياق اول من دعا الى مجمع علمي ، يعني بامر الحضارة الجديدة
ويضع الكلمات لها . وقد اشار الى ذلك في عدة مواضع ، قال :

" وكان بودى لو تنتظم جماعة من الادباء لاختراع الفاظ تسد سد الالفاظ العلمية
والاصطلاحية التي نجدها في كتب الافرنج نحو التلفراف والغاز وما اشبه ذلك . واحب
ذلك الى باب النحت ^٧ .

ومن هذه الدعوة الصريحة نلاحظ ان الشدياق كان من المتحررين الذين لا

١. الذخيرة العلمية المقدمة ص ١١٤

٢. ص ٩٥ و ٩٦ من هذا الكتاب

٣. تاريخ الصحافة ج ١ ص ٧

٤. المختطف مجلد ٩١ ص ٤١٢

٥. مجلة المقتضى السنة السادسة ص ١٩٨ ويكرها الأستاذ امين نخلة في محاضراته لندوة

البنائية السنة الاولى ص ٤٦

٦. كتبه المختار ج ٥ ص ٤٢

ينظرون الى اللغة كأنه شيء مقدس يجب ألا يمس به بل كان ينظر اليها ككائن عضوي حتى لم الصفات الكائنات الأخرى من حيث التطور . وهذه الصفة اللجدية التحريرية ظاهرة في أدب الشدياق عامة وقد اشرنا اليها في مواضعها .

الفصل السادس

المحامي

ويعتبر آثاره المهنية التي خلفها لنا في كنز الثغاب

استعمل الشدياق أعماله الصحفية بالتحريض في " الوقائع المصرية " في عهد محمد علي . وكانت في أول أمرها تصدر باللغة التركية فقط . ولكن الشدياق عمل فيها بعد أن صارت تصدر باللغتين ^(١) . وقد تولى كتابتها بدلا من العلامة رفاعة رافع الطمطاوى ، وهو الذى أنشأ الوقائع المصرية عام ١٢٤٨ هـ (١٨٢٨ م) بعد عودته من باريس .

" فأنصرف الى عمله بهمة لا تعرف الكلال حقبة من الزمان أبدى فيها من آيات الذكاء . والمبقرية ما اكسبه احترام الحكام وجهابذة العلم وسما به الى مكانة رفيعة عجز دونه كثيرون ممن تقدموه في خدمة الامارة المصرية او عاصروه من رجال العلم والفضل " ^(٢) . وفي ذلك يقول اخوه طنوس تحت تاريخ سنة ١٨٢٥ :

" وفيها سافر فارس الى مصر وخدم عند محمد علي في القلعة لاجل اعراب الوقائع اليومية لطبع البلاطة " ^(٣) . ثم طلق فارس الصحافة مدة تقرب من ثلث القرن ، الى ان عاد اليها في جوابه التي اصدرها في الآستانة حين استقر فيها . ومن المؤرخين من يدعي ان احمد فارس حرر في جريدة " الرائد التونسي " ولكن هذا الادعاء عار من الصحة وقد بينا ذلك سابقا ^(٤) .

اما الجوائب فقد اصدرها اسبوعية في الثاني من تموز عام ١٨٦١ . اذ ان هنالك مقالا مأخوذا من العدد الاول من الجوائب المؤرخ بتاريخ ٢١ ذى القعدة عام ١٢٧٧ (وهو يوافق ٢ تموز سنة ١٨٦١ م) ^(٥) . وقد رأينا هذا المقال في الجزء الخامس من " كنز الرغائب " . وهذا بالطبع ينقص ما ذهب اليه الاب شيخو ^(٦) والكونت فيلب طرازي ^(٧) وسواهما في انها انشأت عام ١٨٦٠ . ولعل مصدر الخطأ في تقديرهم انهم عرفوا ان الجوائب صدرت عام ١٢٧٧ هـ . وهذا العام يقابل ١٨٦٠ م ١٨٦١ م . فاختاروا السنة الاولى .

وكان بآدى الامر بطبعها في المطبعة السلطانية ، ومنذ السنة العاشرة انشأ له مطبعة خاصة وجعلها بكل ادوات فن الطباعة حتى صارت تعد من اشهر المطابع في السلطنة العثمانية . " وقد انتشرت الجوائب انتشارا عظيما في الشرق والغرب ونالت شهرة واسعة لم تنلها جريدة سواها منذ ظهور الصحافة العربية حتى ذلك العهد .

(١) تراجم مشاهير الشرق ج ٢ ص ٧٥ (٢) فارس الشدياق لمعد ص ١٨ (٣) اخبار الاعيان ص ١٩٨ ، و نعتد فارس على هذه العبارة في رسالة ارسلها الى اخيه لمنوس (المكنون عدد ١٧٠ ص ١١٢ فيقول : " وقد لكم لطبع البلاط في غير محله فان الوقائع انما كانت تطبع بالمدون ") (٤) ص ١٦٦ (٥) ص ١٦٦ (٦) الادب العربي في القرن التاسع عشر ج ٢ ص ٨٠ (٧) تاريخ الصحافة ج ١ ص ٦١ .

فكان يقرأها سلاطين العرب وملوكهم وأماؤهم وعلماؤهم في تركيا ومصر ومراكش والجزائر وتونس وزنجبار وجاوا والهند وغيرها . وقد ساعد السلطان عبد العزيز على توسيع نطاق هذه الجريدة . لبث فكرة الخلافة النبوية بين المسلمين المتشردين خارجا عن الدول العثمانية . وكان أحمد فارس يقبض كل سنة خمسمائة ليرة عثمانية من السلطان المشار اليه لهذه الغاية . وكان كل من اسماعيل باشا الخديو بمصر ومحمد الصادق باشا باي تونس ينفعه بمثل المبلغ المذكور لاجل خدمة افكارهما وترويج مصالح بلادهما .^(١)

ولم تنحصر منزلة الجوائب في المشرق ولكنها دخلت المغرب حتى كانت جرائد باريس ولندرا تأتي بذكرها وذكر محرريها في الكلام عن سياسة الشرق مستشهدة بأقواله . وكانت تلقبه بالسياسي الشهير والخباري الطائر الصيت .^(٢)

ويقول عنها مارتن هارتمن انها اعظم جريدة عربية ظهرت في ايامها ولم يسبقها من الصحف ما يباهيها . وكل المحاولات الصحافية قبلها كانت مبارزة عن اعمال بدائية لصغبيين مغضوبين . وقد بلغت هذه الجريدة من الشهرة مبلغا عظيما ، وكانت الحكومة العثمانية توافرها موازنة عظيمة لانها كانت تحمل رسالة الدفاع عن الاسلام . وقد انتشرت انتشارا واسما في انحاء المعمورة ، وكان لها مراسلون وكتاب في مختلف البلاد .^(٣) والشدياق يعبر عن رسالة الجوائب في العالم الاسلامي بقوله . ولما كانت وظيفة الجوائب الذب عن حقوق الامة المحمدية وارشادها الى ما يزيد في عزها ووجاهتها حرصا على خبرها ومصلحتها ، صبح لنا لمقتضى الدالة والخيرة ان نتعرض الخ^(٤)

وفي ٣ تموز سنة ١٨٧١ صدر الامر بتعطيل الجوائب لمدة ستة اشهر لانها ابت ان تنشر المقالة التي اوردها صحيفة " ترجمان الحقيقة " طعنا في الخديو اسماعيل . ومقابلتها المقالة باخرى عنوانها " سفاهة الحقيقة " دفاعا عن امير مصر .^(٥) وقد ردت سليم فارس محرر الجوائب على هذا التعطيل بمقال علق فيه امتناع الجوائب عن نشر ما نشرته " ترجمان الحقيقة " وفي ذلك يقول :

(١) تاريخ الصحافة ج ١ ص ٦١ (٢) ترجمان الحقيقة ج ٢ ص ٧٩٤ ٧٨

(٣) الموسوعة الاسلامية مجلد ١ ص ١١٠٨ (٤) كثر الرغائب ج ١ ص ٦ ١٧

(٥) راجع نص هذا الامر في كثر الرغائب ج ٧ ص ١٠٩

والدليل على ان هذا الانفصال كان ممكنا بصورة اخرى هو انه في ثالث يوم من ايجابه اظهر سفير انجلترا وفرنسا بهذا الطرف عدم موافقتهما على اجرائه هكذا اعني بالغاء الامتيازات التي تقرر في فرمان الصادر في سنة ١٨٧٢ . اما اتهام " ترجمان الحقيقة " الخديو بان مراده كان الاستقلال فقد بينا بطلانه في جواب امر . ونريد اليوم على ان نقول انه لو كان مراده الاستقلال لما اختار ان يفصل من الحكومة المصرية وزيرين من الاجانب وفي عبارة اخرى لما خالف طلب دولتي فرنسا وانجلترا في نصهما . فعدم قبوله توظيفهما ورضاء بالانفصال دليل على وفائه وولائه للحضرة العلية السلطانية " (١)

واننا لنلمح في هذا الجواب الحنكة الصحفية ، التي اشتهر بها سليم ، والبراعة في التخلص من العازق والسيل الظاهر الى خديو مصر . كما اننا نلمح العداوة الخفية للسلطان . ولخليل البربر في تعطيل الجواب حينذاك ، واعادة نشرها ابيات اخر فيها الحادث وهي :

لقد اشرفت شمس الجواب بعد ما	توارت وراء الحجب من سعي غائب
وعادت الى نشر الفرائد في الملا	بعود حميد جائنا بالسرفائيل
فابت لنا عرفا يوم رخ طيبها	بعز تسامي عود نشر الجواب (٢)
	٧٩ ٥١١ ٨٠ ٥٥٠ ٥٤ ١٢٩٥

وفي هذه المناسبة قال الحاج حسين بيهم :

لئن حجبت شمس الجواب برهة	فذاك لسر قد بدا خيره فينسا
حكمت قمر حين احتجاب وقد بدت	كبدر بانواع المعارف يهدينا (٣)

وقد عطلت مرة اخرى في ٤ رجب سنة ١٢٩٢ الموافق ٧ كانون الاول سنة ١٨٧٦ لمدة اسبوعين " بنا " على نشرها [] في صحيفتها الاخيرة عبارات تخل بصفاء الدولة العلية (٤) . وفي سنة ١٨٨٢ " قبض احمد فارس من سفارة انجلترا في الاستانة مبلغ الف ليرة انكليزية حتى يطبع صورة المنشور الذي صدر من الباب العالي باعلان عصيان عرابي باشا لاثارة نار الفتنة في وادي النيل فكان ذلك سببا لانكسار عرابي وسقوط اعتباره من عيون المسلمين عامة والعصريين خاصة " (٥)

(١) كنز الرغائب ج ٧ ص ١١٠ ، ١١١ (٢) كنز الرغائب ج ٤ ص ١٥١ (٣) تاريخ الصحافة ج ١ ص ٦١ (٤) كنز الرغائب ج ٧ ص ١٨٣ (٥) تاريخ الصحافة ج ١ ص ٦٢ . وقد لاحظنا في العدد ١١١ من الجواب اننا [] بها هم عرابي با []

والظاهر ان الفاريابي كان يناصر الانجليز ويحذر سياستهم . لسبب ما . مع انه كان يهاجم سياستهم في موقفهم من حرب السبعين^(١) . وقد لاحظ ذلك الامام محمد عبده . وذلك فيما رآه السيد محمد رشيد رضا عنه . قال :

" وقد اطرى في بحر مجالسه الشيخ احمد فارس الشدياق في اللغة والانشاء . فقلت له اين هو من اسلوب العروة الوثقى الربيع ووضعكم لفرائد اللغة الطريفة في مواضعها منها ؟ قال تلك الفاظ نديرها . اما الشيخ احمد فارس فهو امام في اللغة . واما اسلوبه في الكتابة فغريب قلما فطن له الادباء . ذلك انه خدم الدولة الانكليزية في الاستانة عشرين سنة بما كان يعتقد جميع قراء جريدته الجوائب انه خدمة للدولة فقط اذ اقتنع مسلمي الهند . بل العالم الاسلامي كله ان هذه الدولة صديقة للسلطان ودولته ونصيرة لهما ."^(٢)

وقد حال تراكم الاعمال على فارس وكثرة مشاغله دون تمكنه من مواصلة العمل في الجوائب فترك امر تحريرها لسليم . فجال فيها جولات صادقة لا تقل عن جولات ابيه^(٣) . ولكن فارس لم يترك التحرير تماما بل كان يشرف عليها ويختتمها بخاتمه ويحرر فيها بقصر الابواب خصوصا اثناء رحلة سليم الى اوربا في حزيران سنة ١٨٨٣ . وفي سنة ١٨٨٣ نقل ادارتها الى القاهرة^(٤) . الى ان قضت الحوادث بعطلتها سنة ١٨٨٤ على اثر الحوادث السودانية في الدبار المصرية^(٥) . وقد خلفتها جريدة " القاهرة " ثم " القاهرة الحرة "^(٦) .

وقد كانت الجوائب مصدر قلق وازعاج لصاحبها . اذ انها خلفت له خصوصا كثيرا بالاضافة الى خصومه ومناقضيه في الادب والمكانة . وقد نشرت على صفحاتها عدة مناظرات سياسية وعلمية قامت بين صاحبها وبين كبار علماء ذلك العهد كالشيخ ابراهيم اليازجي والكونت رشيد الدحداح والشيخ ابراهيم الاحدب والدكتور لويس الصابونجي والشيخ سعيد الشرتوني والمعلم بطرس البستاني ورزق الله حوك ويوسف باخور وسواهم^(٧) . وكان ادباء القصر ينقسمون في هذه المناظرات الى قسمين : متخاصمة قسم يؤازر الفاريابي . وقسم يقف في صف خصومه . وقسم لا الى هذا ولا الى ذاك . بل كان يقف الى جانب الحق . وستبين ذلك في مكانه من هذا الكتاب .

وقد جمع مدير الجوائب . سليم فارس انفس ما نشرته هذه الجريدة من منشور ومنظوم . ثم طبعه في سبعة مجلدات سماها : " كنز الرقائب في منتخبات الجوائب " واليك ما جاء فيها بالتفصيل .^(٨)

(١) ذلك رافق في الصفحات الاتية من الكثر : ج ١ ص ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٣ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، ٢٥٨ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ ، ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٦٩ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٦ ، ٢٨٧ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٣٢٩ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧ ، ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٣٨٥ ، ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٨٩ ، ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٣٩٣ ، ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤١٨ ، ٤١٩ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣٦ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٨ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ ، ١٤٤١ ، ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥٠ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٣ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٧ ، ١٤٥٨ ، ١

الجزء الاول : " وهو يحتوى على بعض ما في الجوايب من الفصول اللطيفة والمقامات
الظريفة والمقالات الادبية التي لمحرر الجوايب " . (١)

في هذا الكتاب مباحث مختلفة منها ما هو علمي كمقالاته في الهواء وقوة البخار
والغاز وابرة المغناطيس والبلون وغيرها . ومنها ما هو لغوي كمقالاته " فوائد سر الليال " .
" وملاحظة ادبية في البخل " و " في فائدة لغوية " وسواها . ومنها ما هو ادبي وانتقادي
كالحكايات التي رواها وقصة السائح و " في بعض احوال تخر النساء " وسواها . ومنها ما
هو اجتماعي اصلاحي كمقالاته " في ادب المدرس والنفر " و " في اللهو والبطالة " و " في
التمدن " وسواها . ومعظم ما ورد في هذه المقالات كان من قبيل المعلومات العامة .
وهنا لا بد لنا من ان نعترف للشدياق بفضل السبق في نقل العلوم والآداب عن
اللغات الاوروبية . وعرضها في اسلوب سهل جميل . بقصد توسيع مدارك القراء واثارة افكارهم
وصقل ادواقهم .

واوضح ما يبرز في هذا المجلد ، ميل الكاتب الظاهر الى الاصلاح في مختلف وجوه
في نظام الحكم وقد ترجم لذلك بعض المقالات التي تتعلق بعلم الدولة (٢) وفي الاخلاق .
وقد تعرض الى نقدها واظهار ما فيها من حسن يقتدى ومن سي يتجنب . وكان من
اغراضه تمدين البلاد الاسلامية . وآثار هذه الرسالة واضحة كل الوضوح في ما حرره قلم
الشدياق . وقد توسعنا في ذلك عندما تحدثنا عن كتبه الادبية (٣)

وهناك دعوة تبرز في طيات مقالاته هذه . وهي الدعوة العثمانية وغايتها هي
" توحيد كلمة الاسلام وجمع شتات المسلمين في حوزة دولة اسلامية تحت ظل الخلافة
المعظمى " . (٤)

وقد حمل هذه الدعوة نفر كثير من ادباء النهضة لمفكرها . نذكر منهم على وجه
التخصيص عبد الله فكرى (توفي ١٨٨٩) وعبد الله النديم (توفي ١٨٩٦) وابراهيم المولحي
(توفي ١٩٠٦) ومصطفى كامل (توفي ١٩٠٨) ثم اسماعيل صبرى واحمد شوقي وحافظ ابراهيم .
ولكنها ظهرت بشكل اوضح عند جمال الدين الافغانى والشدياق ومصطفى كامل .

(١) الصفحة الاولى من هذا الجزء (٤) ص ١٠ مثلاً (٢) راجع الفصل الثالث فيه
المزيد (٤) راجع مشاهير الشرق ج ٢ ص ٦١

وللشدّاق كثير من الفوائد والمقالات التي تبين عظمة الدولة والسلطان ومنها قوله :

للدولة العليا عليّ شأن	يشدو بها يوم الفجار الأسر
ساست ممالك ليس يعلم حدّها	ولغاتنا الآ العليم القادر
سر حيث شئت من البلاد فلا ترى	آلا النعيم وما اشتها الناظر (١)

ويقول في إحدى مقالاته مادحا السلطان منها بانتظام أحوال الدولة :

” فيما ليت شعري لو كان للعرب الأقدمين دولة مثل الدولة العلية وكان وزراءها
إنذا يعاملون جميع الناس بهذا الحلم الذي تعامل به هذه الدولة . إذ ترى كل واحد
يدخل عليهم من دون تجشم منه ولا جبه منهم فبابهم كانت تضرب المثل . نعم إن الدولة
الإسلامية مدحت على الحلم وعلى سائر الفضائل إلا أن حلمهم في المعاشرة مثلا لم يكن
إلا مع ذوي الفضل والعلم إذ لم يكن يدخل عليهم أحد إلا من هذه الطبقة . فاما في
المعاملة فمن المعلوم أنها لم تكن حـ مطردة مرتبة كما هو الآن عند رجال الدولة العلية .
ولم تكن أيضا متنوعة بتنوع الأجيال . فهل كان عند الرشيد مثلا سفراء من جميع الممالك
وفي كل يوم لهم طلبية وسألة وهل كان سكان بغداد مؤلفين من جميع أقطار الدنيا
كسكان إسماعيل بل ليس أيضا من مناسبة بين حلم الدولة العلية وبين غيرها من الدول
فإن الصدر الأعظم عندهم لا يدخل عليه أحد إلا بأذن وتوصية أو مت بقراءة أو بوسيلة
خطيرة وكذا سائر رجال دولتهم القائمين بالسياسة والإيالة بخلاف الواقع هنا فإن جميع
رجال الدولة العلية مشتركون في مزية الحلم وكل منهم إذا سئل أجاب وإذا استمع أثاب
فلا حاجب بينهم وبين قاصديهم ولا حجاب . وإني أعجب من كل من يرى ذلك ولا يتعجب
ولا يزيد لهم في الدعاء وهو عليه أوجب . لا جرم أن الحلم في سادة الناس من أجل
الخلال وأكرم الخصال وموقعه في النفوس أعظم منه في السود المرؤوسين . فإن الرؤساء هم
الذين يحتاج إليهم في دفع المهمات ورفع الملهمات وفي إشكاة الشاكين وإطراب المعتفين
فمتى كان رئيس القوم حليما كان مرؤوسهم سليما . “ (٢)

وفي موضع آخر يقول على لسان سائح جاء حديثا من البلاد الإفريقية :

” فإني يا أبا الجواثب مثلك شديد الغيرة على جمع شمل المسلمين والتأليف فيما

(١) الكنز ج ٣ ص ١٥٤ (٢) الكنز ج ١ ص ١٠٢

بينهم على المودة والمصانفة و حتى يكونوا كلهم على رأى واحد هذا غاية ما اروم اليه
الى ان يقول * لان المسلمين اذا كانوا كلهم على رأى واحد من جهة المآزر دينهم^(١)
واحترام حقوقهم . بقطع النظر عن جزئيات السياسة . ثبتت سطوتهم وخشيتهم عند جميع معاديه

وتظهر هذه الدعوة بارزة قوية في رد سليم فارس على تعطيل الجواب الذى
اوردناه سابقا ان يقول . يا ايها . ونهجا على خطته . ونشيا مع سياسة الجواب :
فاخترنا تعطيل الجواب على خروجنا على المسلك الذى سلكناه مدة ثمانى عشرة
سنة . لا جرم ان كل من يخطر بباله اتحاد الممالك الاسلامية . لا يهون عليه الطعن في
الخدو السابق الاعظم * (٢)

اراد الشدياق للبلاد الاسلامية الوحدة . ولكنه^أ يتأقب نظره . ويناء على خبرته الواسعة
واطلاعه العظيم على تاريخ الدول ومسالك العمران . ان هذه الوحدة صعبة العنال . اذا
لم يمهدها باصلاح عام شامل يتناول السياسة والاجتماع والاقتصاد . ولذا نراه يحمل
مشعل الهداية في يده . يضيء به الطريق امام ابناى الامة الاسلامية . وفي ذلك يقول
محمد بيرم ناظر الاوقاف في تونر ملخصا رسالة "الجواب" .

بفوائد تجلي الصبا للفاير	فترى الجواب كل حين تمتلي
ان الهلاك مسارع للناسر	يا امة الاسلام عوا واستيقظوا
يتألف وتودد وتوانسر	يا امة الاسلام احيوا ذكركم
بمعارف وصنائع ومجالس	يا امة الاسلام انما صيتكم
بتشاور وتدبر وحوارس	يا امة الاسلام حوطوا امركم
بديانة قد سمرت بحنادس	يا امة الاسلام اجلوا فجركم
ولا تضيعوا نجحكم بتقاصر	يا امة الاسلام هبوا للصلاح
بتعاوض وتمدن وتنافس	يا امة الاسلام صونوا عزكم
بتعاون ومصانع ومفارس	يا امة الاسلام زيدوا نروة
بتناصر وتناصر وتجانس	يا امة الاسلام شيدوا مجدكم
بشباتكم بين البرايا ما نسي	يا امة الاسلام شدوا عزمكم
ما يحق بفضل المتجانس (٣)	فالله جل جلاله يجزيه عنا

(١) الكثر ج ١ ص ٥٥ (٢) راجع ص ٤٩ من هذا الكتاب (٣) الكثر ج ٢ ص ١٣٣

اما اسلوبه في هذا الجزء فهو الاسلوب الصحافي المعتاد وصفاته الاساسية هي الجلاء ووضوح التراكيب وقوة العبارة ومثانة الحبكة والسلامة والرشاقة وهذا لا يعني انه لا يركب احيانا مركب المسجع الذي اظهر بغضه له في غير موضع من كتبه . واكثر ما يظهر مسجعه في الجمل الادبية التي بالاضافة الى ما فيها من جمال في الاسلوب تدل على تعمق في دراسة النماذج البشرية . وميل الى عرضها في اسلوب نقدي لانه فيه شيء من الاستخفاف وشيء من الدعابة والمرح . وهذا النقد لا يقصد به الشدياق الهدم . وانما يقصد به الاصلاح الشامل . الذي يقوم على معالجة نفوس الافراد . وتهذيبها حتى تنسلك في جماعة انسانية صحيحة الجسم متينة البنیان . وان دلت هذه الجمل على شيء من شخصيته الكاتب الغنية فانما تدل على براعة في تصوير خلجات النفوس وتمييز ملامح الشخصيات . كما انها تدل على عناية بالحياة الواقعية واختلال بالنفوس البشرية يؤدى به الى تتبع خطراتها وتسمع همساتها هذا كله ومن وراءه عين يفتحة مفتوحة . تأخذ الحياة بالتفصيل ، لا تعوتها فيها حركة او خطرة ولا يند عن وعيها لون . ولا ينتسج ظل . عيّن تستعمر الحياة والناس والطبيعة ، ولا شيء من هذا الاستعمار . ولا تكل عن تقصي ادق الدقائق في حركات الذات الانسانية وفي حيوان الافراد والمجتمعات . ومن امثلة سجنه الجميل في هذه الجمل قوله :

" من الناس من يكدر لمعاشه كانه لا يموت ابدا . فتراه دائما مهتما بالاحتراف والاصطراف . والاجترار والاكتساب والاختلاب والاهتيال والاجتداء والاعتداء والاستكثار والامتياز والاستئثار والادخار وما يبالي ان فقد صاحبا بتحصيل درهم او غنم من حيث لا مغمم او ان انشب مخرجه في غير منشأ او ان يادهته الناس باللوم والسب فان حب المال اذا استولى على قلب المحتال خيل له السراب شرابا والوشل عبايا فانذا اعتاد كسبا من جهة اتخذ تلك الجهة قبلة له وناط بها امله ومعهوله وانذا استفاد من احد فائدة ظنها قد صارت عليه فرضا مكتوبا وانذا محسوبا لا يبرح من باله ولا يشغله عنه حال من احواله . فانذا خاب يوما امله ظن ان قد ادركه اجله فيعمل ويشكو ويصيح ويسكو ويقول يا للرجال اين المال واين الامال واين من كان يلقي السائل بالفوال فقد نسد الزمان وضاع العرف والاحسان وقلت الاخوان " . (٤)

والحيوية والنشاط صفة تكاد تكون ملازمة لاسلوب الشدياق ولا سيما حين يتحدث عن النساء فانك آنذاك تشعر بحرارة الحياة تدب في كتابته ، ولا عجب في ذلك فالشدياق زير نساء ، الم يخصصهن بجزء كبير من ساقه وكشف مخبئه واستطه وجوائبه ، تقدم فيه بريشة الفنان الى رسم خلفهن وخلفهن وبمضغ العالم النفساني الى تحليل طباههن وهاداتهن وحركات ذواتهن ؟ وخير ما يمثل ذلك مقال الطويل " في بعض احوال تخبر النساء " ^(١) فقد اتى فيسط بالمعجب المطرب من الافكار واتواها ، وقد وضع اكثرها في شكل حوار بين زير النساء وخصمهن ، ووضع فيها من الافتنان العقلي والافتنان اللفظي ما يشهد له ببراعة في الكتابة وعمق في التفكير . وكذلك مقالته الطويلة " قصة سائح " ^(٢) وقد وضعها على شكل حوار ملي بالحركة والعمل ، يشعر امامه القاري انه اقام متكلم من اهل الكلام يعرض افكاره في الاصلاح ، بعد ان نفخ فيها من روحه فسارت حية باذن الفن . وقد يروق للشدياق احيانا ان يلهو بقلمه ويبحث به ، فيخرج به عن طبيعة البساطة الجميلة فينشي " مقالا في الترصيع ، على كره منه ويقدم له بقوله :

" اني كثيرا ما فكرت في فن البديع الذي هو من بعض الادلة على فضل اللغة العربية على سائر اللغات فاحببت هذه المرة ان انشي " مقالة برمتها من نوع الترصيع ومثاله في الكتاب العزيز " ان البنا اياهم ثم ان علينا حسابهم " فيها انا ادعو جميع من على وجه الارض من الافرنج لمعارضة هذه المقالة " واعتقد انه من تمام الفائدة ان نقتبس منها بعض العبارات لا لشيء سوى تبيان مقدرة الكاتب على الصنعة الادبية ، مجازاة للروح المعصرة التي كانت تفتش عن القوالب قبل ان تجد ما تصبه فيها من الجواهر . وهذه المقالة لا تخرج عن جملة الادبية ، ولذا نلخص فيها ما نلسمه في تلك من البراعة في التصوير وحرر النماذج الانسانية والافتنان العقلي الذي يعتمد في الاكثر على المنطق والكلام . قال :

" من النار من تخلق فكره من فنون الاقتراح خوالج ، وتلمح صدره من شجون الاجترار لواعج ، وتزعجه المآرب الى اقصى المرامي ، وتزعجه المطالب الى اعصى الموامي ، وتستغزه وتستغويه ، وتستبزه وتستغويه ، لكنه يفتح لها صدره ويشرح صدره ، ويجتنب منها

(١) ج ١ ص ١٤٤ - ١٤٥ (٢) ج ١ ص ٥١ (٣) ج ١ ص ٢٤٤

بوارح النصح ، ويرتقب لها سوانح الفرص ، ويتحين انتجاعها ، ويتبين انتفاعها ، ويخبر مشروعيها
ويسبر موضوعها ، فلا يبغيتها الا حذرا ، ولا ياتئنها الا ظفرا ، ويرى ان الانتظار احسن
معين على تحصيل الامل ، والاصطبار ايمن قرين لتسهيل العمل ، فرب عجل اهب الاجل ،
ولا تخلو ابتسار عن انهياره ، ولا تجلو اوطار مع اخطاره ، ولا يعلو منار في مغاره ، واذا
دانت منه ، او هانت ثقينه او حانت امنية لنين غادر التبصر ، وبادر التهور فطال طلبا
ونال اربا فانما يكون من قل النوادر ولا يهون لكل مخاطر فالليب الحازم من تاني
فيملح تمنى ، والارب العالم من لا يتعنى الا لما به يتقنى ، اذ لير الاستكثار مظنة للرفاهة
ولا الاستمرار مظنة للنباهة . . . الخ (١)

اما الافتنان العقلي الذي تحدثنا عنه في غير هذا الفصل واشرنا اليه سابقا
فيظهر كثيرا في جوائب الشدياق ، ومن ذلك قوله في بيع الرقيق في الاستانة :

"اما تشريف الجوارى السود الى هذه الاوطان فله سببان احدهما ان سكان
البلاد المجاورة لبلادهم يخطفونهم خطفا ثم ياتون بهم الى بعض الجهات التي يروج
فيها بيعهم وبيعتهم بثمان بخس ، والثاني ان قبائل بلاد السودان الذين دأبهم
القتال وشن الغارات والنهب متى ظفرت قبيلة باخرى باعت نساها واولادها وافنت رجالها
والذي يفهم من كلام الجوارى ان اولئك القبائل مسلمون ، فاذا اخذنا بقولهم واعتبرنا
طريقة الخطف حكمنا بان بيعهم حرام قطعا ، واذا فرضنا ان تلك القبائل ليسوا على
الاسلام ، فالسياسة تقتضي منع هذه التجارة الذميمة ، فان الدولة الروسية قد حررت
جميع من كان في بلادها على حالة العبودية وكان مقدارهم عظيما ، وكذلك دولة اميركا
الشكالية حاربت سكان الجنوب اربع سنين لابطال العبودية من ارضها مع ان اهل
الجنوب كانوا من ذوى قرابتهم ولان لا يوجد في روسيا واميركا^ا رقيقا فكلهم نالوا الحرية
التامة فاجدر بالدولة العلية ان تهتق من بلادها من العبيد والاماء جيرا انا اجدر
الناس جميعا بهذا العمل الخيرى من عدة اوجه اولها ان هؤلاء الجوارى لا يحسن
الخدمة اللازمة لاصحاب العيال فانهم لا يعرفون الخياطة ولا غسل الثياب ولا تنظيف
الديار ولا تنضيد فرشها حتى الطبيع لا يدرين منه شيئا معجبا لدى الذوق السليم

مع انهم انما يشترين له والثاني ان عددهم بالنسبة الى عبيد اميركا قليل جدا وان يكن في كل دار من ديار الاستانة واحدة منهم او اكثر اذ داخل المملكة خال بحمد الله منهم فلا تكاد ترى لهم هناك عينا ولا اثرا وان رايت فانما يكون في بيت احد المأمورين الذين ساروا من الاستانة الى بعض المدن في خدمة ما للدولة . فانهم اذا استخدموا في الخارج نقلوا معهم من كان عندهم بالاستانة من العبيد والجواري والانباغ . والثالث ان هؤلاء الجواري شكمت الاخلاق متكبرات لا يقبلن التاديب والتربية . اذ يزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان من السود وهذا مسبب عن احد امرين اما لاعتقادهن ان اللون الاسود خير من اللون الابيض حتى انه ينهزق البيض بحمر الاذان . واما لان اهل الاستانة يدعون جنس السود عربا ما عدا الجواري اللاتي كن في مكة والمدينة فانهم يعرفون ان هذا الزعم باطل الا انهم يكتمن ما عرفته من هذه الحقيقة . . الخ^(١) .

وهكذا يمضي الشدياق ذاكرة بقية الاسباب معتمدا في عرضها وضانستها اعتمادا عريضا على المنطق . باننا آراءه على صحة الادلة وصدق المقدمات . وهذا ظاهر في اكثر آثار الشدياق . وقد تحدثنا عنه حين تكلمنا عن الساق . وجمله الادبية مليئة بمثل هذه الادلة التي تشير الى قوة عارضة ومقدرة على ربط المسببات بالاسباب . وتقديم المقدمات واستخلاص النتائج .

وقبل ان ننتهي من عرض هذا الجزء نحب ان نتوسع في الحديث عن اصلاح الاجتماعي الذي اشرنا اليه سابقا .

يتخذ اصلاح في ادب الجوائب طرقا مختلفة . فتارة نرى الفارياب يطلع العثمانيين على طرف من انتاج العقل الاوربي في العلم والصناعة . شكذا ملهم وتنشيطا للمعقول . ومقالاته في هذا النوع من قبيل المعلومات العامة المبسطة . وطورا نراه يتعرض للمدنية الاوروبية فيبين محاسنها ومساوئها . ولا يتحاشي ان يعرض لبعض العادات السخيفة عندنا وعند الافرنج^(٢) . حتى اذا توغل في داخل البلاد العثمانية دعى بخفة وحذر الى اصلاح الحالة الداخلية من تنظيم في السياسة والادارة . ومن تشجيع للعلم والمطالعة وبناء المدارس ودور الكتب لذلك^(٣) . وهو في اكثر يعرض لبعض احوال التمدن الغربي ويقارن ما عندنا بها . ويترك للقارئ امر الاستنتاج .

(١) الكنز ج ١ ص ٨٥ (٢) راجع الكنز ج ١ ص ٤١٣ ، ٤١٦ ، ٤١٧ ، ٤٢٠ ، ٤٢١ ، ٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٠٥ ، ٥٠٦ ، ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ، ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٠ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ، ٥٣٠ ، ٥٣١ ، ٥٣٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٣٨ ، ٥٣٩ ، ٥٤٠ ، ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦١٤ ، ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٢ ، ٦٦٣ ، ٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٦٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ، ٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ، ٦٨٢ ، ٦٨٣ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٨٩ ، ٦٩٠ ، ٦٩١ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٦٩٧ ، ٦٩٨ ، ٦٩٩ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ، ٧٠٦ ، ٧٠٧ ، ٧٠٨ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ، ٧١٩ ، ٧٢٠ ، ٧٢١ ، ٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٢٤ ، ٧٢٥ ، ٧٢٦ ، ٧٢٧ ، ٧٢٨ ، ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣١ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ، ٧٣٤ ، ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧ ، ٧٣٨ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤١ ، ٧٤٢ ، ٧٤٣ ، ٧٤٤ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦ ، ٧٤٧ ، ٧٤٨ ، ٧٤٩ ، ٧٥٠ ، ٧٥١ ، ٧٥٢ ، ٧٥٣ ، ٧٥٤ ، ٧٥٥ ، ٧٥٦ ، ٧٥٧ ، ٧٥٨ ، ٧٥٩ ، ٧٦٠ ، ٧٦١ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٦٤ ، ٧٦٥ ، ٧٦٦ ، ٧٦٧ ، ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٧٠ ، ٧٧١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣ ، ٧٧٤ ، ٧٧٥ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ، ٧٧٨ ، ٧٧٩ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ، ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٤ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٨٧ ، ٧٨٨ ، ٧٨٩ ، ٧٩٠ ، ٧٩١ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٧٩٦ ، ٧٩٧ ، ٧٩٨ ، ٧٩٩ ، ٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٣ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ ، ٨١٠ ، ٨١١ ، ٨١٢ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ، ٨١٥ ، ٨١٦ ، ٨١٧ ، ٨١٨ ، ٨١٩ ، ٨٢٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٢ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤ ، ٨٢٥ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧ ، ٨٢٨ ، ٨٢٩ ، ٨٣٠ ، ٨٣١ ، ٨٣٢ ، ٨٣٣ ، ٨٣٤ ، ٨٣٥ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٨٣٨ ، ٨٣٩ ، ٨٤٠ ، ٨٤١ ، ٨٤٢ ، ٨٤٣ ، ٨٤٤ ، ٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ٨٤٧ ، ٨٤٨ ، ٨٤٩ ، ٨٥٠ ، ٨٥١ ، ٨٥٢ ، ٨٥٣ ، ٨٥٤ ، ٨٥٥ ، ٨٥٦ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨ ، ٨٥٩ ، ٨٦٠ ، ٨٦١ ، ٨٦٢ ، ٨٦٣ ، ٨٦٤ ، ٨٦٥ ، ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٨٦٨ ، ٨٦٩ ، ٨٧٠ ، ٨٧١ ، ٨٧٢ ، ٨٧٣ ، ٨٧٤ ، ٨٧٥ ، ٨٧٦ ، ٨٧٧ ، ٨٧٨ ، ٨٧٩ ، ٨٨٠ ، ٨٨١ ، ٨٨٢ ، ٨٨٣ ، ٨٨٤ ، ٨٨٥ ، ٨٨٦ ، ٨٨٧ ، ٨٨٨ ، ٨٨٩ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٨٩٤ ، ٨٩٥ ، ٨٩٦ ، ٨٩٧ ، ٨٩٨ ، ٨٩٩ ، ٩٠٠ ، ٩٠١ ، ٩٠٢ ، ٩٠٣ ، ٩٠٤ ، ٩٠٥ ، ٩٠٦ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨ ، ٩٠٩ ، ٩١٠ ، ٩١١ ، ٩١٢ ، ٩١٣ ، ٩١٤ ، ٩١٥ ، ٩١٦ ، ٩١٧ ، ٩١٨ ، ٩١٩ ، ٩٢٠ ، ٩٢١ ، ٩٢٢ ، ٩٢٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢٥ ، ٩٢٦ ، ٩٢٧ ، ٩٢٨ ، ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ٩٣١ ، ٩٣٢ ، ٩٣٣ ، ٩٣٤ ، ٩٣٥ ، ٩٣٦ ، ٩٣٧ ، ٩٣٨ ، ٩٣٩ ، ٩٤٠ ، ٩٤١ ، ٩٤٢ ، ٩٤٣ ، ٩٤٤ ، ٩٤٥ ، ٩٤٦ ، ٩٤٧ ، ٩٤٨ ، ٩٤٩ ، ٩٥٠ ، ٩٥١ ، ٩٥٢ ، ٩٥٣ ، ٩٥٤ ، ٩٥٥ ، ٩٥٦ ، ٩٥٧ ، ٩٥٨ ، ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، ٩٦١ ، ٩٦٢ ، ٩٦٣ ، ٩٦٤ ، ٩٦٥ ، ٩٦٦ ، ٩٦٧ ، ٩٦٨ ، ٩٦٩ ، ٩٧٠ ، ٩٧١ ، ٩٧٢ ، ٩٧٣ ، ٩٧٤ ، ٩٧٥ ، ٩٧٦ ، ٩٧٧ ، ٩٧٨ ، ٩٧٩ ، ٩٨٠ ، ٩٨١ ، ٩٨٢ ، ٩٨٣ ، ٩٨٤ ، ٩٨٥ ، ٩٨٦ ، ٩٨٧ ، ٩٨٨ ، ٩٨٩ ، ٩٩٠ ، ٩٩١ ، ٩٩٢ ، ٩٩٣ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٦ ، ٩٩٧ ، ٩٩٨ ، ٩٩٩ ، ١٠٠٠ ، ١٠٠١ ، ١٠٠٢ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥ ، ١٠٠٦ ، ١٠٠٧ ، ١٠٠٨ ، ١٠٠٩ ، ١٠١٠ ، ١٠١١ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ، ١٠١٩ ، ١٠٢٠ ، ١٠٢١ ، ١٠٢٢ ، ١٠٢٣ ، ١٠٢٤ ، ١٠٢٥ ، ١٠٢٦ ، ١٠٢٧ ، ١٠٢٨ ، ١٠٢٩ ، ١٠٣٠ ، ١٠٣١ ، ١٠٣٢ ، ١٠٣٣ ، ١٠٣٤ ، ١٠٣٥ ، ١٠٣٦ ، ١٠٣٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٢ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٥ ، ١٠٤٦ ، ١٠٤٧ ، ١٠٤٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٥٢ ، ١٠٥٣ ، ١٠٥٤ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٦ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٠ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢ ، ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ ، ١٠٦٦ ، ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ ، ١٠٧٠ ، ١٠٧١ ، ١٠٧٢ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٧ ، ١٠٧٨ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٠ ، ١٠٨١ ، ١٠٨٢ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٦ ، ١٠٨٧ ، ١٠٨٨ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٢ ، ١٠٩٣ ، ١٠٩٤ ، ١٠٩٥ ، ١٠٩٦ ، ١٠٩٧ ، ١٠٩٨ ، ١٠٩٩ ، ١١٠٠ ، ١١٠١ ، ١١٠٢ ، ١١٠٣ ، ١١٠٤ ، ١١٠٥ ، ١١٠٦ ، ١١٠٧ ، ١١٠٨ ، ١١٠٩ ، ١١١٠ ، ١١١١ ، ١١١٢ ، ١١١٣ ، ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١١٦ ، ١١١٧ ، ١١١٨ ، ١١١٩ ، ١١٢٠ ، ١١٢١ ، ١١٢٢ ، ١١٢٣ ، ١١٢٤ ، ١١٢٥ ، ١١٢٦ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨ ، ١١٢٩ ، ١١٣٠ ، ١١٣١ ، ١١٣٢ ، ١١٣٣ ، ١١٣٤ ، ١١٣٥ ، ١١٣٦ ، ١١٣٧ ، ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٤٠ ، ١١٤١ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣ ، ١١٤٤ ، ١١٤٥ ، ١١٤٦ ، ١١٤٧ ، ١١٤٨ ، ١١٤٩ ، ١١٥٠ ، ١١٥١ ، ١١٥٢ ، ١١٥٣ ، ١١٥٤ ، ١١٥٥ ، ١١٥٦ ، ١١٥٧ ، ١١٥٨ ، ١١٥٩ ، ١١٦٠ ، ١١٦١ ، ١١٦٢ ، ١١٦٣ ، ١١٦٤ ، ١١٦٥ ، ١١٦٦ ، ١١٦٧ ، ١١٦٨ ، ١١٦٩ ، ١١٧٠ ، ١١٧١ ، ١١٧٢ ، ١١٧٣ ، ١١٧٤ ، ١١٧٥ ، ١١٧٦ ، ١١٧٧ ، ١١٧٨ ، ١١٧٩ ، ١١٨٠ ، ١١٨١ ، ١١٨٢ ، ١١٨٣ ، ١١٨٤ ، ١١٨٥ ، ١١٨٦ ، ١١٨٧ ، ١١٨٨ ، ١١٨٩ ، ١١٩٠ ، ١١٩١ ، ١١٩٢ ، ١١٩٣ ، ١١٩٤ ، ١١٩٥ ، ١١٩٦ ، ١١٩٧ ، ١١٩٨ ، ١١٩٩ ، ١٢٠٠ ، ١٢٠١ ، ١٢٠٢ ، ١٢٠٣ ، ١٢٠٤ ، ١٢٠٥ ، ١٢٠٦ ، ١٢٠٧ ، ١٢٠٨ ، ١٢٠٩ ، ١٢١٠ ، ١٢١١ ، ١٢١٢ ، ١٢١٣ ، ١٢١٤ ، ١٢١٥ ، ١٢١٦ ، ١٢١٧ ، ١٢١٨ ، ١٢١٩ ، ١٢٢٠ ، ١٢٢١ ، ١٢٢٢ ، ١٢٢٣ ، ١٢٢٤ ، ١٢٢٥ ، ١٢٢٦ ، ١٢٢٧ ، ١٢٢٨ ، ١٢٢٩ ، ١٢٣٠ ، ١٢٣١ ، ١٢٣٢ ، ١٢٣٣ ، ١٢٣٤ ، ١٢٣٥ ، ١٢٣٦ ، ١٢٣٧ ، ١٢٣٨ ، ١٢٣٩ ، ١٢٤٠ ، ١٢٤١ ، ١٢٤٢ ، ١٢٤٣ ، ١٢٤٤ ، ١٢٤٥ ، ١٢٤٦ ، ١٢٤٧ ، ١٢٤٨ ، ١٢٤٩ ، ١٢٥٠ ، ١٢٥١ ، ١٢٥٢ ، ١٢٥٣ ، ١٢٥٤ ، ١٢٥٥ ، ١٢٥٦ ، ١٢٥٧ ، ١٢٥٨ ، ١٢٥٩ ، ١٢٦٠ ، ١٢٦١ ، ١٢٦٢ ، ١٢٦٣ ، ١٢٦٤ ، ١٢٦٥ ، ١٢٦٦ ، ١٢٦٧ ، ١٢٦٨ ، ١٢٦٩ ، ١٢٧٠ ، ١٢٧١ ، ١٢٧٢ ، ١٢٧٣ ، ١٢٧٤ ، ١٢٧٥ ، ١٢٧٦ ، ١٢٧٧ ، ١٢٧٨ ، ١٢٧٩ ، ١٢٨٠ ، ١٢٨١ ، ١٢٨٢ ، ١٢٨٣ ، ١٢٨٤ ، ١٢٨٥ ، ١٢٨٦ ، ١٢٨٧ ، ١٢٨٨ ، ١٢٨٩ ، ١٢٩٠ ، ١٢٩١ ، ١٢٩٢ ، ١٢٩٣ ، ١٢٩٤ ، ١٢٩٥ ، ١٢٩٦ ، ١٢٩٧ ، ١٢٩٨ ، ١٢٩٩ ، ١٣٠٠ ، ١٣٠١ ، ١٣٠٢ ، ١٣٠٣ ، ١٣٠٤ ، ١٣٠٥ ، ١٣٠٦ ، ١٣٠٧ ، ١٣٠٨ ، ١٣٠٩ ، ١٣١٠ ، ١٣١١ ، ١٣١٢ ، ١٣١٣ ، ١٣١٤ ، ١٣١٥ ، ١٣١٦ ، ١٣١٧ ، ١٣١٨ ، ١٣١٩ ، ١٣٢٠ ، ١٣٢١ ، ١٣٢٢ ، ١٣٢٣ ، ١٣٢٤ ، ١٣٢٥ ، ١٣٢٦ ، ١٣٢٧ ، ١٣٢٨ ، ١٣٢٩ ، ١٣٣٠ ، ١٣٣١ ، ١٣٣٢ ، ١٣٣٣ ، ١٣٣٤ ، ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ ، ١٣٣٧ ، ١٣٣٨ ، ١٣٣٩ ، ١٣٤٠ ، ١٣٤١ ، ١٣٤٢ ، ١٣٤٣ ، ١٣٤٤ ، ١٣٤٥ ، ١٣٤٦ ، ١٣٤٧ ، ١٣٤٨ ، ١٣٤٩ ، ١٣٥٠ ، ١٣٥١ ، ١٣٥٢ ، ١٣٥٣ ، ١٣٥٤ ، ١٣٥٥ ، ١٣٥٦ ، ١٣٥٧ ، ١٣٥٨ ، ١٣٥٩ ، ١٣٦٠ ، ١٣٦١ ، ١٣٦٢ ، ١٣٦٣ ، ١٣٦٤ ، ١٣٦٥ ، ١٣٦٦ ، ١٣٦٧ ، ١٣٦٨ ، ١٣٦٩ ، ١٣٧٠ ، ١٣٧١ ، ١٣٧٢ ، ١٣٧٣ ، ١٣٧٤ ، ١٣٧٥ ، ١٣٧٦ ، ١٣٧٧ ، ١٣٧٨ ، ١٣٧٩ ، ١٣٨٠ ، ١٣٨١ ، ١٣٨٢ ، ١٣٨٣ ، ١٣٨٤ ، ١٣٨٥ ، ١٣٨٦ ، ١٣٨٧ ، ١٣٨٨ ، ١٣٨٩ ، ١٣٩٠ ، ١٣٩١ ، ١٣٩٢ ، ١٣٩٣ ، ١٣٩٤ ، ١٣٩٥ ، ١٣٩٦ ، ١٣٩٧ ، ١٣٩٨ ، ١٣٩٩ ، ١٤٠٠ ، ١٤٠١ ، ١٤٠٢ ، ١٤٠٣ ، ١٤٠٤ ، ١٤٠٥ ، ١٤٠٦ ، ١٤٠٧ ، ١٤٠٨ ، ١٤٠٩ ، ١٤١٠ ، ١٤١١ ، ١٤١٢ ، ١٤١٣ ، ١٤١٤ ، ١٤١٥ ، ١٤١٦ ، ١٤١٧ ، ١٤١٨ ، ١٤١٩ ، ١٤٢٠ ، ١٤٢١ ، ١٤٢٢ ، ١٤٢٣ ، ١٤٢٤ ، ١٤٢٥ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧ ، ١٤٢٨ ، ١٤٢٩ ، ١٤٣٠ ، ١٤٣١ ، ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ ، ١٤٣٤ ، ١٤٣٥ ، ١٤٣٦ ، ١٤٣٧ ، ١٤٣٨ ، ١٤٣٩ ، ١٤٤٠ ، ١٤٤١ ، ١٤٤٢ ، ١٤٤٣ ، ١٤٤٤ ، ١٤٤٥ ، ١٤٤٦ ، ١٤٤٧ ، ١٤٤٨ ، ١٤٤٩ ، ١٤٥٠ ، ١٤٥١ ، ١٤٥٢ ، ١٤٥٣ ، ١٤٥٤ ، ١٤٥٥ ، ١٤٥٦ ، ١٤٥٧ ، ١٤٥٨ ، ١٤٥٩ ، ١٤٦٠ ، ١٤٦١ ، ١٤٦٢ ، ١٤٦٣ ، ١٤٦٤ ، ١٤٦٥ ، ١٤٦٦ ، ١٤٦٧ ، ١٤٦٨ ، ١٤٦٩ ، ١٤٧٠ ، ١٤٧١ ، ١٤٧٢ ، ١٤٧٣ ، ١٤٧٤ ، ١٤٧٥ ، ١٤٧٦ ، ١٤٧٧ ، ١٤٧٨ ، ١٤٧٩ ، ١٤٨٠ ، ١٤٨١ ، ١٤٨٢ ، ١٤٨٣ ، ١٤٨٤ ، ١٤٨٥ ، ١٤٨٦ ، ١٤٨٧ ، ١٤٨٨ ، ١٤٨٩ ، ١٤٩٠ ، ١٤٩١ ، ١٤٩٢ ، ١٤٩٣ ، ١٤٩٤ ، ١٤٩٥ ، ١٤٩٦ ، ١٤٩٧ ، ١٤٩٨ ، ١٤٩٩ ، ١٥٠٠ ، ١٥٠١ ، ١٥٠٢ ، ١٥٠٣ ، ١٥٠٤ ، ١٥٠٥ ، ١٥٠٦ ، ١٥٠٧ ، ١٥٠٨ ، ١٥٠٩ ، ١٥١٠ ، ١٥١١ ، ١٥١٢ ، ١٥١٣ ، ١٥١٤ ، ١٥١٥ ، ١٥١٦ ، ١٥١٧ ، ١٥١٨ ، ١٥١٩ ، ١٥٢٠ ، ١٥٢١ ، ١٥٢٢ ، ١٥٢٣ ، ١٥٢٤ ، ١٥٢٥ ، ١٥٢٦ ، ١٥٢٧ ، ١٥٢٨ ، ١٥٢٩ ، ١٥٣٠ ، ١٥٣١ ، ١٥٣٢ ، ١٥٣٣ ، ١٥٣٤ ، ١٥٣٥ ، ١٥٣٦ ، ١٥٣٧ ، ١٥٣٨ ، ١٥٣٩ ، ١٥٤٠ ، ١٥٤١ ، ١٥٤٢ ، ١٥٤٣ ، ١٥٤٤ ، ١٥٤٥ ، ١٥٤٦ ، ١٥٤٧ ، ١٥٤٨ ، ١٥٤٩ ، ١٥٥٠ ، ١٥٥١ ، ١٥٥٢ ، ١٥٥٣ ، ١٥٥٤ ، ١٥٥٥ ، ١٥٥٦ ، ١٥٥٧ ، ١٥٥٨ ، ١٥٥٩ ، ١٥٦٠ ، ١٥٦١ ، ١٥٦٢ ، ١٥٦٣ ، ١٥٦٤ ، ١٥٦٥ ، ١٥٦٦ ، ١٥٦٧ ، ١٥٦٨ ، ١٥٦٩ ، ١٥٧٠ ، ١٥٧١ ، ١٥٧٢ ، ١٥٧٣ ، ١٥٧٤ ، ١٥٧٥ ، ١٥٧٦ ، ١٥٧٧ ، ١٥٧٨ ، ١٥٧٩ ، ١٥٨٠ ، ١٥٨١ ، ١٥٨٢ ، ١٥٨٣ ، ١٥٨٤ ، ١٥٨٥ ، ١٥٨٦ ، ١٥٨٧ ، ١٥٨٨ ، ١٥٨٩ ، ١٥٩٠ ، ١٥٩١ ، ١٥٩٢ ، ١٥٩٣ ، ١٥٩٤ ، ١٥٩٥ ، ١٥٩٦ ، ١٥٩٧ ، ١٥٩٨ ، ١٥٩٩ ، ١٦٠٠ ، ١٦٠١ ، ١٦٠٢ ، ١٦٠٣ ، ١٦٠٤ ، ١٦٠٥ ، ١٦٠٦ ، ١٦٠٧ ، ١٦٠٨ ، ١٦٠٩ ، ١٦١٠ ، ١٦١١ ، ١٦١٢ ، ١٦١٣ ، ١٦١٤ ، ١٦١٥ ، ١٦١٦ ، ١٦١٧ ، ١٦١٨ ، ١٦١٩ ، ١٦٢٠ ، ١٦٢١ ، ١٦٢٢ ، ١٦٢٣ ، ١٦٢٤ ، ١٦٢٥ ، ١٦٢٦ ، ١٦٢٧ ، ١٦٢٨ ، ١٦٢٩ ، ١٦٣٠ ، ١٦٣١ ، ١٦٣٢ ، ١٦٣٣ ، ١٦٣٤ ، ١٦٣٥ ، ١٦٣٦ ، ١٦٣٧ ، ١٦٣٨ ، ١٦٣٩ ، ١٦٤٠ ، ١٦٤١ ، ١٦٤٢ ، ١٦٤٣ ، ١٦٤٤ ، ١٦٤٥ ، ١٦٤٦ ، ١٦٤٧ ، ١٦٤٨ ، ١٦٤٩ ، ١٦٥٠ ، ١٦٥١ ، ١٦٥٢ ، ١٦٥٣ ، ١٦٥٤ ، ١٦٥٥ ، ١٦٥٦ ، ١٦٥٧ ، ١٦٥٨ ، ١٦٥٩ ، ١٦٦٠ ، ١٦٦١ ، ١٦٦٢ ، ١٦٦٣ ، ١٦٦٤ ، ١٦٦٥ ، ١٦٦٦ ، ١٦٦٧ ، ١٦٦٨ ، ١٦٦٩ ، ١٦٧٠ ، ١٦٧١ ، ١٦٧٢ ، ١٦٧٣ ، ١٦٧٤ ، ١٦٧٥ ، ١٦٧٦ ، ١٦٧٧ ، ١٦٧٨ ، ١٦٧٩ ، ١٦٨٠ ، ١٦٨١ ، ١٦٨٢ ، ١٦٨٣ ، ١٦٨٤ ، ١٦٨٥ ، ١٦٨٦ ، ١٦٨٧ ، ١٦٨٨ ، ١

وقد نالت عادات الناس وأخلاقهم ونظم عيشهم في الآستانة ، وفي الشرق عامة و
من جوائبه حظا كبيرا فتراها يهاجم العادات المتفشية في المجتمع العثماني ، مشددا عليها
النكير دون تلمظ أو هوادة . فيهاجم مثلا الذين يقتلون الوقت فيما لا طائل وراءه فيقول :

" ان الوقت اجل شيء يمان عن الضياع فكل دقيقة منه ينبغي ان تخصص لامر
يرضي الله وينفع الناس . مع اني ارى اغلب الاشياء في الآستانة انما جعلت من الاصل
لاضاعة الوقت عبثا . فمن ذلك الزيارة في الصبح لمجرد السلام والكلام فلا يخرج الزائر
من عند المزور الا بعد ان تنضب مواد كلامه كلها فاذا فضل من عنده وخطر بباله شيء
لم يذكره من قبل قعد شخصا آخر ليلبغضه اياه ان يرى ان كتمان مضيعة له فاذا
اجتمعا رجع الى الكلام الاول واعاده مزجرا . وعندى ان الزيارة في الصبح لمجرد الكلام
لم تكن معروفة عند العرب يدل عليه لفظ المسامرة اي المحادثة فان اصلها من السمر
وهل الليل وظل القمر ولله در العرب ولله در من يقتدى بهم فان اضافة اول النهار
في الكلام الفارغ عندى اثم كبير . ومن ذلك البيع والشراء فان البائع لا يرضى ان يبيع
الشارى شيئا الا مع الاضطاط والشارى لا يريد ان يشتري شيئا الا مع البخر فياخذان
في الجدل والخصام من دون طائل . فانما ما لنم لاحد ان يشتري عدة حاجات في
وقت واحد اطاع من عمره فيها عدة ساعات " . (١)

وهل ادل من جملة الادبية على ميله الى الاصلاح عن طريق التهمك القرون
بتمق في دراسة الناس وعاداتهم وأخلاقهم ؟

والنزعة الانسانية واضحة الظهور في الجوائب وتتخذ عدة مظاهر منها مقت الحرب
والدعوة لايقافها لانها تجر الولايات على الانسانية كما انهارت تظهر للمرأة . فهو ينادى
لها بالتعليم فيما تستطيعه والمساواة مع الرجل على قدر معادلتها له في القوة والجلد .
وهو يضع الآراء على شكل حوار كعادته في بعض الاحيان . بين عدو المرأة ونصيرها .
ويظهر ميله الى تعليم المرأة (٢) والى معاطاة الاعمال التي تقدر عليها ويعزو جهلها وتاخرها
الى جهل الرجل وتاخره (٣) ويخصر بالذكر المرأة المسلمة التي تؤمن بالخرافات والشعوذات (٤)

وهو يشدد في هذا الدعوة ، ويعبرها قسما كبيرا من اهتمامه لانه يؤمن ايمانا
عظيما في التربية ويعدها الفارق الاول والاهم بين الشرق والغرب . والتربية اول ما تكون

تكون

(١) ج ١ ص ١٥١ وراجع ايضا ج ١٩١ ، ١٩٦ وسواها (٢) ج ١ ص ٢٠٦ وما بعدها
(٣) راجع الكذب ج ١ ص ١٧ ، ١٩ من هذا الكتاب (٤) ج ١ ص ١٤٢ (٥) ص ٢٥ ،
(٦) ص ١٢٧ (٧) ص ١٤٦

في البيت على يدى المرأة قال

" وكيفما كان من هذا الخلاف فان التربية تغير هذه الاخلاق فاذا احسنت تربية الولد حسنت اخلاقه وان اردتها ردوت فهاهنا الان ننظر في تربية اهل الشرق لاولادهم ونطابق بينها وبين تربية اهل الغرب ثم ننظر في تأثيرها ونتيجتها في كلا الفريقين ... الخ " (١) الى ان يقول :

" وفي الجملة فان معظم الاولاد^{في البلاد} الشرقية تفسد عقولهم بملازمتهم امهاتهم من قبل ان يعرفوا الطريق الى المكتب فاذا صاروا اليه بقوا على ما كانوا عليه فان الولد يصدق امه اكثر من معلمه ويمكن ان يقال ان هؤلاء النساء معذورات على تربية اولادهن على الوجه الذى تقدم فانهم لا يعرفون غيره وهو الذى الفته وتعودن عليه فلا غرو ان يعودن عليه اطفالهن . وانما الذنب على الرجال حيث يتركون نساءهم على حالة الجهل والغباء بل هؤلاء ايضا يظنون ان المرأة لم تخلق الا للفرار فلذا كان همهم كله في ان يكون لهم ازواج حسان يقطع النظر عن جهلهم بالمعارف والادب ... الخ " (٢)

" فاذا كانت المرأة تحسن المشي في الدار وكلما تناولت زوجها شيئا ابدت له التمنن . كما تقول العامة فذلك هو المراد حتى اذا لبثت عنده سنة ورأى نفسه ان قد شرهت الى اخرى استعمل جميع الوسائل الى اشباع نفسه من هواها وهلم جرا الى ان يجتمع عنده في الدار طائفة من النساء الغيارى وطائفة من الاولاد الحمقى " (٣)

ولعل دعوتهم هذه الى اصلاح حال المرأة هي الثانية فاذا اعتبرنا دعوة المعلم بطرس البستاني الاولى . وقد يكون الفصل قاسم بك ايبين قد تاجر بدعوة الشدياق هذه واخذ بعض آرائه في اصلاح عنه .

وتظهر نزعتهم الانسانية ايضا في اهتمامه بتحرير الرقيق في الاستانة وينادى بابعاد الجوارى عن البيت العثماني اذ يحزنو اليهن كثيرا من اسباب التفهقر والانحطاط . وهو يذكر اسباب ذلك على^{ويذكر} صحة ما يذهب اليه ببراہين عقلية منطقية (٤)

كما ان هذه النزعة تظهر في عنايته بالعامل والفقير . وعطفه عليه ومنااداته له

بالانصاف . وبازالة الفوارق بينهم وبين غيرهم . ومن ذلك قوله :

" ولهذا لا ينبغي ان تحقر احدا ممن يعملون بايديهم ويحتسبون انفسهم

لصيانة وجوه معلمهم فان زينة الكون بهم وعمران الدنيا متوقف على دابهم لهم اولى

بالاكرام ممن يصرفون اوقاتهم في اللهو والدمام والقصف والاثام . وسواء منهم من يكسو

الراس بعمله او يكسو القدم . ومن يطبخ سيفا او مبراة للقلم ، فهم جميعا بمنزلة اعضاء

متعددة في جسم واحد . فليس لك ان تقول ان هذا العضو مستغنى عنه او انه من الزوائد

ذلك صنع الله الذي خلق الناس فاحسن خلقهم وجعل من ابواب متفرقة رزقهم . فما يعجز

عنه واحد من خلقه بقدر عليه آخر وكلهم مشترك في العمل الى ان يحين الاجل .^(١)

وقوله في موضع آخر يتحدث عن الاغنيا المتكبرين المرففين .

" ولكن هيهات فانك لا تكاد تترى غنيا الا وقد جمع في السرف وجنح الى الصلف

فيرى ان جميع الخلق دونه وانهم محتاجون منه الى المؤنة والمعونة فيترفع عنهم قدرا

وينبه عليهم كبرا وقد فاته ان حاجته الى الفقير اشد من حاجة الفقير اليه . وانه لو ترك

وغناه لما نفعه شيء . مما بين يديه اذ لولا الحارث والزرع لهلك جوعا ولم تنح نائحة

عليه ولولا الخياط والتاجر لما لبس خزا ولا ديباجا ولولا الاسكاف لما سلك منهاجا

ولولا الفعلة لما تبولأ دار فيحاء . ولولا غاريس الكرم لما شرب الصهبا . فما فضل الغني

على الفقير وما بون الكثير على اليسير . والمرء بكفيه في الدنيا القوت الزهيد والثوب

الكسيد . بل المقلون اصح ابدانا من المكترين واطول اعمارا ولهم طاقة على تحمل

المشاق لا تبارى الخ .^(٢)

ويعد فمن اتى^{ال} الشدياق بهذا كله ؟ لا شك في ان له من دراساته اللغوية

والادبية التي تعتمد في الاكثر على العقل والمنطق . ومن مطالعاته في الآداب الفريية

كما تبين فيما بعد ومن اختبارات في الحياة والناس . التي اكتسب اكثرها من اسفاره

الطويلة الكثيرة . اذ كان رحالة جواره كافة موكل بغضا الله . اقول لا شك في ان له من

كل ذلك . بعد مروره على تلك العقلية الجبارة والذكاء العميق . زاد عظيم من التلوين

العقلي والتلوين اللفظي . وهذا ما اشرنا اليه . سنضطر الى الاشارة اليه في اماكن مختلفة

من هذا الكتاب .

والنديان لا يستفهم عن ان ينقل عن اللغات التي يعبرنها بعض ما يلص منه
فائدة محققة في توضيح الرسالة التي كان يحملها . فالترجمات تشغل جزءا كبيرا من ج
جوابه ، وقد اشار الى ذلك بقوله متحدنا عن نفسه :

"ولكن كيف يتأتى لمن يعاني الترجمة والتأليف ان يضع زهرة عمره في الصياح
ويغعد مصغيا الى كلام فارغ لا يستحسنه الا قائله " .^(١)
ويقول في موضع آخر :

" من احوجه الدهر الى ترجمة الاخبار السياسية وخصوصا اخبار التلفزيون وجب
عليه ان يطلقها بمصدر رطب وصبر طويل ، وذلك لكثرة ما يرد عليه منها من التناقض
والاسفاف والاقتضاب " .^(٢) ولا شك في ان المقالات العلمية التي نشرت في الجزء الاول من
"كنز السرائر" كمقالاته "في الهواء" و "في قوة البخار واختراع الباخرة" و "في الغاز"
و "في ابرة المغناطيس" وسواها من هذا القبيل . ويغلب على أسلوبها السهولة والوضوح
والباس المعاني ما يلائمها من الالفاظ وتجنب التقديم والتأخير وحرية النقل ، مما يخل
بالعبارة العربية ، ويصر بها عن اداء المعنى المطلوب .

الجزء الثاني : وهو يحتوي على ذكر وقائع حرب السبعين التي وقعت بين جرمانيا
وفرنسا . وهو من قبيل الاخبار الاساسية التي تكون عنصرا اساسيا في الصحافة .
وفائدة هذا الجزء تاريخية في الدرجة الاولى اذ انه يطلعنا على اخبار سجلها صحافي
قدير كان معاصرا لها ، ولم يكن بالاعتماد على نفسه في ايرادها ، بل حاول ان ياخذ
عن الصحف الاجنبية التي كانت تقع بين يديه . وكان موقفه من هذه الاخبار الترجمة
والترتيب والتلخيص والمقارنة ، والتعليق . وهو يحترف بانه كان ياخذ عن الصحف فنراه يشير
الى ذلك في عدة اماكن فنراه يذكر جرنال برلين المسمى "كروزنبون" و "نيوفري"^(٣)
والبال مال^(٤) والغلواس^(٥) و "الدبلي نيوز"^(٦) و "فريد اف انديا"^(٧) Friend of India^(٨)
وسواها وهو يشير الى انه يترجم عنها فيقول مثالا من الحرب :

(١) الكنز ج ١ ص ١٦٩ (٢) الكنز ج ٢ ص ٦٦ (٣) ج ٢ ص ٢ (٤) ص ١٥ (٥) ص ١٧
(٦) ص ٤٤ (٧) ص ١١٧ (٨) ص ٨٧

" وليكن معلوما اننا لا ضلع لنا مع احد الفريقين ولا تعصب فان هاتين الامتين
المعظمتين مستغنيتان عنا فما مثل تعصبنا لاحدهما الا كمثل الذبابة التي لبثت على قرن
الثور وانما نشفق على النفوس المعدة للهلاك لمجرد كلمة "غفوه" بها ملك بروسية وعلى ما
يصيب غيرهم من العسر والضنك بسبب هذه الحرب. فكم من اولاد تيتم ونساء تومل وبيوت
تخرب واحباب تنجع وميوت تدمع واكباد تتفرق وآمال تخب وأعمال تحبط ومن جملة هذه
المصائب انه يلزمنا ترجمة اخبارها ثم نشرها والتشغل بها " (١)
ويقول في موضع آخر :

" من احواله الدهر الى ترجمة الاخبار السياسية وخصوصا اخبار التلفزيون وجب
عليه ان يتلقاها بصدر رحيب وصبر طويل وذلك لكثرة ما يرد عليه منها من التناقض والاسفاف
والاقتضاب " . (٢)

ولا نستطيع ان نجرى على آرائه السياسية . حكما قطعيا لاننا بما بين يدينا من
مصادر لا نستطيع ان نميز ما كتبه هو وما نقله عن الصحف والاخبار . لا سيما وانه لا
يشير الى المصادر التي اخذ منها اشارة شافية . بل الظاهر انه كان يدرس الاخبار في
مختلف الصحف وينظمها في شكل مقال يحوى زبدة الاخبار . ولكن هناك بعض التعليقات
التي يشتم فيها من عفاه ككوله محلا سياسة الدول تجاه فرنسا في حرب السبعين .
وهو يدل على براعة في فهم الاحداث واطلاع واسع على التاريخ وتعمق لا غبار عليه .
لاحوال السياسة وشؤون الاجتماع :

" جبرأنا نقر بان للدول الاخرى بعض اعداء لخدلائها فرنسا فان دولة الروسية
واجدة عليها بسبب حرب القرم ودولة اوستريا آسفة بسببها على فقدان لمبارديا ودولة
ايطاليا نائمة عليها اجازتها لرومية ، ودولة اسبانيا معرضة عنها لتعرضها لها في تعليق
البرنسر ليوبولد . ودولة اميركا نائرة منها لجعل مكسيكو دولة امبراطورية . غير ان دولة
الانجليز ليس لها ان تلومها على شيء ، ومع ذلك فان تلك الدول قد جدت بها العروة
والشهادة الى مصافاتها وابداء الميل لها ونسب ماكانت تضره عليها .

ودولة انجلترا باقية كالجلمود . وقد كان يمكن لها بعد واقعة سيدان ان تتواطأ مع الدول على إلغاء الصلح وكشف الضر عن فرنسا وهذا هو رأى جميع العارفين باحوال السياسة . الخ الى ان يقول : (١)

” وبعد فقولوا لنا ايها الكتاب ويا ارباب السياسة اذا كانت دولة متسلطة على ثلثائة مليون من النفوس وكان دخلها مائة وعشرين مليون ليوة في العام ، وتاي انقاذها كامة فرنسا من التهلكة . فاي عاذر لها على اباؤها ومن ذا الذي يوجو منها بعد ذلك نفعا . لا جرم انها دولة سمها في ادبيها . وان محنة فرنسا لا تزيد في وجاقتها شيا فتاخرها عن ازالة هذه المحنة عنها ان هو الا من الحقد القديم والتقاعر الذميم . وان موازنة قوى اوربا التي طالما لهجت بها كتاب الاخبار صارت عدما . فليهنى الانكليز اليوم ان معاملهم وحوانيتهم مفتوحة . ومعامل فرنسا وحوانيتها مغلقة وان ارتالهم جارية بالركاب والبضائع وارتيال فرنسا معطلة . وان اشجارهم بلندرة نامية . واشجار باريس قطعت وان رهاق لندرة مصرعون في الاسواق وهم سكارى واهل باريس يبيتون الليالي مشفقين من نفاق الماء من عندهم ، وان مالطة آمنة ومتر محصورة . الخ . (٢)

” في هذه التعليقات تبرز روح الشدياق التهمكية . كما تظهر معرفته لاحوال انجلترا وفرنسا . معرفة لا يصل اليها الا شخير زلاهما وعاثر فيهما كالفارياق مما يجعلنا نعتقد انها من كتابته . وهناك قطع اخرى كثيرة من هذا القبيل .

ويظهر ميله الى فرنسا واضحا في هذا الجزء . وربما كان ذلك لانه احب فرنسا حين زارها حبا ظهر في تنابا كتبه . ولسبب آخر هو ان لها في الممالك المخروسة مآثر جليلة وهو يشير الى ذلك بقوله :

” انا نعظم قدر كل من يغار على وطنه ويسعى في تعزيزه وتشريفه وفي تشرفاف قدر سكانه ونفعهم وهذه الخلة وان تكن عامة في ام اوربا الا انها في امة الفرنسيين اشهر واظهر لان الفرنسيين كلهم على مذهب واحد ولهم لسان واحد فهم بمنزلة عشيرة

واحدة في بقعة واحدة ، وان كان بعضهم على مذهب البروتستنت ، فالحكم على الغالب .
ولهذا نعظم قدر الفرنسيين على هذه الخيلة لاسيما ان لهم مآثر جليلة في جميع الممالك
وخصوصا في الممالك المحروسة ، فلذلك حق علينا شكرهم والتعظيم بحامدهم * (١) .
وسبب ثالث يذكره في قوله :

" اي حين لا تدمع واي قلب لا يذوب حشرة وكندا واي عبارة تغي بوصف ما شمل
فرنسا في هذه المحنة الطامة والريضة العامة وهي فرنسا التي طالما سرت المحزونين
واغاثت الملهوفين وانتشرت للمظلومين وانقاذ المصطرين وانشات مكاتب ومدارس في جميع الاقطار
وارسلت نساء لعبادة المرضى وتربية الصغار وحثت على المعارف والتقدم ، نعم هي فرنسا
التي لم يكذب يستتب في الدنيا امر خطير الا بدوا زرتها وانجدها ومعاهدتها واسعادها
فهي التي ادانت على جمهورية اميركا وما ادراك ما جمهورية اميركا وساعدت الدولة
العلية في حرب القيم وفي صرف فتنة الشام ٠٠٠٠ الخ * (٢) .

وهو في اكثر مواقفه من هذه الحرب يظهر تالعه على ما وصلت اليه فرنسا ويدعو
الدول الى الاسراع الى ايقاف الحرب قبل ان تجر على فرنسا الهولاء واليك هذه
العبارة التي يتالم فيها لما حل بفرنسا ، ويحذر انكثرا ونهرها من الدول مغبة الامر :
" فانظر بالله الى ما وصل اليه الفرنسيين من الذل بعد ان كانوا اعز الامم قدرا
واكثرهم فخرا ، فهل يامن الانكليز وغيرهم ان ياتيهم يوم كيم الفرنسيين فيدبحوا جميعا
في قبضة رجل واحد * (٣) .
واسمع ما قاله حين اطلقت فتنة باريس :

" قد طرقت سامعنا وطابت خواطرننا لحوادث التلغراف السابقة حيث انبأتنا بان
فتنة باريس قد انطلقت * (٤) .

وهذا الحب لفرنسا يقابله كره لانكثرا تلك التي كان ينتظر منها ان تساعد فرنسا (٥)
فوقفت موقف الحياد ، وهو ينهي على الانكليز لؤمهم وعزلتهم وينذرهم شر يوم يصبحون
فيه كالفرنسيين في قبضة رجل واحد ٠٠٠٠ ونحن لا نستطيع ان نوفق بين موقف الشدياق

(١) ص ٨ (٢) ص ٣٠ (٣) ص ٤٩ وما بعدها (٤) ص ١٩٢ (٥) ص ٢٥٥ (٦) ص ٥١

هذا وموقفه الودى من انكلترا الذى اشار اليه الشيخ محمد عبده^(١) والذى وقفه منهم يوم ثورة مرابي، الا اذا عرفنا ما كان عليه الشدياق من التقلب السريع، ومن لبسه لكل حالة لبوسها الخاص، وهذا موقف يدل على مرونة سياسية ومقدرة عظيمة على التصرف بالامور.

والشدياق يعتمد كثيرا على علمي الاجتماع والنفس في تحقيق لبعض الاخبار والتعليق عليهما، وهذه ميزة واضحة في اكثر كتاباته اشرفنا اليها سابقا^(٢) وهو يهتم كثيرا بالعامل النفسي ويحسب له حسابا في تفهم الاخبار واستنتاج النتائج منها. من هذا قوله في مقاله " خذلان الدول للفرنسا ولما ينتج عن ذلك " .

" ما غرس في الطباع وتكرر على الاسماع ان الانسان متى راي خصمين يتضاربان فانه يرثي للضعيف المغلوب ويحنو عليه حنو المحب على المحبوب، وان يكن المغلوب هو الذى بدأ بالضرب اولا وهو دليل على ان الحاضر اشد تأثيرا في الانسان من الماضي حتى ان هذه الخلقة اعني الحنوء ترى غريزية . فيما اذا كان المتضاربان من الحيوانات غير الناطقة . فكثيرا ما راينا من رعاى الناس في الطرق من يتصدى لكف كلب قاهر عن كلب مقهور، لمجرد النظر اليهما، وهذا الذى امال قلوب الناس جميعا الى محبة اهل هنكاريا حين تالبت على قهرهم اوستريا والروسية معا، وهو الذى امالها ايضا الى محبة الدانيمرك حين تالبت عليها اوستريا . . . الخ " .^(٣)

وقوله :

" نعم يقال ان الالمانيين وروسا هم مدربون على القتال وان سلاحهم اتم واحسن الا ان من يقاوم عن حسبه وعرضه وصون وطنه وشرفه ليسر كمن يقاتل لمجرد التغلب " .^(٤)

وقوله :

" فاذا قيل ان الفرنسيين من شانهم المفاخرة والمباهاة وانهم قد راوا في الجرنالات مدحهم واطراهم على ما ابدوه من الحماسة والذب عن بلادهم حتى كانوا اكفاء للالمانيين فلا ترضيهم الجمهورية، قلنا انه لا مباينة بين المباهاة والحكومة الجمهورية بشي، كما تشاهد في حكومة اميركا . . . الخ " .^(٥)

(١) راجع ص ٥١ في هذا الكتاب (٢) راجع ص ٥٥ من هذا الكتاب (٣) ص ٤٩

(٤) ص ١٤٦ (٥) ص ١٧٣

وامثلة هذه الخططات الاجتماعية والنفسية كثيرة في ما كتبه . وهي كثيرا ما تساعد على تهينة الجو والتمهيد لاحكام السياسة التي كان يجريها . وعلى تفسير الكثير من احوال السياسة والاجتماع .

وتظهر نزعة الفاريابي الانسانية جليلة في هذا الجزء كما ظهرت في غيره من كتبه وقد برزت هنا في كرهه للحرب وللذين يفررون بالانسانية ويصحون بها على مذابح شهواتهم واطماعهم في العز والجاه . فاسمعه يلوم الدول على عدم تدخلها لايقاف الحرب .

" واذا كانت الدول قد حنقت على الامبراطور نابليون وعلى دولته لانهم تسببوا في هذه الحرب ، فاستمرارهم على الحق^{بجد} للانسانية فذنبهم في ذلك اكبر من ذنب وزراء الامبراطور . ألم يان لهم ان يشفقوا على من خرج من باريس من الاولاد والمجانين والنساء غير الزواني فان الاخبار تواترت على ان جميع النساء خرجن منها افلا يتحسرون على من صرعتهم الحرب في ميدان وعلى الجيوش المحصورة في القلاع وهي تعيش بما لا بد منه من القوت لحفظ الرمي . بعد ان كانت في رغد من العيش ووراءهم عيون تذرف الدماع لضنكهم وقلوب تنمزق لبؤسهم . افلا يأسفون على من في باريس وقد آثروا الموت على الحياة وقالوا النار ولا المعيار والمنية ولا الدنية والحين ولا الشين . وقد استعدوا للبلاء واستهدفوا للشتاء . فمئندهم الساعة بمنزلة الاسبوع واليوم بمنزلة الشهر بعد ان كانوا غافلين عن محن الزمان وآمنين من كوارث الحدثنان . افلا يحزنون على هلاك اربعمائة الف نفر من الالمانيين والفرنسيين ما عدا خراب بيوتهم وتبتم اطفالهم وفجع اقربائهم . فيالله ويا للعروة كيف لا تستحي هذه الدول من بقائها ناظرة الى هذه الاحوال من دون حنو ولا شفقة " (١)

ويقول في موضع آخر متحسرا على ضحايا تلك الحرب :

" فيا حسرة على مئات الوف تطحنهم رحى الحرب وهم لم ياتوا شيئا يستوجبون به خدش ابدانهم فضلا عن تناثر جماجمهم ويا عجباً من هذا التمدن المفضي الى تخریب المدن وافقار الناس وتحسير القلوب وتفتيت الاكباد وفي الجملة فان هذه الحرب لم ير مثلاً في اوربا قط فالرواية عنها بالتفصيل تقضي بمدة طويلة وصبر اطول ان كان

اسيف القلب لا يطيق ان يقول قد قتل عشرون الفا او ثلثون الفا في معركة كذا فنسال الله تعالى ان يلطف بنا وان يلهم دول اوربوا التوسط في اصلاح ذات البين حقنا للدماء المسفوكه عبثا والله الامور من قبل ومن بعد .
ويقول في موضع ثالث :

* فالمباهات الحفيقية هي في توير اسباب التمدن في المملكة واجراء العدل والحق فيها وفي اعلائها على غيرها في التجارة والصنائع . لا في ابهة الملك الفارغة المصبوغة بدم الفقراء والمساكين^(١) .

ويظهر من حديث الشدياق عن عصاة باريس انه بكرة الفكرة الشيوعية الاقتصادية كما ظهرت عند عتاة باريس . ويميل الى فكرة الاشتراكية الاسلامية التي تجعل للفقير نصيبا من مال الغني . عن طريق الزكاة . وفي هذا يقول :

* ثم اني وان كنت من اشد المنكرين على هؤلاء العتاة تواطؤهم على مشاركة الاغنياء في اموالهم واملاكهم . وليس من طبيعي التحرر بالمذاهب والاديان ان هو خارج عن وظيفتي وما احد تعرض لهذا الا ومني بالعذل واللام . الا اني ارى من المفيد ان ابين الاصل الذي بني عليه هذا الحزب عقيدتهم في مشاركة ذوي الاموال وهو ما ورد في آخر الفصل الرابع من سفر يقال له عند النصارى سفلا اعمال الرسل وهو عندهم من الاسفار الموحى بها كالانجيل والزبور والتوراة . وهذه ترجمته : " وكان الجميع الذي آمن منهم على قلب واحد ونفس واحدة ولم يكن احد منهم يقول من الشئ الذي يملكه انه له . بل كان لهم كل شئ مشتركاً ولم يكن احدهم محتاجا الى شئ . لان الذين كانوا يملكون عقارا وديارا على كثرتهم . كانوا يبيعونها ويأتون يثن ما باعوه ويضعونه عند اقدام التلاميذ . فكان يوزع منه على كل واحد على حسب حاجته الى ان قال في ابتداء الفصل الخامس : الا ان رجلا اسمه حنا نياسر باع هو وامراته صغيرة ملكا واستبقى من الثمن وكانت امراته مطلقة على ذلك . ثم جاء بالبعير ووضعه عند اقدام التلاميذ فقال

له بطرس يا حنا نيار لماذا ملا الشيطان قلبك حتى تكذب على الروح القدس وتستبقي من ثمن الارض ، فلم تكن مدة بقائها ملكك وبعد ان بعثها فلم تكن في مقدرك فلم اضمرت هذا الامر في قلبك انك لم تكذب على الناس بل على الله ، فلما سمع حنا نيار هذه الكلمات سقط وسلم الروح . واستولى الرب على جميع من سمعوا بهذه الامور فقامت الشبان وحملوه ودفنوه وبعد ان مضى ثلاث ساعات جاءت امراته ولم تكن تعلم ما جرى فقال لها بطرس : قل لي هل بعثنا الارض بهذا المقدار ؟ فقالت نعم بهذا المقدار . فقال لها بطرس كيف اتفقتما على تجربة روح الرب هوذا اقدام الذين دفنوا زوجك لدى الباب فهم يحملونك ايضا . وفي الحال سقطت عند قدميه وسلمت الروح . فجاءت الشبان فوجدوها ميتة فحملوها ودفنوها جنب زوجها . هذا ما قصدنا ايضاحه على سبيل الاخبار لا على سبيل الانتقاد ليكن معلوما هذا الحزب الذي كاد يسرى في هذه الايام الى احزاب كثيرة من اولى الصنائع والحرف فانهم كلما تبطلوا عن العمل قام في خاطرهم انه يجب على الاغنياء ان يعونهم وعيالهم . والحق ان المهلة العاجزين عن معاشهم امر واجب على المستطيعين والمطيعين . ولكن بصورة مفررة سديدة كاداء الزكاة والصدقات مثلا الى بيت المال وهو على مقتضى قوله تعالى : والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم وحينئذ يصير توزيع ذلك بامر الدولة السائدة فاما اذا جرى على سبيل الغصب والغشمة كما يفعل هؤلاء العصاة فانه يودي الى اضعاف الحقوق وانسداد السياسة لا محالة وما احد من الدول يسوغ هذا الامر ولا الاغنياء يسمحون به فمهما كثر عدد الرعايا الذين يحاولون فلن تغني كثرتهم عن العساكر شيا ^(١) .

اسلوبه : اشرنا في اول البحث الى ان الشدياق اخذ الكثير من اخباره من صحف الاخبار . وهذا يمكننا من الاطلاع على اسلوبه في الترجمة . وقد وصفنا هذا الاسلوب في غير هذا المكان من هذا الكتاب ولان نضيف الى ما ذكرناه ان الصفة العلمية تغلب على اسلوبه السياسي كما تغلب على الكثير ما كتبه . كما بينا في غير هذا المكان .

وهو يشير الى ذلك ويبرئ نفسه من التحيز الى طرف من الاطراف ، فيقول :

" وليكن معلوما انا لا ضلع لنا مع احد الفريقين ولا تعصب . فاني هاتين الامتين العظيمتين مستغنيين عنا . . . الخ " (١)

" ويشير في مكان آخر الى حبه لفرنسا الا ان هذا الحب لن يكون سدا يحول بينه وبين قوله الحق :

" ولهذا نعظم قدر الفرنسيين على هذه الخلة ، ولا سيما ان لهم مآثر جليلة في جميع الممالك وخصوصا في الممالك المحروسة ، فلذلك حق علينا شكرهم والتنبؤ بهامدهم ، الا انا لم نستصوب هذه المرة تنزعهم الى محاربة بروسية اذ ليس من سبب سديد لهذا " (٢)

ونراه يدعو الى التدقيق في ايراد اخبار الحرب لان الكثير منها موضوع لا يثبت امام مقاييس النقد

" من مني بتسطير الاخبار في وقت المحنة والاكذار تعين عليه ان يكتب منها ما يريد وما لا يريد ، وما يستحسنه وما لا يستحسنه وما يصدق وما لا يصدق ، الا انه يجب عليه ان ينبه على مواضع الخطأ منها تحذيرا للناس من الاسترسال الى التصديق بالمحال . ولا نكاد نرى احدا من كتاب الاخبار يفعل ذلك وانما يلقون على الناس كل ما يصل اليهم منها ، واذا كتبوا في اليوم التالي ما يناقضها فلا يعنيه ان ينبهوا عليه فصارت كتابة الاخبار في هذه الايام وسيلة للتغريب والتضليل حتى استحيينا والله من متابعتهم وصار من معتقدنا ان عدم روايتها اولى . مثال ذلك . . . الخ " (٣)

ثم يقدم بعض الامثلة التي تدعم هذا . ويقول في موضع آخر داعيا الى استعمال العقل وقياس الحاضر على الماضي :

" وباقي الاخبار زنها بعقلك ومشها على قياس ما مضى من امثالها " (٤)

وكثيرا ما نراه يعرض بعض الاخبار التي يعتقد انها ملفقة ويبين ما فيها من تشويش وتناقض . لنعط مثلا على ذلك من مقالاته " في الاخبار المتناقضة التي رويت عن المتحاربين وعن الامبراطور " :

(١) ص ٧ (٢) ص ٨ (٣) ص ١٣٠ (٤) ص ١٤٦

" من احوجه الدهر الى ترجمة الاخبار السياسية وخصوصا اخبار التفكراف وجب عليه ان يتلقاها بصدر رحيب وصبر طويل وذلك لكثرة ما يرد عليه منها من التناقض والاسفاف والافتضاب . وكثيرا ما تلقي طرف خبر مهم ينتبه له الناس ثم تترك تنمته فيبقى السامع مقلها الى معرفته مثال ذلك ما روى عن الجنرال بازين من انه شرع في المفاوضة على تسليم قلعة ميزه ولم يعلم بعد ذلك ما جرى منه مع ان هذا الامر من اهم الامور ان لا يخفى انه لم يبق لفرنسا من المعسكر المدرية على القتال سوى تلك المعسكر ٠٠٠٠٠ ومن ذلك انه كان قد شاع في الاستانة ان الجنرال افنانيف سفير دولة الروسية عازم على السفر الى بطرسبورغ بحسب رخصة من الدولة المشار اليها وبعض روى انه سافر فعلا واذا بخبر ورد من تلغراف لندرة يؤذن بعدم عزمه على السفر لكنه بعد ذلك سافر ولعله اليوم نجى الامبراطور " (١)

ويقول في موضع آخر

" ومن ذلك قولهم ان كلا من دولتي انجلترا واطاليا طلبت من دولة اليونان ان يكون لها وكيل شرعي في المجلس الذي انعقد في اثينا للتفكراف عن قتل الاسرى في ماراثون فابت دولة اليونان ذلك بناء على انها مستقلة في امورها الداخلية وان مثلها في هذا الاستقلال كمثل سائر الدول فلو ان قوما من الانجليز قتلوا في بلادهم نفرا من اليونان لما كان حق لدولة اليونان في ان ترسل وكيلها لمحاكمتهم . والان تبين من اخبار التفكراف على ما سير بك انه كان لدولة الانجليز في مجلس اثينا وكيلان لا وكيل واحد " (٢) . وامثلة ذلك كثيرة في هذا الجزء مما يدل على نزوة التي التحير والتحري وتجنب اطلاق الاحكام المرتجلة دون تدبر وقياس وتفكير .

الجزء الثالث : وهو يشتمل على بعض القوائد التي نظمها صاحب الجوائب في الاستانة . ولقد استعرضناه استعراضا دقيقا في حديثنا عن شعر الشدياق .

الجزء الرابع: وهو يحتوى على الفصل الذى نظمها افاضل العصر من العلماء والادباء
في مدح صاحب الجوائب، او في مناسبات تتعلق به .

ويبرز هذا المدح في مناسبات كثيرة . ففنه ما قيل في رد هجوم الخصوم عنه
كصاحب برجيس بارسر^(١)، حين تطاول واخذ عليه بعض الاخطار في العدد الثالث والسبعين
من الجوائب . وقد اكثر الشعراء من هجاء هذا واستفحل الامر بينهما فانقسم الادباء
الى انصار وخصوم وقد اشرنا الى ذلك في مكانه . وقد قيل في هذه المناسبة من
الشعر الهجائي ما هو اقرب الى الطعن الشخصي والاقتداء منه الى الرد العلمي المنطقي .
ومن امثلة ذلك قصيدة نظمها احمد عزت العمري نقر فيها ادعاءات صاحب البرجيس .
ومنها

من ذاته بين ذويه عزت
والموصلي منشأ ومولدا
وكان بالاحشاء وهنا قد الم
على الرسول المصطفى الكريم
خير البرايا قدوة الانام
اظهار ما شاع وقد ما قد علم
المنتقى الى حمى بارسر
الافضل الاعلم ذى المحامد
واهد الناس بعلم الرسم
وفضله به يقر الجميع
مسائلا ليست من الغرائب
من بعد ما ارسلها اليه
ملتزما طريقة التنكيست
كلا ولا اصاب فيها قالا

قال ابو الفوارد احمد عزت
العمري نسبا ومحتدا
حمدا لمن اذهب عنا كل هم
واطيب الصلاة والتسليم
والسه وصحبه الكرام
وبعد فالقصود من هذى الكلم
من اعتراضات الفوى برجيس
على جناب اللوزني العاجد
فارس ميدان الذكا والفهم
من لفظه يسكر منه السمع
فانه اثبت في الجوائب
فردها ذاك الفوى عليه
يسار بها في منهج التنكيست
لكه ما انصف المقللا

(١) راجع "الناظرات اللغوية" في الفصل الخامس من هذا الكتاب

هذا وقد امنت فيه النظرا
ولا ح كالصبح على عمود
فرطت لانتفاع ذوي الانصاف
وها انا اشعر في المسال
احكم ما بينهما بالعدل
فانشق فجر الحق لي واسفرا
منه تحلى الجيد في عقود
منه بدر ميز عن اصداف
ازيل ما فيه من الاشكال
وارفع الخضم بقول فصل (١)

وستحدث عن هذا المناظرة بالتفصيل في غير هذا المكان .

ومناظرة اخرى اثار اصدقاء الشدياق وانعاره وهي مناظرته مع الشيخ البراهيم
اليازجي . وقد تحدثنا عنها في غير هذا المكان . وما قيل فيها من الشعر ما نظم
الشيخ رشيد المعصراني الدمشقي . قال :

اهوى برب الناس من شر حاسد
نتائج ربح الحاسدين يكيدهم
وما الجهمل والافساد والبغي للفتى
نظن الردى خيرا بظلمة ظلمه
كما بقي ابن اليازجي ضد كامل
فسمي ابراهيم لو كان عالما
ولم يبق ضد الكامل العالم الذي
هو الاحمد المشهور فارس عصرنا
ومن كل ذى بغي وجهل وفاسد
يموتون غيظا من عزيز وما جد
سوى الضر والبلى وكفر المعاند
لاهل الهدى يبقى اشعر مضاد
له ظن سوء الفعل حسن العوائد
بمعنى اسمه يابى فيبيح الموارد
باوصافه مرآة كل السحامد
، ابو خير مولود سليم كوالد . (٢)

ومن هذه المذائع ما قيل في جوائبه وذكر فيه فضلها على الامة الاسلامية .

ومنه ما قيل في مناسبات خاصة به كتفريط سر الليال (٣) وكنز الرغائب (٤) وتمنقته بالنيشان
الذى منحت اياه الدول عام ١٢٨٣ هـ (٥) وما قيل في حرق بيته (٦) وسواها من المناسبات .

(١) كنز الرغائب ج ٢ ص ٤٤ (٢) نفس المصدر ص ٩٩ (٣) راجع ص ١٦٦٩٤
٤٥ ، ٧٦ ، ٨٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٦ ، ١١٧ (٤) ص ٥٤ ، ٦٤ ، ٧٠ ، ٨٩ ، ٩٤
(٥) ص ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٨ ، ١٥٤ (٦) ص ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ (٧) ص ١٠٦٦٩٥

وقد نتساءل : ما الذى كان يدفع هؤلاء الادباء الى مدحه والوقوف بجانبه في وجه اعدائه ؟ . ربما كان ذلك لتمصب ديني من ادباء المسلمين وعلماهم ولا سيما ان الشدياق كان من دعاة الخلافة الاسلامية . كما انه كان يتنافح عن حوزة الدين في جموائيه . وقد يكون ذلك تقربا اليه وهو العزيز المقرب من السلطان وقد يكون ذلك لا لهذا ولا لذلك ، ولكن تقديرا لعلمه وتوثيقا لمرى الصداقة معه .

الجزء الخامس : " وهو يشتمل على ما في الجوائب من الحوادث التاريخية والوقائع الدولية من جملتها الاوامر السلطانية التي صدرت في الخطوب الشهيرة وغير ذلك من الفوائد " .^(١)

وهذا الجزء يعد من المصادر المهمة لدراسة تاريخ الدولة العثمانية الداخلي والخارجي وتاريخ المسألة الشرقية وعلاقتها بالدول الأوروبية في ذلك الحين^(٢) . وهذه المرحلة مهمة بالنسبة لتاريخ السلطنة ، لانها كانت فترة الاحتضار في تاريخها . وكان بعض السلاطين يحاولون اصلاح خصوصا في النظام المالي ، بيد ان جهودهم كانت تذهب ابايد لا رجع لها ولا هدى ، لان الداء كان قد تفشى في جسم "الرجل المريض" والمطامع الأوروبية زادت واستفحلت . والشدياق يؤرخ هذه الفترة ويثبت في جوائبه الفرمانات والخطوط الهابونية . كما انه يترجم لبعض من مشاهير العثمانيين في تلك الفترة^(٣) . وفي الكتاب بعض الاخبار والاحصاءات الضرورية المفيدة^(٤) . وطبيعي ان يستعين به بعض المؤرخي تلك الفترة ، نذكر منهم على وجه التخصيص محمد فريد بك في كتابه " تاريخ الدولة العلية العثمانية " فقد استعان به في عدة مواضع اشار في بعضها الى ذلك ، ولم يشر في البعض الآخر . وما نقله عنه ، وترجمة معاهدة باريس ، وقد ذكر المؤلف ذلك ، فقال

" واليك نص المعاهدة حرفيا نقلا عن الجزء الخامس من كنز الرغائب في منتخبات الجوائب " .^(٥)

(١) الصفحة الاولى من الجزء الخامس من الكنز (٢) راجع ص ١٥ ، ١١ ، ١٣ ، ١٤

(٣) راجع ص ١٩٠ ، ١٩٢ ، ٢٢٨ ، ٢٤٤ ، ٢٦٩ (٤) ص ١١٠ ضل

(٥) تاريخ الدولة العلية ص ٧٦

أما المصادر التي أخذت منها الجواب فكانت البشرات الرسمية والمحف الاخبارية العالمية . كان ينقل عنها ويوب ويستخلص زيد الاخبار - واسلوبه في هذا الجزء لا يختلف عن اسلوبه في الجزء الثاني من كثر الرغائب اذ انهما يتفقان في الموضوع الى حد كبير .

الجزء السادس : وهذا الجزء لا يختلف في مواضعه كثيرا عن سابقه . ولكنه يتميز عنه بذكر اخبار الحرب الروسية العثمانية (١٨٧٢ - ١٨٧٨) . بالإضافة الى التاريخ الداخلي والخارجي للدولة العثمانية والمسالة الشرقية مما يحتاج اليه كل مؤن يتعرض لتلك الفترة .

الجزء السابع : واخباره لا تخن عن اخبار سابقه ، وهذه الاجزاء الثلاثة الاخيرة . كما ذكرنا سابقا . من احسن المصادر لدراسة تاريخ الدولة العثمانية الداخلي والخارجي في ذلك الوقت .

وقبل ان ننهي من هذا الفصل . نود ان نشير الى الخدمات الجليلة التي ادتها مطبعة الجواب الى النهضة الحديثة . فقد طبع فيها الكثير من الكتب الادبية واللغوية المفيدة . نذكر منها على سبيل التمثيل ^(١) " درة الغوامر في اوهام الخوامر للحريز " . والموازنة بين ابي تمام والبحري " لتأمدى . وديوان العباس بن الاحنف . وادب الدنيا والدين " للماردي . ومقامات بديع الزمان الهمذاني ورسائله . وعن ذلك يقول شيخو :

للهمة المترجم طبعت في مطبعة الجواب عدة كتب ادبية قديمة استخرجها من
مكاتب الاستانة فنشرها بالطبع بالحرف الاسلاميولي المشرق ^(٢) .

(١) صدرت ثمانية مجلدات الجواب في العلادة التي صدرت في يوم الثلاثاء
٢٦ ربيع الآخر سنة ١٣٠٠ هـ . (٢) الاداب العربية في القرن التاسع
عشر . ج ٢ ص ٨٠

الفصل السابع

في اللغات الاجنبية

ويتناول انتاجه الذي اعتمد فيه على معرفته باللغات

الاجنبية من ترجمات وتأليف

كنا نود ان ندمو هذا الفصل " الشدياق المتغرب " مقابلة للمستشرقين الذين
عنوا باللغات الشرقية ودرسوا آدابها وتاريخها . ولكننا عدلنا عن هذا اللقب لانه
استعمال غير دقيق اذ ان الشدياق لم يبلغ من اللغات الغربية ما بلغه هؤلاء من لغتنا
الدقة في التحقيق والدرس . ومن نشر الكتب والمخطوطات . اصف الى ذلك انه درس
لغات اخرى غير الاوروبية كالسريانية والتركية .

درس الفارياق اللغة السريانية اثنا تلقيه العلوم في مدرسة عين ورقة^(١) المارونية
التي كانت في الاصل ديرا لعائلة البطرك يوسف اسطفان وحوله الى مدرسة سنة ١٧٨٩ .
ومن هذه المدرسة خاصة انبثت علوم اللغتين العربية والسريانية بين نصارى سورية
وبغيرها من العلوم والفنون^(٢) . فلقد قرانا له رسالة ارسلها الى ظاهر الشدياق من
الاستانة في غرة محرم سنة ١٢٩٠ ، وفيها العبارة العربية الاتية مكتوبة بخط سرياني
انيق " ليس لي تعلق بهذه الدولة اصلا لاني لست في خدمتها . واكبر اعداى هو
ناظر الخارجية . فاذا كان هذا المتصرف من حزه وعرف ان في خدمة الحكومة بعضا من
اقاربى طردهم لا محالة^(٣) . وقد كان الشدياق بارعا في رسم خطها . وقد راينا نسخة
من الصلوات البيهقية مكتوبة بخط سرياني انيق^(٤) . ونجد له في بعض الاحيان مقارنات بين
اللغتين السريانية والعربية^(٥) .

وطبيعي جدا ان يتعلم الشدياق في عصر كانت فيه لغة الكنيسة والكيسة هي
الحاكم الاول في البلاد . وفي مدرسة كانت مركزا للتعليم الديني عند الموارنة . الا اننا
لم نجد له آثارا في هذه اللغة . سواء في النقل او في التأليف .

وقد كان الشدياق يعرف التركية . وهذا طبيعي لانه كان اول امره في الاستانة
موظفا في قلم الترجمة . كما انه نقل بعض الاخبار في جوائبه عن التركية .

(١) تاريخ الصحافة ١٤٠ ص ٩٦ (٢) الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل ص ٥١٧ (٣) المكتوف عمدا ١٧٠
ص ١١ (٤) عمدا على هذا الكتاب في مكتبة الاستاذ يوسف بزيه (٥) كقول " ان اللغة العربية اصل
لغة السريانية والعبرية " الكنز ٨٠ ص ١٨٩

وهناك اشارة الى كتاب له لم نعتز عليه وهو : "كثر اللغات : فارسي تركي عربي" ^(١٧) .
فيكون بذلك قد الف بالتركية والفارسية . وليس فيما بين ايدينا من المصادر ما يشير
الى انه كان يعرف هاتين اللغتين او احدهما الا هذا المصدر الذي يشير الى ذلك
ضنا . الا ان يكون قد استعان باحد اصدقائه في ذلك .

وقد افاد الشدياق من رحلته في اوروبا بالاضافة الى ما اكتسبه من تجارب
واختبارات . لغتين جديتين هما الانجليزية والفرنسية . وقد الف في الاولى كتاب
" الباكورة الشهية في نحو اللغة الانجليزية . والمحاورة الانسية في اللغتين الانجليزية
والعربية " وترجم عنها " شرح طبائع الحيوان " وساعد في اعراب لغة التوراة " . كما انه
ترجم بعض الاخبار والمقالات في الجواب . كما ذكرنا في الفصل السادس من هذا الكتاب .
وفي الفرنسية الف كتاب " سند الراوى في الصرف الفرنسي " بالاشتراك مع غوستاف
دوجا ^(١٨) Gustave Dugat . وقد صدر هذا الكتاب سنة ١٨٥٢ . وقد ترجم عنها بعض
المقالات والاخبار في الجواب كما ذكرنا سابقا . وها نحن نستعرض بعض هذه الكتب
نشي من التفصيل :

المؤلفات :

الباكورة الشهية في نحو اللغة الانكليزية :

الف الشدياق هذا الكتاب عندما شعر بالحاجة الماسة اليه في لغتنا لان الانجليزية
في نظره " قد جمعت محاسن لغات شتى فكانت فذلك العلوم والفنون بتا . شملت
كتب الاولين وزاوت عليهم اشياء لم تكن عندهم حينئذ مشهورة وانتقت ما طاب منها
سيرة وسيرة ^(١٩) .

وهذا الاعجاب ب تلك اللغة هو الذي دفعه الى خدمة ابنا لغته بهذا الكتاب
والذي يليه . وقد قسمه الى اربعة ابواب . وقسم كلا منها الى اجزاء وافسام وهي :

(١٧) معجم المطبوعات العربية والمعرية عود ١١٠٧ و برلمان " تاريخ الادب العربي ١ . A . ٥ . ٥ . ٦ . ٧
(١٨) الباكورة الشهية ص ٥٠٦

الباب الاول :

وهو معرفة احوال الحروف Orthography وينقسم الى ستة اجزاء .

الجزء الاول : في تعريف هذا الفن

الجزء الثاني : في لفظ الحروف واختلاف ما لها من الاصوات . كل منها على حدة

الجزء الثالث : في تقسيم الحروف الابجدية

الجزء الرابع : في التهجي

الجزء الخامس : في الكلام واشتقاقه

الجزء السادس : في زيادة بعض الحروف

الباب الثاني : في تعريف الكلام واشتقاقه يسمى Etymology وينقسم الى :

القسم الاول : اداة التعريف ----- An Article

القسم الثاني : المنعوت او الاسم Substantive or Noun

القسم الثالث : النعت ----- The Adjective

القسم الرابع : الضمير ----- The Pronoun

القسم الخامس : الفعل ----- The Verb

القسم السادس : الحال والتمييز ----- The Adverb

القسم السابع : حروف الجر ----- The Proposition

القسم الثامن : حروف العطف ----- The Conjunction

القسم التاسع : حروف النداء ----- The Interjection

الباب الثالث : في تركيب الجمل ويقال له syntax وقد وضع له اثنتان وعشرين قاعدة^(١)

الباب الرابع : في المروءة .

والكتاب مأخوذ عن اصول انجليزية مع بعض التحوير الذي يجعله ملائما

للذوق العربي .

وما بدلنا على انه مترجم ان البعض من امثله جاء غريبا على الطالب العربي . فلا بد من ان يكون مأخوذا من اصل انجليزي . مثال ذلك قوله :

He went from London to York^(١)

وترجمته : ذهب من لندن الى يورك

وقوله :

He and his brother reside in London^(٢)

وترجمته : يسكن هو واخوه في لندن

وفير ذلك من الامثال التي نجدناها مفتقرة في عرض الكتاب . ونجد في المتن بعض عبارات على ذلك كقوله :

"وسميناء الباكورة الشهيد في نحو اللغة الانجليزية لما انه لم يسبق قبل هذا ترجمة شي من هذا الفن"^(٣) .

"وقوله في موضع ثان :

"والله نسال ان ينفع بترجمة هذا المتن المختصر ويبلغ مطالعيه منه الوطر"^(٤) . وفي موضع ثالث

" . الاتري ان لفظة Before عدها اولا مع الاحوال ثم عدها هنا مع الحروف"^(٥) .
ما يدل على انه كان ينقل في كتابه عن مؤلف امامه . وامثلة كهذه تدلنا على انه ربما كان ينقل عن اصل او اصول انجليزية . ونحن لا ننجم بذلك ، وانما حكننا من قبيل التخليب .

ولسنا الان في معرض البحث العميق المفصل في هذا الكتاب . ومع هذا فلا بد لنا من ان نسجل بعض ملاحظات اخذناها عليه اثناء مطالعتنا للكتاب واهمها ما يلي :
اولا : ان المؤلف يميل الى الربط بين اللغتين الانجليزية والعربية . مما يريح الطالب من عنا التخمين والحذر ويقرب المادة الى ذهنه . ويجعلها اسهل حفظا وايسر تناولا .
من ذلك قوله :

(١) ص ٧٩ (٢) ص ٨١ (٣) ص ٨٥ (٤) ص ٩٦ (٥) ص ٨٠

" قد تكون حروف العلة بمنزلة الحركات في اللغة العربية ومنزلة حروف العلة ومنزلة الهمزة اذا وقعت ابتداءً (١) .

وقوله في موضع ثان :

" مثال الاول في العربية المصدر فانه لا يثنى ولا يجمع الا اذا قصد تنويعه .
ومثال الثاني اسم الجمع كقوم ورهط فانه لم يأت له مفرد . ومثال الثالث من المنعوت
فلك وسراويل وكثرى فانها مفردة وجمع . ومن النعت جنس ودلامر وشمال وهجان (٢)
وقوله في موضع ثالث :

" مثال القسم الاول في العربية الجمع السالم وهو ما جمع بواو ونون في حالة
الرفع وياء ونون في حالتي النصب والخفض . ومثال ذلك الجمع المكسر (٣)
وقوله في موضع رابع :

" فهو اذا فعل التفضيل في العربية الذي لا يبنى الا من الثلاثي . واذا
اريد صوغه من غير الثلاثي قرن بلفظة اعظم واشد ونظائرهما (٤) .

ثانياً : قام الشدياق بتعريب بعض الاصطلاحات اللغوية في هذه اللغة . والتعريب صديقه
الحميم الذي يعني به عناية كبيرة ومن تلك الاصطلاحات :

Definite Article	اداة تعريف حاصرة
Personal Pronouns	الضائير الشخصية
The Adjective Pronoun	ضمير النعت
The Distributive Pronoun	الضمير المقسم
The Demonstrative Pronoun	الضمير الدال
Neuter verb	الفعل المستوي
Emphasis	التثنيب

وكثيرا ما كان يترجم بعض هذه الاصطلاحات ترجمة حرفية . وامثلة ذلك

الصوت العامل The Active Voice وترجمتها الصحيحة : صيغة المعلوم
الصوت المجهول The Passive Voice وترجمتها الصحيحة : صيغة المجهول

ثالثا : وطبعي الا يخلو كتاب كهذا من بعض اخطاء تقع فيه . فالموضوع بالنسبة الى اللغة والى المؤلف جديد . وقد وقع الشدياق في بعض اخطاء في الترجمة منها ترجمته : انا ما ساعدت الرجل

I assisted not the man

مع ان الشائع فيها هو :

I have not assisted the man.

وترجمته الفعل المعلوم ، الفعل المجهول . Verb Active, Verb Passive.

مع ان الصواب

Active Verb, Passive Verb.

وكانت اثر عنيت بمعرفته للغة الفرنسية .

وغير ذلك من الامثلة . ونحن لا نلوم الشدياق على هذا فالموضوع شائك ، والخطا فيه كثير الوقوع ، خصوصا عند السابقين .

المحاوراة الانسية في اللغتين الانجليزية والعربية

الف الشدياق هذا الكتاب تكلمة لكتابه الاول لما فيه من الاختصار الذي لا يروى غلبا . وفي ذلك يقول

" فقد كنا اختصرنا قبل هذا من اللغة الانجليزية فننا ، وفتحنا من مغلقتها بمفتاح نحوها مدخلا حسنا ، يتوصل به الطالب الى بعض مطالبه ويدرك به الراغب شيئا من مآربه . الا انه كان لا يروى غلبا لاختصار عبارته وقواعده . فربما شاق المتأخر الى زيارة كشف واعراب عن فوائده ، فشفعنائه الان بهذا الكتاب معذرة له ، مشتملا على فقر ومحاورات وامثلة ، مما لا بد من اجرائه بين الخاصة والعامة . ولا استغناء عنه في الاحوال المتداولة اللازمة . وهي مبنية على اسس القواعد النحوية المذكورة في ذلك المدخل المسعى بالباكورة

الشبهة وداخلة في ابوابها وكاشفة عن حجابها لطلابها . نفس ان يستفيدوا بهذا .
وبما تقدم ما يقدم بهم الى المعالي الى الغوص على درر هذه اللغة الغوالي ^(١) .
ثم يقدم فصلا دعاء " في اللغة الانجليزية خاصة وفي غيرها تبعا " يتحدث فيها
عن اللغات عامة وعن الانجليزية خاصة وبين ما بينها وبين العربية من فروق . وهذه
تقع في ثلاثة انواع :

ملاحظات لغوية في الصرف والنحو واستعمالها ومنها .

١ . ان ترتيب ابواب النحو عندهم مخالف لترتيب نحو العربية . فانهم يقسمون الكلام
الى تسعة اقسام ، بينما يقسم في العربية الى ثلاثة ^(٢) .

٢ . انهم يقولون ان النعت شيق من الفعل ، والفعل شيق من النعت ، واسم المصدر
من المصدر وبالعكس . وسبب ذلك انهم ينظرون في الاشتقاق الى كثرة الحروف وقتلتها .
فيجعلون الاكثر مشتقا من الاقل ^(٣) .

٣ . انهم ينكرون كون بعض الافعال يتعدى الى مفعولين فمثل قولنا اعطيت زيدا
درهما ، ما هو سائغ عندهم ايضا ، يؤولونه بان اصله اعطيت لزيد . ومثل جعلت زيدا
وكيلا يقولون ان وكيلا حال ^(٤) .

٤ . ان عندهم نعوتا استغنت عن ذكر المنعوت قبلها كوالد وصاحب عندنا ، فيجعلونها
في عدد الاسماء الجامدة ويسلبون عنها النعنية راسا ، مع ان النعت هو ما دل على
ذات وصفة . وهو هنا حاصل فلا اعتبار بالاستغناء عن ذكر المنعوت . وكذا ينقون معنى
الوصفية عن الذي وامثالها ^(٥) .

٥ . انهم يقولون ان هنا وهناك احوال وفوق وتحت وعند حروف جر ثم يدخلون عليها
حروف الجر . ^(٦)

٦ . انهم يقولون ان من واخواتها تدخل على الضمير المنصوب وموجب ذلك ان للضمير
المنصوب والمجرور صيغة واحدة . فكان الاولى ان يشترطوا هذا ولا يدخلوا الجار ناصبا ^(٧) .

المنصوب

ان صيغة المصدر واسم الفاعل عندهم مشتركة فحيثما وقع المصدر ظنوه اسم فاعل مثاله ملكت من سماي اياه . فيقولون ان اياه منصوب باسم الفاعل لا المصدر (١).

انهم يقولون ان المصدر فعل وهو عندهم لا يدل على زمن ولا على فاعل . بل يجعلونه تارة مرفوعا وتارة منصوبا ويسندونه ويسندون اليه . والذي يسهل ذلك ان مرادف الفعل عندهم كلمة الا انهم لما خصوها بالحدث وجعلوا المصدر قريبا له صار يعد منه (٢) انهم لا يفهمون من المضاف والمضاف اليه الا المالكية . والمالكية والاضافة عندهم على نوعين احدهما ما جعل بين المضاف والمضاف اليه لفظة "اف" بضم الهمزة ، والثاني ما قدم المضاف اليه على المضاف والحق به حرف سين . وكثيرا ما يفصلون بين المضاف والمضاف اليه نحو : كان الوصول في يوم كذا أف الامير فلان . وهذا الفصل استعملته العرب نظاما ونثرا ولكن تحاشاه المولدون (٣).

ملاحظات على اساليبهم في الكتابة والتعبير ومنها :

١) انهم يكررون ما يكون مدار المعنى عليه وان يكن حروفا وضميرا . كان نقول عند كتاب احد : ارايت ما فعل بي . وقد كنت متقبلا له بي . قد كنت انصحته وارشدته الى طرق الخبرات بي وقد سعيت في نفعه واوصلته الى هذه الغبطة بي . وقد ربيت بعمر اولاده وعلمتهم ما يتعيشون به . ونحو ذلك (٤).

٢) ويعكس ذلك الاستغناء عن ذكر الفعل اعتمادا على فاصل الجملة نقول بعضهم ان اسحاق مع مشاهدته السكين الذي به والمذبح الذي ذبح عليه لم يأنف من تقديم ضحيته لله (٥).

٣) وربما ابتدأوا الكتاب . وان يكون عظيم القدر . بكلام مقتضب كقول بعضهم اين فرنسيس ؟ كان سوال هنري لما اجتمعت عيلته للطعام . والوجه لان يقال لما اجتمعت عيلة هنري للطعام سأل اين فرنسيس (٦) وكأن الشدياق هنا لم يلاحظ ان تقديم السؤال عن الاسم يعطيه اهمية وتأكيدا .

٤. وإذا كان ملك قد تنكر واتخذ له اسما غير اسمه ذكره بالاسم الثاني ووصفه بصفات العامة وذكروا في خلال ذلك انه كان يامر وينهي ويوعد ويتهدد بما لا يمكن لعامي ان يفعله . فيتعجب القارئ جدا ثم يقولون في ختام القصة انه كان ملكا وتنكر^(٦) .
٥. وإذا تصور احدهم معنى من المعاني بنى عليه كتابا مستقلا^(٧) .
٦. ولا فرق عندهم بين ان يقال انا اخرجته او اجعله يخرج او انا احب او اعمل محبة او انا اطلع او اسير فوق^(٨) .
٧. وعندهم علامات كثيرة للنسبة من جعلتها اليا^(٩) كما في العربية فان اسم الماء عندهم "واطر" بكسر الطاء ، فاذا قالوا "واطرى" كان كقولنا ماني . وقر عليه قولهم "ميري" اي تاري "ودستي" اي تراي^(١٠) .
٨. ومن هذه العلامات ما يدل على القلة كقولهم "ويترا" فان "ويت" عندهم بمعنى ابيض . فاذا قالوا ويترا كان معناه يضرب الى البياض^(١١) .
٩. وعندهم مرادف عميق وحلو وغني ومحبوب ومسكين ينعنون بها اي منعوت كان فيقولون صوت حلو وطلعة حلوة وطبع حلو وقلب حلو . وهو كتابية عن المعشوقة . ومكر عميق الخ^(١٢) .
١٠. ومن الغريب انهم يعيرون اللغة العربية بكثرة الاستعارة والمجاز والتشبيه مع ان كلامهم مشحون بهذه الانواع فيقولون وجه مشغول اي انك تعمر من وجهه انه مهم مشغول . حاجب بصير . طلعة آمرة او فكية اي اذا نظرت اليه عرفت انه ذو امر ونحو . وتفكر . قرأت احزانها في طلعتها . . . الخ^(١٣) . وقر على ذلك اللغة الفرنسية فان اساليب جميع الافرنج متقاربة^(١٤) .
- وهذا راي ارتجالي اطلقه الشدياق دون معرفة عميقة شاملة لاساليب لغات الافرنج .
١١. ومن اسلوبهم انهم اذا حكوا عن شخص كلاما وكان ذلك الشخص متصفا بصفات

(٦) (٧) (٨) ص ١١١ (٩) (١٠) ص ١١٢ (١١) ص ١١٢ (١٢) ص ١١٢ (١٣) ص ١١٢ (١٤) ص ١١٢

شئى كان يكون اميرا وشيخا وطيبيا وعادلا نسبوا اليه في كل جملة صفة فيتوهم القارى ان
الثاني غير الاول . مثال ذلك : كان الامير يحب السفر والسيلحة في البلاد . ولكا كان
الشيخ في بلدة كذا كتب رحلته فذكر فيها انه راي كذا كذا لان الطبيب كان مولعا
بالبحث عن الغرائب . وقد عرف هذا الدأب من العادل منذ سنين عديدة ^(١)

١٢ صوغ الكلام على غير وثيرة واحدة فلا يقولون في مدح مدح مثلا انه يعطي
ويمنع يوامر وينهي وينذل ويعز ويحلم ويبطش وانما يقولون . هو يعطي ويمنع وهو آمر وناء
ومنه الاعزاز والاذلال وذو حلم وبطش . ويرون ذلك تفننا في طرق البلاغة ^(٢)

١٣ ويلحق بذلك انهم ياتقون من اعادة لفظة واحدة بعينها ولو بعد سطرين .
فاذا احتاج المؤلف الى اعاتتها لعدم وجود مرادف لها كنى عنها فيكنى عن الشمر مثلا
بام الانوار ويقول النير الاكبر الخ ^(٣)

١٤ ومع ذلك فانهم قلما يستغنون بالمضمر عن الاسم الظاهر وهو عندى من تناقص
الامعال البشرية مثال ذلك : الفيصر امر بتعبئة جينر وارسله الى بلد كذا . القيصر
ورد اليه علم ان اهل ذلك البلد يهيمون بالعصيان لو لم يفعل القيصر هذا لربما نشأ
من عزمهم هذا فتنة فكانت تجي . على غير مراد القيصر لانه يحب للسلم . ولا يتقهرمون
بارتباط الجمل اعتمادا على النقط الفاصلة بينها ^(٤)

١٥ انهم اذا ذكروا مثلا حادثة وكان قد وقع نظيرها استشهدوا بها بعبارة فاسدة
وذلك بان يقولوا : ولا يلزم ان نذكر هنا ما وقع نظير هذه الحادثة في السنة الفلانية
ثم ياخذون في تفصيلها . فيقولون لا يلزم ثم تتصلبهم لها خلف ^(٥)

١٦ انهم قلما يذكرون امرا من دون ان يهدوا له بما يجعله عاما مطرودا فيقولون
مثلا قد كثرت اللصوص في هذه الايام فلم يبق لاحد امن على سلامته ولا على ماله .
ففي الليلة الباهرة دخل اثنان منهم دار رجل من التجار وسرقا منها صندوقا فارغا ^(٦)

١٧. ومن أسلوبهم في الحكايات التي يراد بها بسط النفس وهي كثيرة جدا انهم يخلون ويسقون ويكتبون كل ما عن لهم فان لهذه الحكايات مقدارا معلوما . وفي محفوظي ان كل مؤلف منها لا بد وان يكون في ثلاث مجلدات فمثلهم كمثل كتاب صحف الاخبار^(١) .
١٨. وفي هذا النوع يستعملون المحاكاة وهي ان يحاكي كل انسان بلغته التي نشأ عليها . فاذا حكوا مثلا محاوراة جرت بلغتهم بين انجليزى وفرنساوى اوردوا كلام الفرنسي كما نطق به وكذلك محاوراة بعضهم مع بعض فان لغة عامتهم ليست كلفة خاصتهم وهذا لا يتأتى في العربية ان لا بد من كلام العامة فيها على قواعد النحو^(٢)

وكاني بالشدياق لم يطلع على كتاب البخلاء للجاحظ . او لم يعتمد نفس هذا الاسلوب في "الساق على الساق" حيث اورد الكلام على الحكاية سواء كان عربيا ام اجنيا فصيحاً ام عاميا .

١٩. ومن أسلوب تاليفهم في المواضع والاداب المظلمة وهي كما قال الآمدى تشبهت الكلام بعضه ببعض . وهي ان يدخل لفظة من اجل لفظة تشبهها او تجانسها وان اختلف المعنى بعض الاختلال . وامثلة ذلك كثير في كلامهم^(٣)

٢٠. ومن أسلوبهم بل أسلوب جميع الافرنج عدم مراعاة ارتباط الكلام بعضه ببعض اعتمادا على الفواصل من النقط . فيعسر عندهم ان يقال مثلا الجو مظلم والنهار قصير الليل طويل العمل متعذر النشاط مفقود الحاجة ماسة الفرصة لا تنتظر الانسان . . . فيستحيل تعريب شيء من كلامهم مع البلاغة الا ان يغير عن وضعه كل التعبير ولو طولبوا بمراعاة نسق العطف لكان عندهم بمنزلة مطالبة العرب بالاقتضاب فمن ثم اقول ان لغات الافرنج لم تزل صبيانية لان الصبيان اذا تكلموا لا يراعون منطاسبة العطف فيوردون الكلام غير متناسب كيفما اتفق^(٤)

- ٢١ ومن اساليبهم وهو ايضا عام عند سائر الافرنج عدم مراعاة النظر والمطابقة فيصح عندهم ان يقال قد لين اضطراب قلبه والوجه ان يقول : قد سكن اضطراب قلبه او ان يقال : ارتشف قلبه الكليم ما تأديبه والوجه قلبه الظلمان الخ^(٥)
- ٢٢ ومن اسلوب لغتهم ان يضيفوا الى الافعال حرونا وظرونا تحولها من اصل معناها . مثال ذلك مرادف وضع فانهم يلحقون به مرادف على فيصير معناه لير . واذا الحقوا به مرادف في صار معناه دخل او مرادف خارج صار معناه اطفأ وهكذا غالب الافعال وهذا النوع ليس في اللغة الفرنسية ولا الطليانية . ولهذا قل ان يراعي اهل هاتين اللغتين هذه القاعدة ليقولون وضعت من غير على ويريدون ليست^(٦) .
- ٢٣ ومن اعجب العجب انه ليس في لغة الانجليز ولا في غيرها من لغات الافرنج ولا في اللغة اليونانية ايضا سجع في الكلام ولا تجنر ولا ترصيع ولا غير ذلك من انواع البديع سوى المجاز والتشبيه من ان السجع طبيعي وهو قبل الشعر والتجنيس فيه بمنزلة الحللى للحسناء والالوان للزهر والفرد للسيف والزئبق للمرأة . لا بل يرون التجنيس في اللغة العربية عبثا . وهكذا دأب من يقصر عن شيء فانه يعيبه . فكان الاولى لهم ان يقولوا ان لغتنا لا تطاوع على التجنيس الخ^(٧)
- ٢٤ اما الشعر عندهم فهو بمنزلة الرجز عندنا ان لا يمكنهم ان ينظموا خمسة ابيات من روى واحد الا مع التكليف . حتى ان بحور الشعر عندهم مختصرة جدا وربما اجتزأوا عن الورى بمجرد الوزن وانما هو وزن بالقبان . واعجب العجب انه مع سهولة الشعر عندهم وتجرده من محاسن البديع والقافية كما تقدم فنسية شعرائهم منذ عربوا الشعر الى يومنا هذا الى شعراء العرب العاربة والمستعربة كنسبة واحد الى المائة^(٨) .
- هذا ملخص ما لاحظته الشدياق على اساليب الافرنج في الكتابة والتعبير . نقلناه لك بالحرف تقريبا . وهي كما ترى ملاحظات سطحية يهتم صاحبها بالظاهر ولا يتعمق الى تحليل الفن الادبي .

واكثرها ملاحظات غابر سبيل لم يطلع على اللغات الافرنجية عامة والانجليزية خاصة اطلاقا تاريخيا وفلولوجيا كانيا لان يتقدم الى بحث كهذا . ولذا في معرض تحليلها والا لبينا فيها كثيرا من الارتجال والتسرع والافتئات .

(٢) ملاحظات على طريقة الافرنج في التاليف والوضع . ومنها ما يلي :

١ . ان المؤلف اذا اورد في كلامه مثلا سائرا وضع في اوله وآخره علامة تدل على ذلك (١).

٢ . وكذلك اذا استشهد بكلام غيره فانه يكتبه بحروف مخصوصة تميزه عن كلامه . والمؤلفون في العربية لا يلتزمون هذا التمييز فيلتبس كلامهم بالكلام المستشهد به . وقد يشيرون اليه بلفظة انتهى ولكن غير مطرد (٢).

٣ . واذا اوردوا نداء الافرنج - كلاما يتعجب منه كان يقال مثلا : فوضوا النظر في دعواه الى خصمه وضعوا هذه العلامة : فاغنت عن قولك يا للعجب (٣).

٤ . ان حروف لغاتهم متشابهة وليس فيها نقط الاعلى حرف واحد وهي الياء . ولهذا لا يقع في كلامهم تحريف ولا تصحيف خلافا للغة العربية فان التصحيف فيها لم يحلم منه احد من الرواة والمؤلفين (٤).

وفي هذه المقدمة برد الشدياق دعوى من يدعون ان الانجليزية اصعب من الفرنسية ويقدم لذلك براهين كثيرة اهمها .

١ . ان اللغة الانجليزية تشتمل على ضمير يستعمل لما لا يعقل فيستوى فيه المذكر والمؤنث من الاسماء . وفي الفرنسية لا يد من التذكير والتأنيث . ولا علامة للتأنيث يتميز بها عن التذكير الا في الفاظ معينة . وكذلك النعوت فهي في لغة الانجليزية يستوى فيها المذكر والمؤنث والجمع . نقول هذا رجل طيب وهذه امرأة طيب وهو لا رجال ونساء طيب وليس كذلك في الفرنسية (٥).

٢٠٢ ان تقديم الصفة على الموصوف مطرد في الانجليزية وليس كذلك في الفرنسية^(١)

٢٠٣ ان اداة التعريف في الانجليزية واحدة فيدخلونها على المفرد والجمع مذكرا ومؤنثا على حد سواء . وفي الفرنسية ثلاث ادوات . منها للمفرد المذكر ومنها للمفردة المؤنثة ومنها للجمع مذكرا ومؤنثا . وادخالها على المؤنث مشكل . فقد تقدم انه ليس فيها علامة للتأنيث الا في الفاظ معلومة وانما يدركها من يعرف اللغة الطليانية . لان اكثر افاظ الفرنسية منها لكها محرفة^(٢) .

٢٠٤ ان الضمير المنظوب في الانجليزية يوضع بعد عامله كما في العربية . وفي الفرنسية يوضع قبله وذلك يؤدي الى التباس المذكر بالمؤنث^(٣) .

٢٠٥ ان علامة الجمع في الانجليزية حرف السين الا في الفاظ معلومة . وهي كذلك في الفرنسية الا ان الفرنسيين لا ينطقون بها حتى انهم يحذفونها اذا وقعت في وسط الكلمة ولو قدروا لحذفوها من اولها^(٤) .

هذا اهم ما جاء في هذه المقدمة وقد عرضناه ببعض التفصيل لانه يدل على ملاحظة شاملة وعلى اهتمام بالابحاث اللغوية . وهذا لا يعني . كما قدسنا . انه خلو من احكام ارتجالية وتعميمات خالية من كل دقة وعمق . والآن نتقدم الى الكتاب ونعرض اهم ما جاء فيه مع ابداء رأينا فيه وملاحظاتنا عليه .

هذا الكتاب عبارة عن تطبيق استعمال للقواعد التي اثبتها المؤلف في " الباكورة

الشهية " . قدم المؤلف فيه امثلة تبين استعمال ادوات التعريف والاضافة واسم الجمع والنوع والاسماء ومراتب افعال التفضيل وفعل التلميح (Verb to Have) وفعل الكون

(Verb to Be) والافعال الناقصة وفعل الحال Present Tense والفعل الماضي غير التام والماضي

التام الى آخر ما هنالك من مواضيع بحثت في " الباكورة الشهية " . ثم جاء بست عشرة

محاور في مواضيع مختلفة كاتواع التحية والسلام عند اللقاء وفي الرقاد والقيام وفي الفطور

وفي البيع والشراء وفي الغذاء وفي الطقس والفصول وفي صور الخطاب في الرسائل وغير

ذلك . وينتهي المؤلف الكتاب بقاموس يشتمل على معاني المفردات الواردة في الامثلة

والمحاورات المتقدمة .

وأول ما يلفت نظر مطالع هذا الكتاب هو كثرة الأخطاء التي تسود كل صفحة من صفحاته تقريبا . وأكثر هذه الأخطاء نابع عن عدم التعمق في دراسة اللغة وإساليبها في الكتابة والتعبير . فإخطاء الترجمة كثيرة . وأكثرها عائد إلى جهل المؤلف مصطلحات اللغة وطرق استعمالها . ولئن أردنا التمثيل على ذلك قدمنا الكتاب بمعظم ما فيه . ولكن لا بد للاحاطة واتمام الفائدة المتوخاة من الكتاب من التمثيل على ما ذهبنا إليه . فمن أخطائه في الاستعمال ترجمته :

Do you observe all the commandments of the Lord.

بقوله : حافظ على جميع وصايا الرب^(١) فالجملة الانجليزية في صيغة الاستفهام والترجمة العربية في صيغة الامر . وترجمته .

Wait for your friend

بقوله : اصبر على صاحبك^(٢) ! والترجمة الصحيحة لها هي : انتظر صا-بك .

وترجمته :

Can they have thought seriously about the matter

بقوله : الممكن لهم ان يستعظموا هذه المادة . مع ان الترجمة القريبة من الصواب هي : الممكنهم ان يفكروا جديا في المسألة^(٣) .

وترجمته^(٤) If you have no objections let us first call at the cloth merchant

بقوله : لذا لم يكن لك مانع تعال نذهب أولا إلى دكان بيع الجوارب^(٥) shop .

والوجه ان يقول : اذا لم يكن لديك مانع ما دعنا نذهب إلى دكان بائع القماش أولا .

هذه الترجمات وسواها قد تكون صحيحة اذا نظرنا إلى المعنى الاجمالي البعيد لبعضها . ولكن هذا كتاب ابتدائي للتعليم . على المؤلف في كتاب كهذا . ان يعطي المعنى الدقيق للجملة او الكلمة . لان الاتيان بالمعنى البعيد قد يؤدي إلى بلبلة الطالب . والشئ عليه باعطائه المعاني البعيدة في مرحلة ابتدائية من دراسته .

اما عبارة المؤلف في الكتاب . فقد كانت تتارجح بين الفصحى التي تصل الى حد الصعوبة احيانا . وبين العامية المبترلة . ومن قبيل الاول ترجمته .

"الربيع الازرق" The blue sky^(١)

انا ابغض موالسته اى رياء I hate his duplicity^(٢)

افلا يؤدبونك اصلا Do they never invite you^(٣)

مرآة او عناس Looking glass^(٤)

وغير ذلك من الترجمات الصعبة . وقد كنا نخشع ذلك للشدياق لو لا انه كان يسف احيانا قياتي بالعامي كقوله :

عنون مكاتيبك لتحت يد القنصل Address your letters to the care of the consul^(٥)

ما لي وقت I have no time^(٦)

Will you have the kindness to send the cloth to my house by your boy.^(٧)

اتفضل علي بان ترسل الجوخ الى منزلي على يد غلامك .

لي البركة بزوبنتك I am much obliged^(٨) for your custom وكثيرا ما كان يلتزم الترجمة الحرفية كقوله : (٩)

شركة من عسكر ارسلت من طرف الحاكم A company of soldiers was sent by the governor.^(١٠)

بقبضه على الظل ما ملك جرما Grasping at shadows he lost the substance .^(١١)

التوقف على ملاحظتهم هذه القوانين كثير Much depends on their observing these rules^(١٢)

بوعدنا كثيرا وعملنا قليلا نعود محقورين By promising much and performing but little we become despicable.^(١٣)

وامثلة هذه كثيرة في هذا الكتاب .

وامام التزامه للترجمة الحرفية في بعض المواضع نراء كثيرا ما يميل عنها الى

التصرف الذي يذهب بالمعنى الاصلي كما يظهر في ترجمته لهذه العبارة .

He discovered what means were used by his adversaries to counter act his schemes.^(١٤)

اطلع على الوسائل التي استعملها لخصاؤه ليخبيوا قصده .

(١) ص ١٢٧ (٢) ص ١٥٩ (٣) ص ١٦٠ (٤) ص ٢٩٠ (٥) ص ١٧٤ (٦) ص ٢٠٤ (٧) ص ٢٢١ (٨) ص ٢٢٤
(٩) مع انه كان يحتملها ويقول : " انه لادعاه اكثر منه ان يترجم من لغة الى اخرى بعينه الالفاظ والتركيب
اذ لا يصور في البال ان لغة تطابق اخرى في التعبير " كشف الخفا ص ١٢٤ (١٠) ص ١٧٦ (١١) ص ١٩٠
(١٢) ص ١٩٠ (١٣) ص ١٩١ (١٤) ص ١٢٦

ويظهر ذلك ايضاً في الحوار التالي :

• Have the kindness to present my regards to your family .

• I shall do so with pleasure.

— من فضلك سلم على عيلتك

— وصل . سلمك الله (والترجمة القريبة هي : سافعل ذلك بكل سرور)^(١)

هذا التفاوت في الترجمة بين الحرفية التي تصل الى درجة الخطأ أحياناً ،

والتصرف الذي يبعده عن المعنى الحقيقي يجعلنا ننتقد الشدياق ونلومه . وكنا لا

نلومه لو انه كان يترجم رواية او كتاباً . ولكنه هنا يؤولف في قواعد اللغة وطرق استعمالها

فحق عليه اذن ان يقترب من الحقيقة ما أمكنه ذلك . لان كل تصرف بعيد او حرفية

خاطئة . قد يبعد ان التلميذ عن الاستعمال الصحيح . كما يبعد ان المؤلف عن فرض

الكتاب . على اننا نؤكد ونقول ثانية ان الشدياق كان الرائد في هذا الباب . مما يجعلنا

نعتفر له اكثر اخطائه . وقد نضيف لهذا السبب سبباً آخر وهو ان الشدياق بدأ

التأليف في الانجليزية قبل ان تيسر له قيادها وقبل ان يتمكن منها تمكناً يستطيع معه

ان يامن شر الزلل وخطر العثار اذا الف فيها .

سند الراوى في الصرف الفرنسي .

وهو كتيب يقع في ١٢٨ صفحة ، ألفه الشدياق بالاشتراك مع غوستاف دوجا

Gustave Dugat وطبعه في نيسان سنة ١٨٥٣^(٢) وقد قسمه الى خمسة فصول . وقسم كل فصل

الى ابواب . وهذه الفصول هي :

الفصل الاول : فيما يخص الحروف الهجائية واللفظ والقراءة والفواصل وهوى الحساب

وفيه خمسة ابواب .

الفصل الثاني : في تقسيم الكلام وفيه عشرة ابواب .

الفصل الثالث : في اعراب امثلة في الابواب الاولى من الفصل الثاني .

(١) ص ١١١ (٢) يقول بركلمان في "تاريخ الادب العربي" الجزء الثاني ص ٥٠٥ انه طبع في سنة

١٨٥٦ ولكنه الطبعة التي رأيناها عند الاستاذين بك صورة سنة ١٨٥٤

الفصل الرابع : في اصطلاحات خاصة باللغة الفرنسية الفصل الخامس : محاوره

وحبذا لو كانت معرفتنا بالفرنسية تتيح لنا دراسة هذا الكتاب وعرضه كما عرضنا سابقه . ونأمل ان نتكهن من ذلك في المستقبل القريب . ولذا نكتفي بالقول بان هذا الكتاب لا بد وان يحتوى على بعض اخطاء ترجع في اكثرها الى عدم تمكن المؤلف من اللغة . ونبني حكمنا الاحتمالي هذا على ما العينا في الكتابين السابقين .

المنجمات :

(١) شرح طبائع الحيوان -

نقل الشدياق هذا الكتاب عن الانجليزية واسمه في الاصل

NATURAL HISTORY FOR THE USE OF SCHOOLS BY W.F. MAIFR.^(١)

ولم نعثر لي الاصل الانجليزي حتى نقارنه بالترجمة التي بين يدينا ، فنتمكن آنذاك من اعطاء حكم قريب من الصواب على اسلوبه في الترجمة . ولذا سنكتفي بعرض اسلوبه في الكتاب . دون الالتفات الى الاصل .

بين يدينا الجزء الاول من الكتاب . ولا ندرى اطبع الجزء الثاني ام لا . فالمصادر التي رجعنا اليها تشير الى الجزء الاول فقط دون الاشارة الى الثاني . مع ان المترجم يقول في مقدمة هذا الجزء :

" وقد قسمنا الى جزئين الاول في ذوات الاربع والطير خاصة وهو هذا والثاني في الاسماك والهنوم والحشرات نشرع في طبعه ان شاء الله تعالى بعد الوقوف على صحة اسمائها ."^(٢)

والمترجم لم يكتف بالنصر الانجليزي بل اضاف عليه نبذا من كتاب الحيوان للامير انعاما للفائدة . وفي ذلك يقول :

(١) بركلمان - ملحقه ٢ - في الادب بالعربي ٨٠ ص ٨٦٨ (٢) ص ٢

" وقد ارفقنا الى عجالتنا هذه التي قصدنا تعجيل طبعها وزيادة فائدتها ونفعها كراسة جمعناها من كتاب حياة الحيوان الكبرى للامام العلامة الشيخ محمد الدميري تشتمل على اسماء كثير من الحيوان . فلعل في مقابلة ما فيها بما هو منقول هنا ومحور حصول الغرام للطالب المستفيد — . . ومتى رأيتك في بعض الوصف حرف ز وكلمة الى فاعلم ان تلك زيادة على الاصل استعنا بها من كتاب الحيوان المذكور^(١) .

وقد عمل الشدياق في هذا الكتاب تظهر في انه شق طريقا صعبا شائكا في الترجمة العلمية من الانجليزية الى العربية . وقد اضطر لذلك ان يضع بعض الاسماء لبعض المسميات كما انه اضطر لان يعرب البعض الاخر . ولا بأس من ان تقدم امثلة من هذين النوعين تسهل علينا تقديم مجهود المترجم وتقديرنا قريبا من الصواب فمن الكلمات الموضوعة :

Aocepteres	٠١ كواسر (ص ٢) ^(٢)
Avocet	٠٢ نكات (ص ٢٢)

وعنه يقول الفريق امين معلوف في كتابه معجم الحيوان :

" واظن ان احمد فارس سماء النكات لانه ينكت الرمل بمنقاره في البحث عن الديدان ولا يخفى اني اخذت كثيرا من احمد فارس او عن الدكتور بومست وهو اخذ عن احمد فارس . وانه يصعب كثيرا معرفة الالفاظ العلمية التي ارادها اولهما لانه لم يذكرها . اما الدكتور بومست وكان معاصرا له فقد ذكرها . ولعله اخذها عن الكتاب الذي ترجمه احمد فارس ولولا ذلك لتعذر علي معرفة الاسماء العلمية^(٣) .

Babiroussa	٠٣ خنزير الهند (ص ٢٣)
Bitern	٠٤ العجاج (ص ٣٦)
Black Cap	٠٥ ابو ظفوسية (ص ٣٦)
Trumpeter Bullfinch	٠٦ الدغنائير (ص ٤٢)
Cassowary	٠٧ شبنم (ص ٥٢)

(١) المققدمة ص ٤٧ (٢) الرقم بيه الدوايس هو رقم الصفحة التي وردت فيها الكلمة في معجم الحيوان
للخزبيه اميه المعلوف الذي اعتمدنا عليه في معرفة الاسماء التي وضعها ادعبرها الشدياق (٣) معجم
الحيوان ص ٤٤

C. Prugilegus	٠٨ فذاف (مر ٧٤)
Crosskill	٠٩ المصلب (مر ٧٦)
Ferret	٠١٠ خطاف الفئك (مر ١٠٧)
Fly Catcher	٠١١ خطاف الذباب (مر ١٠٩)
Nut Hatcher	٠١٢ خازن الجلوز (مر ١٧٢)
Orang-Utar	٠١٣ الانسان الوحشي (مر ١٧٥)
Rail	٠١٤ رتفلق (مر ٢٠١)
Sloth	٠١٥ كسلان (مر ٢٣١)
Wall Creeper	٠١٦ راب (مر ٢٦١)
Kalrus	٠١٧ فظ (مر ٢٦١)
Glutton	٠١٨ شره (مر ٢٦٥)

ومن الكلمات المعربة :

Bison	٠١ بيسون (مر ٣٥)
Coati	٠٢ قوطي (مر ٦٩)
Kangaroo	٠٣ قنقر (مر ١٣٨)
Marmot	٠٤ مرموط (مر ١٥٨)
Mouflon	٠٥ مفلون (مر ١٦٢)
Racon	٠٦ راكون (مر ١٩٤)

ولا يخلو كتاب كهذا مترجم عن الانجليزية في اول عهد الترجمة من ابهام في العبارة ناتج في الاكثر عن عدم التعق في فهم النص الانجليزي فها طميا كقوله :

" ومن ذلك يعلم علما كافيا ان رتبة ذوات الاربع قريبة منا انفسنا . وان المشابهة بين بنيتها وبنيتنا ولا سيما نوع القردة منها وغريزتها التي تظهر لمن بعض اصنافها القرب من مرتبة العاقل وملكها القيام بخدمة الضرورية مع ما لها من القوة على ضررنا كل ذلك يجعلها بالاجماع الغاية الاولى لتعجبنا وعبرتنا^(٤) . وقوله في موضع آخر .
 " والظاهر ان الهواء والعلف يوثران في البقراكثر من جميع ذوات الاربع فانواعها المختلفة في برتانيا على صفرها انما مشاوه جودة الارض وريادتها^(٥) .

والترجمة الحرفية والخروج عن الساليب اللغة لا يستغرب وجودها في كتاب كهذا ترجم في حين خلو المكتبة العربية من امثاله التي يرجع اليها في تقرير الاسلوب ومعرفة المصطلحات . ومن امثلة ذلك قوله :

" وقد كان رؤى واحد من افراد في انجلترا^(٦) .

وقوله :

فاما خفتها فانها تنادر القانصين ورا^(٧)

وقوله :

" لانه يحاكي الحصان في عدة اسنانه وطول راسه وفي ان له معدة واحدة .
 والبقر في ان له ظلفا مشقوقا وتركيب احشا واحدا وذوات المخالب في انه يحب اكل اللحم ويلد كثيرا^(٨) .

وتقرن الترجمة الحرفية في بعض الاحيان بالركاكة ومن ذلك قوله :

" وكل من هذه الانواع مباين للآخر . ولكنه لا يمنع ذلك من ان يحكم عليها اجمالا بان اصلها واحد^(٩) .

وقوله :

" وخفته غاية ما يكون^(١٠) .

(١) ص ١٨٧ (مترج طماث الحيوان) (٢) ص ١٧٢ منه (٣) ص ٢٥ (٤) ص ١٨٤ (٥) ص ١٨٦

(٦) ص ١٤٥ (٧) ص ١٤٦

وقوله :

" وقل ان يرى هذا العدد في اوربا كلها في فرد زمن ^(١) .

وقوله :

" واخبر ما يشغل من الصوف في بلاد الانجليز من صنف العمال انما يكون منه ^(٢) ما .

وقوله :

" ونرط قصر جبا حيه لا يمكننا من الطيران ^(٣) .

ومقابل هذه العبارات الركيكة التي تقرب من لغة الشعب احيانا ما نراء يزع ببعض كلمات يصعب فهمها على اللغويين بله التلميذ المبتدى الذي وضع له الكتاب .
وامثلة هذه منتورة في عرض الكتاب ومنها :

ويتأزأ فرقا	مر ١٠
يجعل له ريشا لينبه سره عند حلول الخطر	مر ١١
ومن طبعه التأجل اى انه يسير مع اسراب	مر ١٧
يدخل رأس لسانه الحاد في رواهشهم	مر ٢٣
غشمرته	مر ١١٦
الاكارين	مر ١٢٢
التوقل	مر ١٥١
معجزة	مر ١٦٨
واثنان منه يشرطان تورا	مر ٢١٢
ذو بطر وصبيان	مر ٢٣٩
وقدبرين منه رامج ليغوى غيره	مر ٢٦٨
طمعا في التقاط ما يسقط من انايبرها	مر ٢٧١
التي لا يدمق عليه فيها دامق	مر ٢٨٢

وقد تعذر للشدياق هنا بانه كان يضطر لان يتارجع بين البساطة والبصوبة في
في تعبيره . لانه كان رائدا بطور اساليب البيان العربي لتسع الترجمة عن اللغات
الاجنبية .

ولا ينسى الشدياق الادب في كتاب كهذا كله علم . فنراه يوشيه لقائد بعضها مترجم وبعضها مقتبس وبعضها منه . من ذلك قوله في آخر الكتاب من قصيدة له " تشمل صفات ما ذكر منه وما لم يذكر وتعرب غير تدبير الخالق جل وهز لمخلوقاته الجليلة والحفيرة يعتبر بها اللبيب ويرتاح لها الاديب " (١).

هي البسيطة قد ضاقت عن النسب	مشحونة بوجود صيغ من عدم
من ظهمل لا يكاد الحس يدركه	وهيكل وكلا الضدين في نظم
ما من مكان ترى الا وقد ملئت	جهاته الست من خلق ذوى نسب
من كبحار اجام متنن ركس	من الحشائر حديد اللحظ عنه عي

• • •

الى ان يقول :

هل من فتى مدرك ما عينه نظرت	من كل شيء بسط الكون منتظم
وراز احمدها حالا وعاقبه	وماذا انغمها خطأ لمغنى
حتى يقول على الرحمن مفتريا	هذا خيى وهذا غير ذى عظم
سبحان من خلق الاشياء متقنة	صنعا فتعبد به بالوحي والكلم
ما ان ترى عوجا فيها ولا خللا	وان منها لذا حمد بغير نسب
ان اللبيب له من خلقها عبر	والجاهلين عن التذكير في صمم
فخير ما قدم الانسان من عمل	ان بحمد الله في بد * ومختتم (ع)

وبعد ، فهذا هو كتاب " شرح طبائع الحيوان " عرضناه عرضا سريعا . واننا نكرر اعتذارنا لضعف أسلوبه ، وانحطاطه عن مستوى أسلوب الشدياق العام .

ترجمة التوراة

عرف الشرق الأدنى من ترجمات التوراة الترجمة العربية التي نقلت عن النسخة اللاتينية المقبولة في الكنيسة الكاثوليكية فطبع في مجمع انتشار الايمان في ثلاثة مجلدات بالقطع الكامل في سنة ١٦٧١ .

ثم جاء البروتستنتيان "لي" و "ماك بريد" ونزعا من الترجمة الكاثوليكية المقدمة والاسفار القانونية الثانية والنمر اللاتيني وطبعها على نفقة شركة التوراة في لندن سنة ١٨٢٢ . ثم تابعت الترجمات والطبعات وكلها تعتمد في اهم عملها على الترجمة المطبوعة في رومة فهي اذن ام جميع النسخ المطبوعة في الشرق المبثوثة في مدنه . من ذلك النسخة الذمكية الموصلية (١٨٧٥) والنسخة اليسوعية البيروتية (١٨٢٦) والنسخة البروتستانتية البيروتية ^(١) .

اما ترجمة لارن الشدياق والتي نعني بها الان ، فقد اشتغل عليها قبل اسلامه مع الاستاذ لي ، المستشرق الانجليزي ، لتعمل عليها جمعية نشر الكيسة في التبشير . ولكنها عولا على الترجمة الانكليزية المعروفة بنسخة الملك جيمس وفيها اغلاط تسربت الى الترجمة العربية . على ان هذه الترجمة لم تنشر مع انها طبعت سنة ١٨٥٧ في لندن ^(٢) .

ولا نستطيع ان نحدد بالضبط عمل الشدياق في هذه الترجمة . فالمصادر التي بين ايدينا لا توضح ذلك فبعضها يقول انه اشتغل في لندرا في تعريب ترجمة التوراة ^(٣) وبعضها يقول :

" وفي سنة ١٨٤٨ سافر الى لندرة بايعاز وزير خاجية انجلترا احابة لدعوة جمعية ترجمة الاسفار المقدسة فاعانها في ترجمة هذه الاسفار الى العربية تحت اشراف الدكتور لي . واعجب الدكتور بعمله ونزارة مادته وشدة تدقيقه ^(٤) . وجاء في الجامع المفضل :

" وفي سنة ١٨٤٨ طلبته جمعية ترجمة الاسفار المقدسة بلندرا من حاكم مالطة ليعاونها في ترجمة الاسفار الى العربية معاونها بتعريب هذه الترجمة وتنقيحها وضبطها فكانت احسن الترجمات من حيث اللغة العربية ^(٥) .

من هذه الاخبار . وما جاء في كتب الشدياق كالساق وكشف المخبا . لا نستطيع ان نعبر بالضبط مدى مساهمته في ترجمة التوراة . ولكن لا شك في انه تعاون مع الدكتور لي

(١) اخذنا هذه المعلومات من مقال الادب الششاس الكرمني نشره في مجلة "اللمة العرب" مجلد ٨ ص ٦٦٧ (٤) كارتة آداب اللغة لزيديان ٤ ص ٢٢٧ (٥) الآداب العربية في القرن التاسع عشر لشيخو ٤ ص ٨٠ (٦) فارس الشدياق لمعه ص ١٨ (٥) الجامع المفضل ص ٥٢٤

في اخراجها في حلتها العربية فاتماها في اقل من عشرين شهرا^(١) . ولم يكن الفارابي حرا في التصرف بترجمته . بل كان الدكتور لي يقبده ، ببعض القيود نجاة الترجمة ركيكة في بعض المواضع . ولنترك للفارابي الدفاع عن نفسه . قال :

" قد جرى لي معه وقت الترجمة عدة مناقشات ومجادلات لا بأس بايرادها هنا وان طال بها الكلام ، فانها عنوان على معرفة النظم لغة الشرقيين وخصوصا العربية . منها انه كان يحاول استعمال كلمة هوذا في كل موضع يجدها في الاصل اعني العبراني فانه لا يمتنع فيها ان يقال مثلا لان هوذا او وهو هوذا وكان هوذا رجل . وكان يظن ان اذا في قولنا : خرجت واذا زيد بالباب لا تتغني مغناء هوذا . ومن ذلك انه كان ينكر قولنا مثلا احد الرؤساء بدل رئيسه ، ومن ذلك انه كان يريد المحافظة على الاصل بالاتيان بقائلا بعد قال فانه يقال فيه قال قائل مع ان هذا التركيب في لغة الانكليز فكر . ولذلك كنا نجد في توراتهم وتكم قائل لا قال قائل . وفي مثل قولنا ضرب لهم مثلا كان يبذل ضرب يقال لكنه كان يترجم في عقله لفظ ضرب الى لغته فلا يجد له معنى سوى اتصال الالم . وكان يبذل علم اعتقادهم براء اعتقادهم ويزعم انها ابلغ في المعنى وان الاعتقاد ليس بمرادف للايمان فانه انما ينظر الى اصل اشتقاقه و هو العقد وهو غير مفيد معنى الايمان وكان يبذل ماء البحر ببناء البحر وهذا لا محذور عنه . الا ان تبديله هوس . وجزم بان قولك في السؤال ما يكون لنا ابلغ من ما عسى ان يكون لنا . وان من ثم التي يوثق بها للسببية غير كثرة الاستعمال ولا تسد مسد ولهذا وكان يزعم ان لفظة المعجزات ليست من كلام النصارى حتى وجدناها في نسخة رومية . ومن اشد وساوسه تجنبه للسجع والتركييب القصص غاية ما امكن حتى انه زعم ان ما في الترجمة من قوله : خرجتم الى بعضي كصين سجع ، وحاول تغييرها فلم يقدر فتركها وهو آسف . وكذا وهمه في : نلت خبراتك في حياتك وفي : وكان هناك قطع من الخنازير كبير ، فكان يقول هو من السجع الذي ينبغي مجانبته في كلام الله تعالى . وكان كلما رأى جملة ، تنتهي بالواو والنون او بالياء والنون يقول انها مشاهدة لكلام القرآن ، فيبدلها حتى انه رأى هذه الجملة وهي :

وانتم على ذلك شهود ، فقال ان هذا الوقف يشبه وقف القرآن فمن ثم بدلها بقوله :
وانتم شهود على هذا . ووجد عبارة اخرى وهي وما اولئك بعابرين من هناك اليها فقال
هذا التركيب نصيح ، فبدل عابرين بيمضون . ولم اتعجب من تغييره وانما تعجبت من
انه شعر بحسن هذا التركيب . وزعم ان قولك مثلا : وكان رجل اسمه فلان اخضر من
قولك ويسمى . وكلما راي في الاصل عبارة كثيرة الالفاظ لا داعي له قال ان ذلك للتقوية .
واذا راي فيه اجحافا ولو مع اخلال المعنى قال ان فيه حذفا للبلاغة . . . الخ .

ترجماته الصحفية

اشرنا في استعراضنا لكثير الرغائب ان الشدياق كان ينقل اخباره عن الصحف
الاجنبية ، وقد اشار في جوائبه الى بعض تلك الصحف . وقد قدّمنا رايها .

كتب الشدياق

- ٠١ الباكورة الشهية في نحو اللغة الانكليزية ، والمحاورة الانسية في اللغتين الانكليزية والعربية - (الطبعة الثانية) - القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ
- ٠٢ الجاسور على القاموس - القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ
- ٠٣ الساق على الساق فيما هو الفاريانق - القاهرة (بنفقة مكتبة العرب لصاحبها الشيخ يوسف توما البستاني) ١٩١٩ م
- ٠٤ سر اللبال في القلب والابدال - القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٨٤ هـ
- ٠٥ سند الراوى في الصرف الفرنساوى (بالاشتراك مع جوستاف دوجا) باريس ١٨٥٣
- ٠٦ شرح طبائع الحيوان - مالطة ١٨٤١
- ٠٧ غنية الطالب ومنية الراغب في الصرف والنحو وحروف المعاني - (الطبعة الثانية) - القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٣٠٦ هـ
- ٠٨ فلسفة التربية والادب - الاسكندرية (بنفقة علي خطاب) ١٩٢٤ م
- ٠٩ كشف المخبا عن فنون اوروبا والواسطة في معرفة احوال مالطة (الطبعة الثانية) القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ
- ١٠ - كثر الرقائب في منتخبات الجوائب (سبعة اجزاء) القسطنطينية (مطبعة الجوائب)
 - الجزء الاول سنة ١٢٨٨ هـ
 - الجزء الثاني * ١٢٨٩ هـ
 - الجزء الثالث * ١٢٩٢ هـ
 - الجزء الرابع * ١٢٩٥ هـ
 - الجزء الخامس * ١٢٩٤ هـ
 - الجزء السادس * ١٢٩٥ هـ
 - الجزء السابع * ١٢٩٨ هـ
- ١١ اللبيب في كل معنى ظريف - (الطبعة الثانية) القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩٩ هـ
- ١٢ مقدمة ديوان احمد فارس - القسطنطينية (مطبعة الجوائب)

المراجع

١. أصلب، يوسف : " هو الباقي " القاهرة (مطبعة جريدة القاهرة الحرة) ١٢٠٥ هـ
٢. الابيارى، عبد الهادى نجا : " التقريظات الصواب التي على الرسالة المسماة بالنجم الثاقب " ثم تبيضها سنة ١٢٧١ هـ (على يد المؤلف)
٣. الاحدب، الشيخ ابراهيم : " رد السهم عن التصويب وابعاده عن مرمى الصواب بالتقريب " - القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩١ هـ
٤. النهم والدكتور اسماعيل : مقالات عن خليل مطران في مجلة المفتطف مجلد ١٦ سنة ١٩٤٠
٥. اديب باشا، اوغست : " لبنان بعد الحرب " تعريب الشيخ فؤاد حبيش - القاهرة (مطبعة المعارف) ١٩١١ م
٦. اديب، منيلدا : مخطوط في مكتبة الجامعة الاميركية ببيروت عن " فرح انطون "
٧. الاسكندري، احمد، ومصطفى عناني : " الوسيط في الادب العربي " - مصر (مطبعة المعارف) ١٩٢٢ م
٨. الاسير، الشيخ يوسف : " رد الشهم للسهم " - القسطنطينية (مطبعة الجوائب) ١٢٩١ هـ
٩. انطونيوس، جورج : " بقظة العرب " تعريب على حيدر الركابي - دمشق (مطبعة / الترقى) ١٩٤٦ م
١٠. اوالد Ewald : " مجلة الجمعية الآسيوية الألمانية " Z.D.M.G المجلد الخامس - لينج ١٨٥١ م (باللاتينية)
١١. بادجر، جورج : " الذخيرة العلمية في اللغتين الانكليزية والعربية " (مطبعة اوستن) هارفر - انكلترا ١٨٨١ م
١٢. البدوى، الطنم : " الناطقون بالضاد في امريكا " نشرة بالانكليزية لمعهد الشؤون العربية الاميركية في نيويورك عام ١٩٤٦ .
- ترجمها وعلق عليها البدوى الطنم - القدس (المطبعة التجارية) ١٩٤٦ م
١٣. بربر، نيقل : مقالات عن " تطور الفن المسرحي في العرب " مجلة المستمع العربي السنة الاولى .
١٤. برد، اسحق BIBLE WORK IN BIBLE LANDS PHILADELPHIA 1872

(2) GESCHICHTE DER ARABISCHEN LITTERATUR

VOLL 2 BERLIN 1902 & SUPPLEMENT

VOLL 2. LEIDEN (BRILL) 1928

- ١٦ البستاني و بطرس : " ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث " بيروت (مطبعة
صادر ربحاني) ١٩٤٤ .
- ١٧ البستاني فؤاد افهام : " الروائع " عدد ٢١ و ٢٢ - بيروت (المطبعة الكاثوليكية)
١٩٢٩ .
- ١٨ البستاني : دائرة المعارف مجلد ١٠ بيروت ١٨٩٨
- ١٩ بيرس و هنري : مجلة المكشوف اعداد ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٦ . سنة ١٩٤١
- ٢٠ جوان و ادوارد : مصر في القرن التاسع عشر " تعريب محمد مسعود - القاهرة
١٩٢١
- ٢١ حسين و طه : " في الادب الجاهلي " مصر (مطبعة الاعتماد) ١٩٢٧ .
- ٢٢ حوراني و فضل : مقالات من " الجامعة الاميركية في بيروت " مجلة " المستمع العربي "
السنة الثالثة ١٩٤٢
- ٢٣ الدبر و يوسف : " الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل " بيروت (المطبعة
الكاثوليكية) ١٩٠٥ م
- ٢٤ ديب و ديع : " الشعر العربي في المهاجر الاميركية " مخطوطة في مكتبة الجامعة الاميركية
سنة ١٩٤٥
- ٢٥ رضا و محمد رشيد : " تاريخ الاستاذ الامام " (حزيران) القاهرة (مطبعة المنار
الاول ١٣٥٠ هـ والثاني ١٣٤٤
- ٢٦ زخريا و الياس : مقال في مجلة الجمهور عدد ٧٣ بعنوان " الشدياق يبحث حيا "
١٩٣٧
- ٢٧ الزركلي و خير الدين : الاعلام (الجزء الاول) القاهرة (المطبعة العربية) ١٩٢٧
- ٢٨ الزهاوي و جميل صدقي : " رباعيات الزهاوي " بيروت (مطبعة القاموس) سنة ١٩٢٤
- ٢٩ زيدان و جرجي (١) تاريخ آداب اللغة العربية " (الجزء الرابع) القاهرة (مطبعة
الهلال) ١٩١٤ م .
- (٢) تراجم مشاهير الشرق (جزوان) الطبعة الثالثة (مطبعة الهلال)
١٩٢٢
- ٣٠ سركيس و يوسف اليان : (١) " معجم المطبوعات العربية والمعربة " القاهرة (مطبعة سركيس)
١٩٢٨

- (٢) مقال " الجمعية الشرقية في بيروت " المشرق مجلد ١٢ سنة ١٩٠٦
- ٣١ السيوطي و جلال الدين : " الزهر في علم اللغة وانواعها " الجزء الاول (الطبعة الثانية) القاهرة - مطبعة عيسى البابي الحلبي
- ٣٢ الشايب و احمد : " الاسلوب " (الطبعة الثانية) القاهرة (مطبعة الاعتماد) ١٩٤٥
- ٣٣ شهلي و القس طانيوس : رسالتان للشدياق نشرهما في مجلة رسالة السلام مجلد ٦
- ٣٤ شبلي و ميشال : " المهاجرة اللبنانية " - بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٢٧
- ٣٥ الشدياق و طنوس : " اخبار الاعيان في جبل لبنان " طبع بعناية المعلم بطرس البستاني بيروت ١٨٥١
- ٣٦ الشرتوني و سعيد : " السهم الصائب في تخطئة غنية الطالب " بيروت ١٨٧٤
- ٣٧ شيخو و الاب لويس : (١) " الادب العربية في القرن التاسع عشر " بيروت - (مطبعة الآباء اليسوعيين) ١٩٠٨
- (٢) تاريخ الادب العربية في الربع الاول من القرن العشرين " بيروت (مطبعة الآباء اليسوعيين) ١٩٢٦
- (٣) " الالفاظ المنحوتة في العربية " مقال في المشرق (مجلد ١) ١٨٩٨
- (٤) حفلة بوبيل مار يوسف بيروت (المطبعة الكاثوليكية) ١٩٢٥
- ٣٨ ضيف و احمد : " الادب المصري في القرن التاسع عشر " مقال في المقطف مجلد ٦٨
- ٣٩ طرازي و الكونت فيلب : " تاريخ الصحافة العربية " (المجلد الاول) بيروت (المطبعة الادبية) ١٩١٣
- ٤٠ طلبات و زكي : " كيف دخل التمثيل بلاد الشرق " مجلة الكتاب (المجلد الاول) ١٩٤٦
- ٤١ عبود و طارون : (١) عدد المكشوف الخامس (١٧٠) سنة ١٩٣٨
- (٢) " مجلة الجمهور " عدد ١٠٢ و ١٩٣٨
- ٤٢ عرابي (ورثته) : " كشف الستار عن سحر الاسرار " نشوه في مصر ورثة المؤلف .
- ٤٣ العقاد و عباس : " عبقرية محمد " القاهرة (مطبعة الاستقامة) ١٩٤٢
- ٤٤ فارس و احمد بن : " الصاحبين في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها " القاهرة (مطبعة المويد) ١٩١٠ م
- ٤٥ فاندريك و ادوارد : " اكتفا " الفنون بما هو مطبوع " القاهرة (مطبعة التاليف) ١٨٩٦
- ٤٦ فريجه الدكتور انيس : (١) تعليق على مقال " من اسرار اللغة العربية " لاسماعيل مظهر المقطف مجلد ٩٦

(٢) محاضرات في اللغات السامية القاها علينا في الجامعة الاميركية في

بيروت سنة ١٩٤٨

٤٧ فريد بك ، محمد : " تاريخ الدولة العلية العثمانية " (الطبعة الثانية) القاهرة

(مطبعة محمد مصطفى) ١٨٩٦

٤٨ قولني ، م : TRAVELS IN SYRIA & EGYPT DURING THE YEARS 1783 , 1784 , 1785.

LONDON M2 D CCC I

٤٩ كرد علي ، محمد : (١) نهضة العربية الاخيرة * مقال في المقتبر السنة الرابعة ١٩٠٦

(٢) حقائق القريب والوضوح في اللغة العربية * مقال في المقتبر السنة السادسة

٥٠ كرملي ، الاب انستاس : مقال عن تاريخ التوراة العربية في مجلة لغة العرب

المجلد الثامن

٥١ كيلاني ، ابراهيم " احمد ابو خليل القباني " مقال في العدد الاول من السنة الاولى

من مجلة " المعلم الجديد " السورية ١٩٤٨

٥٢ مسعد ، بولس : (١) " الذكرى في حياة المطران جرمانوس فرحات " جونيه - لبنان

(مطبعة المرسلين اللبنانيين) ١٩٣٤

(٢) " فارس الشدياق " القاهرة - مطبعة الاخاء ١٩٣٤ .

٥٣ مطران ، خليل : " التمثيل العربي " مقال في الهلال العدد الذهبي ١٩٤٢

٥٤ مظهر اسماعيل : " من اسرار اللغة العربية " مقال في المقتطف مجلد ١٦

٥٥ المعلوف ، الفرياق امين : " معجم الحيوان " - القاهرة (مطبعة المقتطف) ١٩٣٢ .

٥٦ المقدسي ، انيس الخوري : (١) " العوامل الفعالة في الادب العربي الحديث " القاهرة

(مطبعة المقتطف) ١٩٣١

(٢) " المختارات السائرة " ١٩٤٦

٥٧ النجفي ، احمد الحافي ، ديوان " الامواج " بيروت (مطابع الريحاني) ١٩٣٩

٥٨ نقاشر نقولا : " ارض لبنان " بيروت ١٨٦٩

٥٩ هارتمن :

THE ARABIC PRESS IN EGYPT

LEYDEN 1899

ENCYCLOPEDIA OF ISLAM VOL I (BRILL) LEYDEN 1913

VERGLEICHUNGS TABELLEN SBIPZY 1926

٦٠ وستنفلد ومهلر

٦١ اليازجي ابراهيم : (١) مقالات في الجنان ١٨٧١ (٢) " اللغة السامية واللغة

الفصحى " مقال في الضياء مجلد ٤ ١١٠٢ الطبع

٦٢ اليازجي خليل : رواية " المروعة والوفاء " الطبعة الثانية القاهرة مطبعة المعارف ١٩٠٢

- ٦٢ يزبا، يوسف : مجلة الجمهور عدد ١٠٩، ١٠٩ ١٩٣٨ .